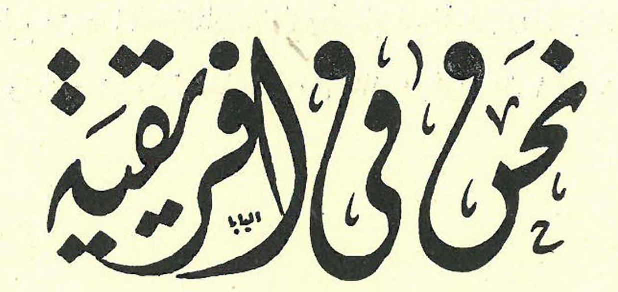
كامل مروه



الهجرة اللبنانية السورية الى افريقية الغربية

ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها

المكشوف

بيروت ● ١٩٣٨

طبع من هذا الكتاب النان وخمساية نسخة على ورق «برشمان»
وست وعشرون نسخة على ورق ممتاز مرقومة من ١ الى ٢٦



الى القطعة الغالية المنسلخة عن جسم لبنان وسوريا

الى الفاتحين صدر الارض ليخرجوا منها كنوزها

الى الذين يفنون شبابهم في جحيم القارة السوداء وادغالها الملتفة

الى الذين يطافحون اهوال الطبيعة ويتحملون آلام الغربة ، ليقيموا لوطنهم صروحا من المجد الخالد ، وليؤمنوا للابناء والاحفاد مستقبلا اهنأ واسعد

الى الابرار الذين بلوا بالحرمان والنسيان من قومهم ، ومع ذلك لا يشعرون بالنشوة الا اذا رن في اذنهم صوت الوطن

الى كل مهاجر لبناني سوري ...

... أهدي هذا الكتاب

ك . م

تمهيد

في ربيع سنة ١٩٣٨ ، قررت الجمعية الخيرية العاملية في بيروت تأليف وفد يطوف ديار المهجر ، للاتصال باخواننا المهاجرين ، والتعاون معهم على تحقيق مشاريعها التعليمية، فاختارت لهذه المهمة رئيسها المفضال السيد رشيد بيضون نائب لبنان الجنوبي ، واحد اعضائها كاتب هذه السطور .

وفي ١٩ نيسان غادر الوفد بيروت الى افريقية الغربية ، فبلغ دكار في ٢ ايار ، وباشر عمله حالا. وقد استغرق طوافه في افريقية اربعة اشهر ، زار خلالها البلدان التالية : السنغال، الغينه الفرنسية ، سيراليون ، شاطىء العاج، نيجيريا ، شاطىء الذهب . وقد عاد الوفد الى بيروت في ١٠ تشرين الاول ١٩٣٨ بعد ان قام بمهمته على الوجه الاكمل ، بفضل الغيرة التي دفعت اخواننا المهاجرين الى تكوين نواة العمل المالية ، للخروج بمشاريع الجمعية من حيز الفكرة الى حيز التنفيذ .



السيد رشيد بيضون رئيس الجمعية العاملية

لقد تركت هذه الرحلة في نفس الوفد ذكريات لا تمحى ، فاننا

حيثما حللنا كنا نلقى اهلا واخواناً . وان قلمي لعاجز عن ايفاء المهاجرين حقهم من الثناء والتقدير ، فقد غمرونا بحفاوتهم وعطفهم وفضلهم . فأليهم من على هذه الصفحات عاطفة تخرج من اعماق صدري .

واما الجمعية العاملية التي اتشرف بالانتماء اليها ، فانني اتوجه اليها بجزيل الشكر اذ اتاحت لي فرصة ثمينة لخدمة بلادي واخواني المغتربين ، كما ان الرحلة هيأت لي اسباب تأليف هذا الكتاب .

كذلك اشكر من صميم الفؤاد السيد رشيد بيضون الذي عرف كيف يحمل رسالة وطنه الى الذين غادروه باجسادهم ولا يزالون مقيمين فيه بالروح. فلقد كان لي طوال هذه الرحلة ، فضلا عن الرفيق ، اخاً كريماً .

واشكر للسلطات الرسمية في جميع البلدان الافريقية التي سهلت للوفد مهمته ، كما زودتني بالمعلومات الدقيقة التي ساعدت على اخراج هذا الكتاب بشكله الحالي . وفي الختام اشكر لجميع الاصدقاء المهاجرين والمقيمين الذين تكرموا فمدوني بالملاحظات الادبية والفنية ، وكانوا لي خير عون في عملي هذا .



مقدمة

في الوقت الذي تهب فيه على معظم بلدان العالم زوابع هوجاء تهز كيانها وتعصف بشعوبها ، وفي الوقت الذي تتصادم انانيات الدول وتتصارع صراع الفناء ، وفي الوقت الذي تترجح الحضارة البيضاء فوق الهاوية بين اهواء السياسة وتيارات المصالح — في هذا الوقت نفسه تسود السكينة الفطرية فرعاً مغموراً من فروع البشرية ، ويتكون في ظل جناحيها الواقيين عهد جديد ومدنية جديدة .

اجل ، في البقعة الممتدة على شاطيء بحر الظلمات ، من مراكش السفلي حتى خط الاستواء ، ومن « ساحل الرقيق » حتى اعماق الصحراء الكبرى ، يتكاتف الذكاء الابيض الفياض والحيوية السوداء المكنوزة منذ قرون ، على خلق موئل جديد للمدنية ، وما احوج المدنية الى الموائل في عالم مثل عالمنا ، تتلاشى فيه المدنيات امام طوارق الحدثان قبل ان تؤدي رسالاتها الى الملأ .

حتى الامس القريب ، كان العالم المتمدن يلقب افريقية الغربية بمقبرة الجنس الابيض ، وكان الذاهب اليها كالساعي الى حتفه . ولكن نبوغ الابيض اتى بالعجائب فبعث الحياة من تلك المقبرة ، وتحولت بؤرة الموت الى مهد مدنية جديدة ، لن تمر عليها حقبة قصيرة من الزمن حتى تنمو وتزدهر وتثمر ، وتفيض خيراتها على العالم كله كما فاضت عليه من قبل بركات المدنية الاميركية .

في خلال ربع قرن او اقل ، انبتت الصحارى والغابات والمستنقعات مدناً عامرة ، وبدت آثار النشاط في كل صقع ، وانتشرت رويداً رويداً كبقع الزيت ، وهي ماتزال تنتشر وتجتاح في طريقها الخمول القديم والركود الماضي .

بالامس كان زئير الاسود وعواء الذئاب وزعيق القردة يستأثر بالغاب وبالصحراء

فاصبح يزاحمها اليوم ازيز الطائرات وهدير السيارات وصفير القاطرات :ثمرات الدماغ الانساني تتحدى سيادة الطبيعة ، فتعكر هدأة الغاب وصفو الصحراء، وينطلق دويها في جو القارة السوداء كالصاعقة : انه صرخة اليقظة في سمائها ، ونذير البعث في ارضها ، وبشير النهضة الى شعوبها !

*

هذا العمل الجبار افخر به فخراً مزدوجاً.

افخر به اولا بصفتي انساناً يسرّه ان يسود عنصره على عناصر الطبيعة المتمردة فيذللها الواحد تلو الاخر ، ويسخرها لخدمته في فتح آفاق جديدة تزيد في رفاهيته وسعادته .

وافخر به ثانياً بصفتي عربياً يسرّه ان يرى بني قومه اللبنانيين السوريين يشاطرون غيرهم شرف الاشتراك في انشاء هذه الحضارة ، بنسبة قد تتباين فيها الاراء ولكنها تظل في كل حال موضع الزهو والاعجاب. وكيف لا افخر بما يقوم به بنو قومي في مستعمرات افريقية الغربية ؟ يأتي الواحد منهم اليها ولا سلاح له سوى امله وساعده ، فلا تمر عليه سنون معدودة حتى يبني لنفسه مركزاً موطداً ، ويعطي غيره مثالا رائعاً في نتيجة العمل النشيط .

على ان جهاد مهاجرينا ليس انانياً ، ولا تقتصر فائدته عليهم وحدهم،بل ان فائدتهم منه لا توازي ذرة مما تفيد البلاد من وجودهم . ذلك ان لافريقية الغربية وجهين : وجه السواحل المنمق ، ووجه الداخلية الفطري . ومهاجرنا هو الابيض الوحيد الذي تجرأ على اقتحام مجاهل الداخلية في اكثر المستعمرات ، وتحمل شظف العيش ومتاعب التجارة فيها ، ممهداً الطريق امام غيره ، ناقلا معه بشائر المدنية.أفلا يستحق اذن ، بعد ان زرع الكثير وحصد القليل ، ان نعترف له بالتقدير المعنوي على الاقل ؟

*

قد يأخذ علي بعضهم مغالاتي في الاشادة بعمل الابيض في افريقية الغربية ، ويعدونه تمجيداً للاستعمار . لذلك اقول مقدما لقارئي : سمِّ عمل الابيض في افريقية

ما تشاء ، سمه استعماراً او استثماراً ، سمه ظلماً وعدواناً ، فقد يكون كل ذلك او اكثر من الوجهة الانسانية الفلسفية المجردة . بيد انه لا يجوز للناقد العادل ان يأخذ بالحدث وحده دون اعتبار الظروف وتقدير النتائج المباشرة وغير المباشرة .

فالاوروبي الذي جاء يستعمر ويستثمر ، واللبناني السوري الذي جاء يفيد ويثري قد القيا على الاسود الغائص في حياته الفطرية دروساً بليغة في الحياة الحديثة ، ففتحا عينيه على النور ، واضرما في نفسه شعلة النهضة . هكذا كانت هذه الغزوة شوكة في جانب الزنجي ، تخزه فتوقظه وتدفعه في طريق الحضارة .

وقد يتطاول الزمن قبل ان يدوي في افريقية الغربية صوت مثل صوت جورج وشنطن في اميركا الشمالية والجنرال سان مارتين في شقيقتها الجنوبية . ولكن مهما طال فان موجة الحرية التائهة بين المد والجزر ستهتدي يوما الى هذه البقعة من الارض كما اهتدى اليها الاستعمار من قبل.أليست اسمى حريات الجيل الحاضر وليدة الاستعمار؟ أليست مبادىء الثورة الفرنسية النبيلة بنت الاستثمار ؟ اذن فالاستعمار هو اول مرحلة من مراحل الانعتاق ، فلا يتهمني احد بالرجعية وممالأة الاستعمار اذا أشدت بعمل الابيض في افريقية وفاخرت به .

انني اؤمن بان لكل شعب على وجه الارض رسالة انشائية ، واذا كان الابيض قد ظلّ حتى اليوم حاملا تلك الرسالة على منكبيه وحده ، فان الفلك اخذ يدور دوراته المعهودة ، وسيهب الاسود قريباً ليساهم في تأدية رسالة الانسانية كما هبّ قبله الاصفر والاسمر . أترانا نعيش لنرى ما يكون من امره ؟

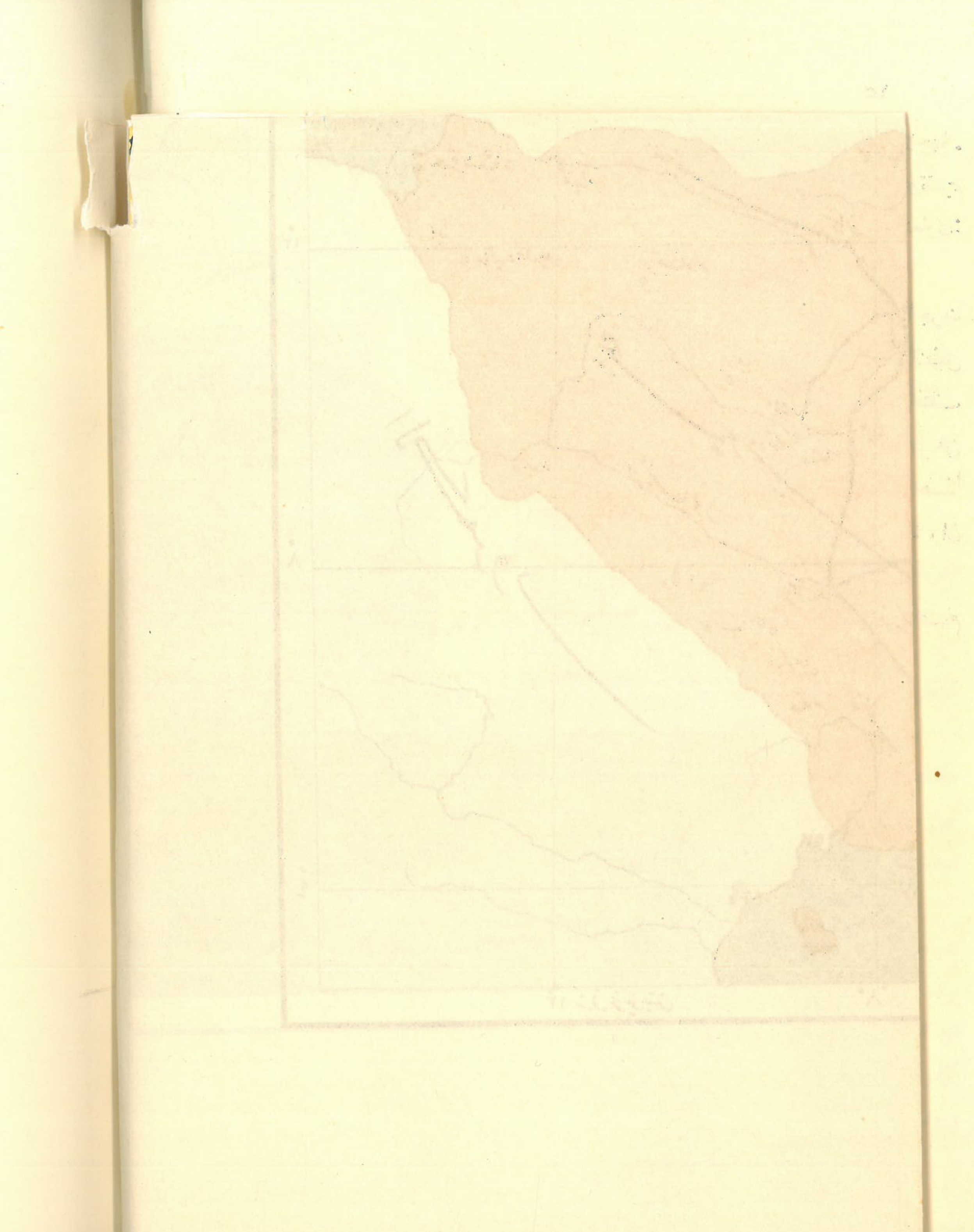
من يدري ؟


*

لم أكن افكر بوضع كتاب عن رحلتي عندما غادرت وطني . بل لم اكن اعتقد ان هنالك ما يستوجب وضع كتاب عنها . ولكن منذ ان وطأت قدماي ارض القارة السوداء ، وشاهدت ما فيها من مظاهر الحياة والحيوية ، شعرت بحافز يدفعني الى كتابة شيء عنها، ولما تبينت الدور الرئيسي الذي يمثله بنو قومي المهاجرون فيها،


الباب الاول

ما يجب ان يعرفه مهاجرونا عن البلدان الافريقية التي يعيشون فيها، وما يجب ان يعرفه ابناء الوطن المقيمون عن البلدان التي يعيش فيها اخوانهم المهاجرون .





يقية الغربية
المقياس
السكك الحديدية
الحدود بين المستعمرات
المستعمرات الفرنسية
المستعمرات الانكليزية
الموريتانيا
السودان الفرنسي
النيجر
السنغال
الغينيا الفرنسية
الداهومي
نيجيريا
جمهورية ليبيريا
المحيط الاتلنتيكى
سان لويس
دكار
باماكو
نيامي
كادونا
كانو
اغاديس
OFFSET - IMPRIMERIE CATHOLIQUE BEYROUTH

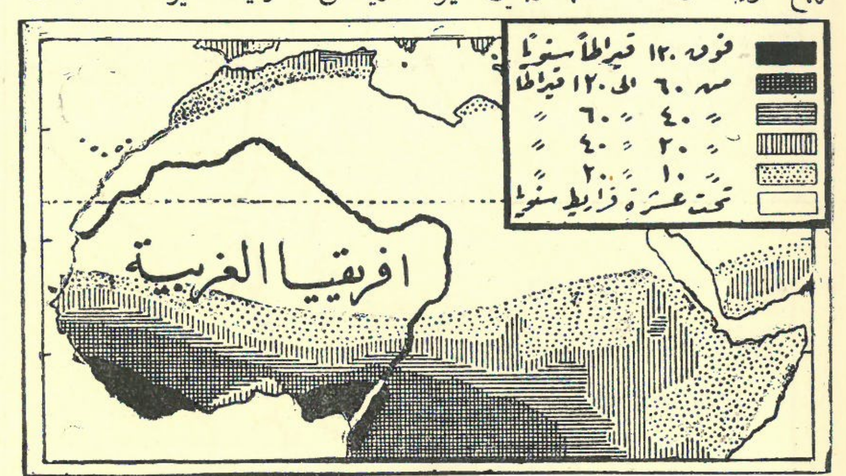


افريقية الغربية
ميل
كيلومتر
المقياس
السكك الحديدية
الحدود بين المستعمرات
المستعمرات الفرنسية
المستعمرات الانكليزية
السودان الفرنسي
النيجر
الداهومي
نيامي
كانو
كادونا
بحيرة تشاد
المحيط الاتلانتيكي

الفصل الاول

ما هي افريقية الغربية ؟

تقع افريقية الغربية بين الدرجتين ٢٤ و ٤ من خطوط العرض ، والدرجتين ٢٠ شرقا و٢٠ غربا من خطوط الطول . وتبلغ مساحتها كلها ستة ملايين كيلومتر مربع تقريباً ، وعدد سكانها اربعين مليوناً ، ويمكن القاريء تقدير هذه المساحة

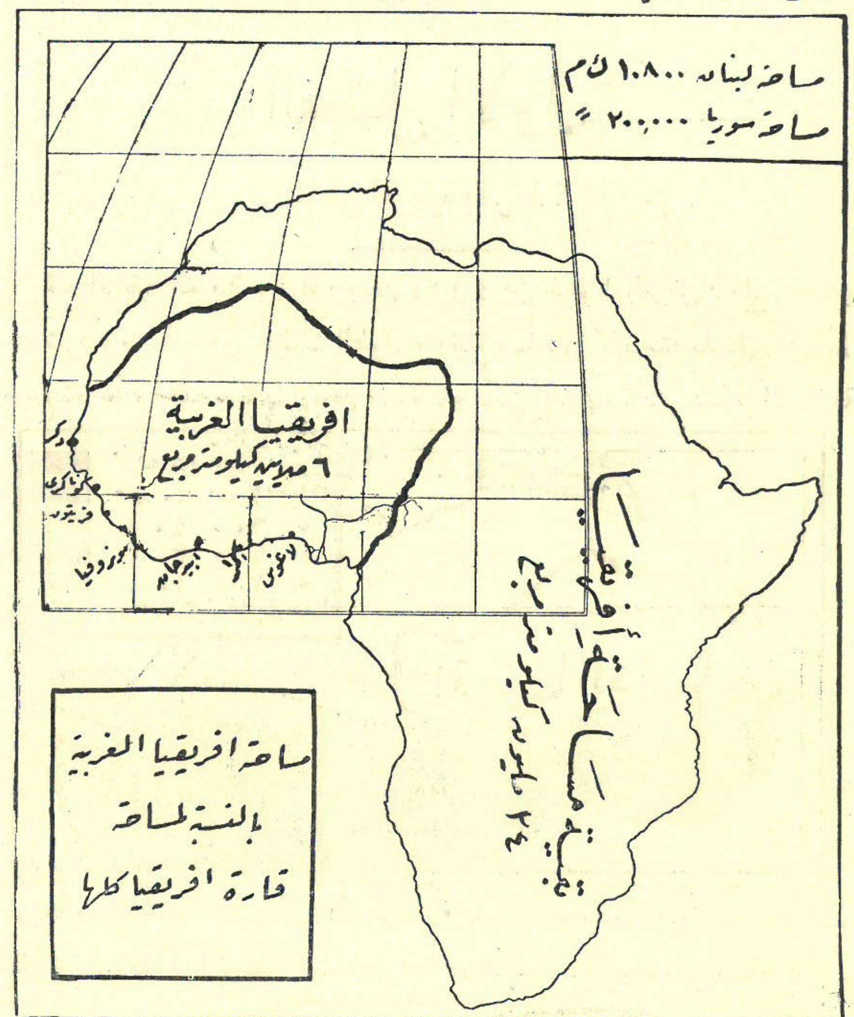


خريطة رمزية تمثل معدل هطول الامطار في افريقيا الغربية. والامطار تكثر في الغابات فالمناطق السوداء في الخريطة هي مناطق الغابات الكثيفة ، والبيضاء هي الصحراوية .

بمقابلتها مع مساحة اوروبا كلها البالغة عشرة ملايين كيلومتر مربع، ومساحة الجمهورية اللبنانية البالغة ١٠٦٠٠ كيلومتر مربع، ومساحة سورية الطبيعية ٢٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع.

وتتألف افريقية الغربية من البلدان التالية : موريتانيا ، السودان الفرنسي ، السنغال ، غامبيا ، الغينه البرتغالية ، الغينه الفرنسية ، سيراليون ، ليبيريا ، شاطيء

المـاج ، شاطيء الذهب ، التوغو ، الداهومي ، نيجيريا ، النيجر . وهـذه البلدان تتوزع سياسياً كما يلي : المستقلة : جمهورية ليبيريا .



المستعمرات الفرنسية : موريتانيا ، السودان الفرنسي ، السنغال ، الغينه الفرنسية ، شاطيء العاج ، الداهومي ، النيجر .

المستعمرات الانكليزية : غامبيا ، سيراليون ، شاطيء الذهب ، نيجيريا .

المستعمرات البرتغاليـة : الغينه البرتغالية . تحت الانتداب : التوغو .

وساحدث القاريء في فصول قادمة عن احوال كل قطر من تلك الاقطار على حدة .



خريطة ناتئة لافريقيا كلها ، تبدو فيها الجبال والانهر . ويلاحظ القاريء بلادنا في اعلى الخريطة ، فيمكنه المقابلة بين حجمها وحجم افريقيا .

الفصل الثاني

تاريخ افريقية الغربية قبل الاستعمار الاوروبي



صخور ضخمة منقوشة عثر عليها بين الادغال على ضفة نهر الصليب في نيجيريا ويرجع عهدها الى ما قبل التاريخ ٠

يخطىء من يتوهم ان تاريخ افريقيا الغربية يبتدىء بابتداء الاستعمار الاوروبي. فقد شرع الاوروبيون في اكتشافها واستعمار شواطئها منذ القرن الرابع عشر فقط ، وكان لها قبل ذلك العهد تاريخ عريق ، وكانت فيها ممالك كبيرة ، وحياة دولية مناسبة للبيئة ٠

ولا يعرف المؤرخون شيئاً عن تاريخ افريقيا في العهود القديمة ، لان سكانها الاول لم يتركوا وثائق او سجلات او آثاراً تدل عليهم ، لذلك زال ذكرهم بزوالهم ٠

ومع ذلك يعتقد بعض المؤرخين ، وفي مقدمتهم العلامة الفرنسي موريس دولافوس، ان سكان افريقيا القدماء كانوا من الاقزام او النغريل الذين اتى على ذكرهم المؤرخ اليوناني هيرودوتس (٤٢٥-٤٨٤ قبل المسيح) ولا تزال بقاياهم موجودة في المناطق الاستوائية ٠

واجمع المؤرخون على انه وفدت على افريقيا قبائل سوداء مهاجرة من الجزر الاوقيانوسية (استراليا) تلقب باسم قبائل البانتوس ٠ وقد تدفقت في موجتين متتابعتين ، وامتزجت بالاقزام ، وببعض عناصر البرابرة في شمالي افريقيا ، فنشأت عن هذا الامتزاج الاجناس السوداء الموجودة حالياً في افريقيا الغربية ٠

وليس بالامكان تحديد تاريخ الهجرة الاوقيانوسية او وصف تطورها لاندثار آثارها ٠ وكل ما نقل المؤرخون انه تأسست في القرن الرابع للميلاد مملكة زنجية كبيرة ، ضمت اعالي السنغال واعالي النيجر ٠ وكانت تعرف باسم مملكة غانه نسبة الى اللقب الذي كان يحمله ملكها ٠ وكانت عاصمتها مدينة « كومبي » الواقعة قرب ساكو (في السودان الفرنسي) على موازاة تومبكتو ٠ وقد درست اليوم ٠

وازدهرت مملكة غانه عقب تأسيسها ، وانصرف ملوكها الى الغزو والفتح، فسادوا بقية الامارات الزنجية ، مثل امارات لمتونا في تاغنت ، والتكلور في الفوطه ، والمادنغا في كنغابا ، والسنغوي في اعالي النيجر ، وغوا ٠ وكان يحكمها في البدء امراء من البيض الساميين ، ثم انتقل الحكم الى امراء سود ٠

وتعاقبت على غانه اجيال كثيرة مجهولة الاخبار ، وظلت الحالة كذلك حتى دخل الاسلام افريقيا في القرن العاشر ٠ فاتخذ تاريخ افريقية الغربية اتجاهاً جديداً ، يعرف المؤرخون تفاصيله من مخلفات ذلك العهد ، ومن روايات المؤرخين والرحالين العرب ، وفي مقدمتهم ابن بطوطة (١٣٠٤-١٣٧٨ ميلادية) ٠

ومما يجب ذكره انه كانت توجد الى جانب مملكة غانه ممالك الهوسا في شمالي

نيجيريا ، وهي لا تزال قائمة حتى اليوم . وسيأتي الحديث عنها فيما بعد .

١ – كيف دخل الاسلام افريقيا الغربية ؟

تفصل الصحراء الكبرى افريقيا الشمالية عن افريقيا الوسطى والغربية . وليست هذه الصحراء خالية من البشر كما يتوهم الكثيرون ، بل تقطنها قبائل عديدة تؤلف صلة الوصل بين شمال افريقية وغربها .

ولما انتشر الاسلام بين الشعوب الافريقية الشمالية في القرن التاسع ، اعتنقته



المؤلف بين جماعة من بقايا « النغريل » في شمال سيراليون .

بعض قبائل البربر الرحالة ، وحملته معها الى الصحراء ، الى منطقة الموريتانيا اولا ، فضفاف نهر السنغال . وظل السلام سائداً في البدء بين المسلمين الجدد والقبائل الوثنية الزنجية . ولكن هذا الهدوء كان يخفي تحته غلياناً شديداً . ذلك ان معظم المسلمين كانوا من العناصر البيضاء السامية الاصل ، التي تعيش عيشة البداوة بين

الزنوج وتتعشق الحرية الدائمة ، فلم يعد يطيب لها بعد الاسلام ان تظل عائشة تحت السيادة الزنجية ، ولم تلبث ان هبت لبسط سيادتها على السود ، بمعونة المرابطين .

٢ – نشر الدين الاسلامي بين الشعوب الزنجية الوثنية

في النصف الاول من القرن الحادي عشر ، كان الدين الاسلامي لا يزال محصوراً في افريقية الغربية بين بلاد البربر وكثبان الموريتانيا . وفي سنة ١٠٣٣ سافر الامير يحيى بن ابراهيم ، امير البرابرة المقنعين في تاغنت (الموريتانيا) الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج . وكان يحيى شديد التقى والورع ، فوجد ان تعاليم الاسلام الصحيحة هي غير ما تمارسه الشعوب المسلمة في بلاده ، فقرر ان يبث فيها روحاً جديدة ترفع مستوى ايمانها الديني ، واستعان ببعض علماء مكة على تفهم الدين الصحيح . ولما عاد الى عاصمته في الموريتانيا ، اصطحب العالم البربري عبد الله بن ياسين ليساعده على تنفيذ مهمته .

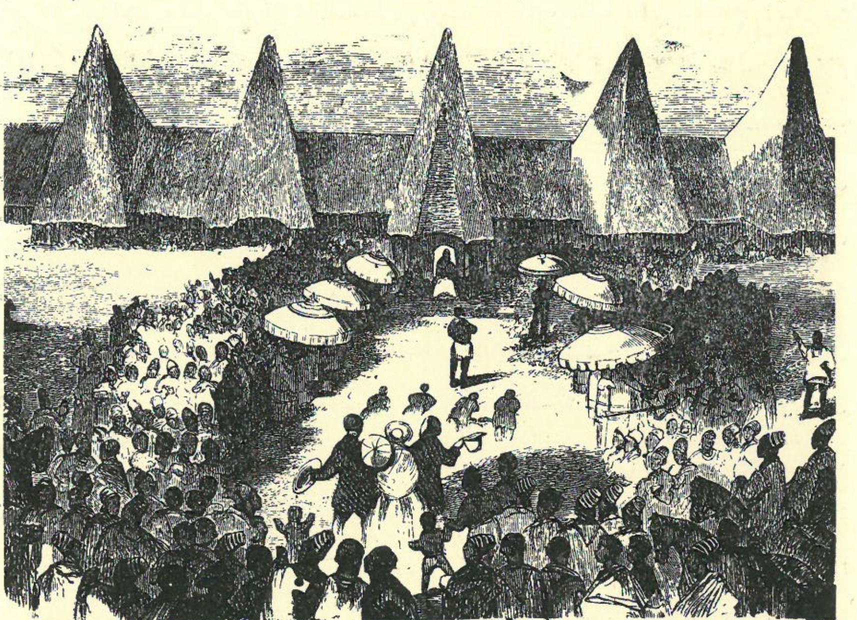
وفي الحال بدأ الرجلان حملة واسعة لتطهير الاعتقاد الديني من الخرافات ، وفرض القيود الاخلاقية المسلمة على المحيط . ولكنهما اصطدما بمعارضة شديدة من قبل الاهلين ، فدب اليهما اليأس ، وهجرا البلاد الى جزيرة صغيرة في جنوب السنغال حيث قررا اعتزال الناس الى ان يوافيهما الاجل .

ولكن اعتكافهما جاء بنتيجة معكوسة ، فبدلا من ان يتناساهما الناس ، شعروا انهم اخطأوا نحوهما ، فتهافتوا عليهما في المنسك الجديد – او الرباط – وانضووا تحت لوائهما . ولم تمر مدة وجيزة حتى تكونت حول الامير يحيى والشيخ عبد الله كتلة قوية من المؤمنين . وعلى الاثر غادرا رباطهما مع انصارهما ، واندفعا في افريقية ينشران الدعوة الاسلامية ، وهكذا بدأت دولة « المرابطين » .

وانقسم المرابطون قسمين ، قسم اتجه شمالا نحو مراكش واسس مملكة المرابطين الشهيرة التي بلغت حدودها في القرن الثاني عشر الجزائر شرقا ونهر الابر في اسبانيا شمالا ، وقسم آخر ظل في المحيط الذي نشأت فيه الدولة ، وانصرف الى

نشر الاسلام في المناطق الزنجية الوثنية .

وقد استولى المرابطون على مملكة غانه وادخلوها في الاسلام ، كما ادخلوا فيه شعوب التكلور والسنغوي والسراخلي والديولا والمادنغا . بيد ان عهد المرابطين لم يطل في افريقية الغربية لانهم وجهوا جل اهتمامهم الى مملكتهم في افريقية الشمالية واسبانيا ، فزال حكمهم بسهولة من الصحراء ، وظل الاسلام ينتشر على ايدي الزنوج الداخلين فيه حديثاً . وهكذا لم ينته القرن الحادي عشر حتى كان الاسلام قد عم



ملك اليوروبا في جنوب نيجيريا يستقبل بعثة انكليزية سنة ١٨٢٠ .

السودان كله ، فهدم مملكة غانه وسادها وساد ملحقاتها ، ثم دخل فيه ملوك المادنغا اسياد المناطق الواقعة بين السنغال الاعلى والنيجر الاعلى ، ثم شعوب وادي السنغال ، ثم امراء الولايات الواقعة في اواسط النيجر وماسينا والساحل، ثم امبراطورية غوا . ثم بلغ بحيرة تشاد وانتشر في ممالك بورنو والهوسا . ثم حملته قبائل الديولا الى الفوطه وغابات الغينه وسيراليون وليبيريا وشمالي شاطىء العاج وشاطىء الذهب . اي انه في

خلال خمسين سنة عم الاسلام افريقية الغربية كلها ، ولا يزال كذلك حتى الآن .

٣ — الممالك الزنجية بعد دخول الاسلام

يطول بي البحث اذا اردت ان احدث القراء بالتفصيل عن تطور الممالك في افريقية الغربية بعد دخول الاسلام اليها . ولكنني اذكر بايجاز انه بعد زوال المرابطين ، عاد الغانيون فاسسوا ملكا جديداً على انقاض مملكة غانة القديمة ، موزعا بين ثلاث امارات . غير ان ملوك المادنغا هاجموهم ، واحتلوا في سنة ١٢٤٠ عاصمتهم « كومبي » ودمروها واصبحوا اسياد البلاد . وفي القرن الرابع عشر نازعهم ملوك السونغوي السيادة وتغلبوا عليهم .

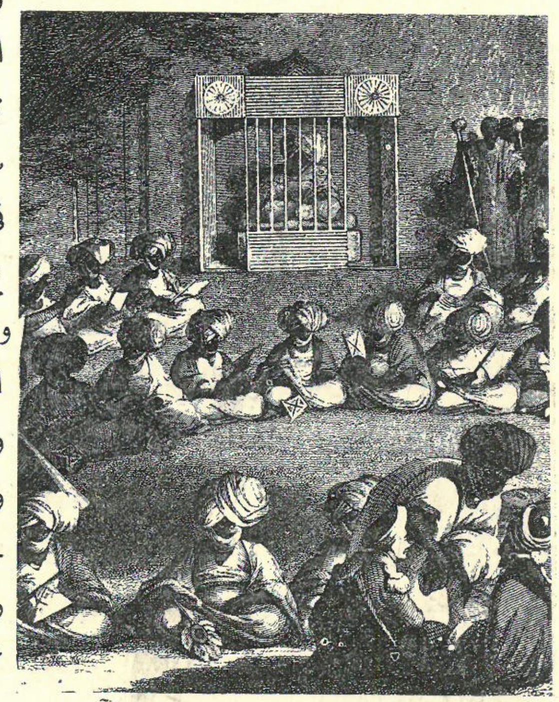
وفي سنة ١٥٩٠ وقع نزاع بين ملك « غوا » وسلطان مراكش على ملكية مناجم الملح في « تغازه » فارسل السلطان حملة من المتطوعين المراكشيين والاسبان تحت قيادة القائد جودر ، فاحتلت تمبكتو في السنة نفسها وهزمت جيوش السونغوي ومدت نفوذ السلطنة المراكشية حتى اعالي النيجر .

بيد ان العهد المراكشي لم يطل بسبب سوء الادارة والاهمال، فزال في سنة ١٦٦٠ واستعاد ملوك المادنغا سيادتهم السابقة . ولكن في الوقت نفسه استفادت قبائل البمبرا الوثنية من الفوضى، فتحررت من السيادة الاسلامية وحاولت ان تسود بدورها وقد استطاعت فعلا ان تبسط سيادتها على قسم كبير من البلاد، فوقفت قبائل « البول » في طريقها ومنعتها من التقدم شمالا ، واسس البول بدورهم مملكة اسلامية جديدة في مقاطعات ماسينا في السودان ، وجعلوا عاصمتها تمبكتو .

ولم يطل العهد بسيادة البمبرا ، اذ ظهر في منطقة الفوطه (الغينه) زعيم جديد اسمه الحاج عمر ، فبث في جماعته روحا جديدة ودعاهم الى تهديم مملكة البمبرا الوثنية . وفي سنة ١٨٥٠ ألف اسلام الفوطة جيشاً كبيراً تحت قيادة الحاج عمر ، وزحفوا شمالا ، فهدموا الممالك الوثنية كلها ، واعادوا نشر الاسلام في كل افريقيا الغربية ، وظلوا اسياد البلاد حتى الفتح الفرنسي .

٤ ــ ممالك اخرى غير الممالك السودانية

يتضح مما ذكرته اعلاه ان منطقة السودان وحدها كانت ميدان التطاحن السياسي بين ممالك افريقيه الغربية . على ان هنالك ممالك اخرى نشأت في غير السودان ، وظلت بمعزل عن الحروب السودانية المتواصلة . ومنها ممالك الولف والسريري في سهول السنغال، وامارات البول في الفوطة، ومملكة الابرون في بوندوكو في شاطيء العاج ، ومملكة الاشانتي في شاطيء الذهب ، ومملكة الداهومي، ومملكة بانان، ودول السونوفو ومملكة الموسي الكبيرة التي حافظت على وثنيتها واستقلالها رغم كل التطورات التي طرأت على الدول المجاورة لها .



مشهد من بلاط احد ملوك سوكوتو المسلمين في شمال نيجيريا ، في القرن التاسع عشر ، ويبدو الملك جالساً وراء شبكة من القضبان الحديدية .

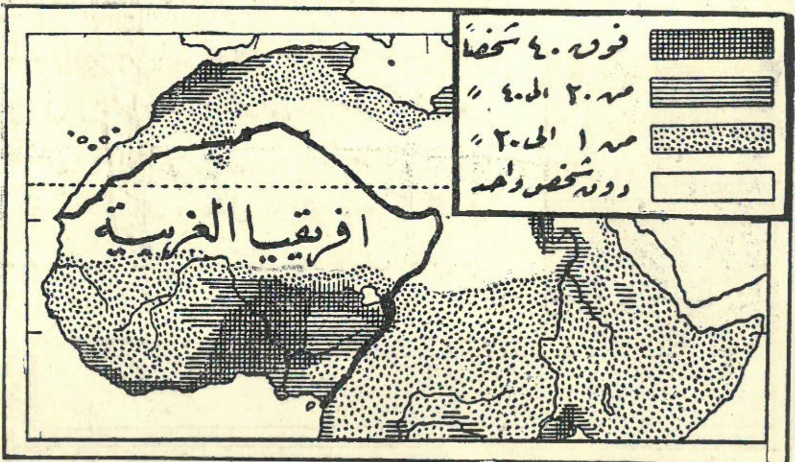
والى شرق نهر النيجر نشأت ايضاً ممالك قديمة ، مثل مملكة الباغيرمي في القرن السابع عشر والدرفور في القرن الثامن عشر .

وفي القرن التاسع عشر دخلت قبائل الهوسا في الدين الاسلامي بفضل الحاج عثمان دن فوديو الفلاني ، فتأسست على الاثر مملكة سوكوتو الكبيرة ، القائمة في شمال نيجيريا حتى اليوم .

اما تاريخ البلدان الافريقية بعد الفتح الاوروبي ، فانني ساتحدث عنه في سياق حديثي عن تاريخ كل مستعمرة على حدة .

الفصل الثالث

سكان افريقية الغربية وانواعهم



خريطة رمزية تدل على نسبة توزيع السكان في مختلف انحاء افريقية الغربية

اعتدنا ان نطلق كلمة «عبد» على كل من هو اسود اللون ، وبصورة خاصة على سكان افريقيا السود . وكلمة عبد تعني في اصلها اللغوي الرقيق الاسود ، ولا تنطبق على السود غير الارقاء. ولكنه اصطلاح جرى على ألسنة الناس ، فاصبحنا نعتبر كلمة عبد مرادفة لكلمة زنجي او اسود .

وبين الزنجي والزنجي فروق متعددة في الشكل والقامة والخلق ، مثل ما بين البيض من الفروق . وقد يصعب على الابيض في البدء ان يميز بين اشكال السود وعناصرهم ، ولكنه بقليل من المخالطة يصبح قادراً على ذلك .

قلة عدد السكان : ويوجد في افريقية الغربية اربعون مليون اسوده وهم موزعون في اراض واسعة مساحتها ستة ملايين كيلومتر مربع ، اي بمعدل ٦٫٦٦ نفس.

في كل كيلومتر مربع ، بينما هذه النسبة تبلغ في بلادنا ٤٠ نفساً في كل كيلومتر مربع ، وتقارب الالف في بعض المناطق الاوروبية . والواقع ان الاراضي الافريقية قادرة على استيعاب ملايين من السكان الجدد ، ولكن تحويلها الى اراض صالحة للسكنى يتطلب نفقات هائلة ، يُعجز عنها في الوقت الحاضر . لذلك لا يمكن ان يتزايد عدد السكان الا بالتدريج ، وفي مراحل متعددة طويلة .

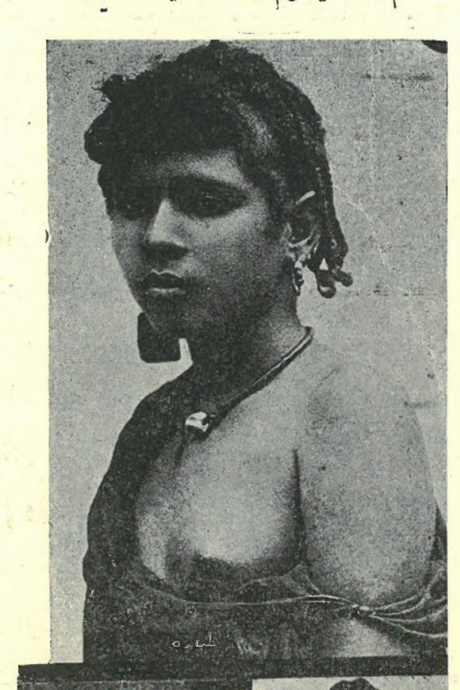
وتعزى قلة عدد السود بالنسبة لمساحة الاراضي الى الحروب القائمة بين القبائل منذ آلاف السنين ، والى كثرة الوفيات بين المواليد . ولو كان جميع المواليد يظلون احياء ، وجميع الشباب يموتون موتاً عاديا ، لكان عدد السود في الوقت الحاضر اكثر من مئتي مليون شخص . ولكن انتشار الامراض والاوبئة ساعد الحروب على الفتك بالسكان ، فظل عددهم اليوم كما كان في القديم ، ان لم يكن قد تناقص . على ان التدابير





الى اليمين : نموذج من البيضان . الى اليسار : طوارقي ملثم ، ومن تقاليد الطوارق ان يتحجب الرجل كما ترى في الرسم .

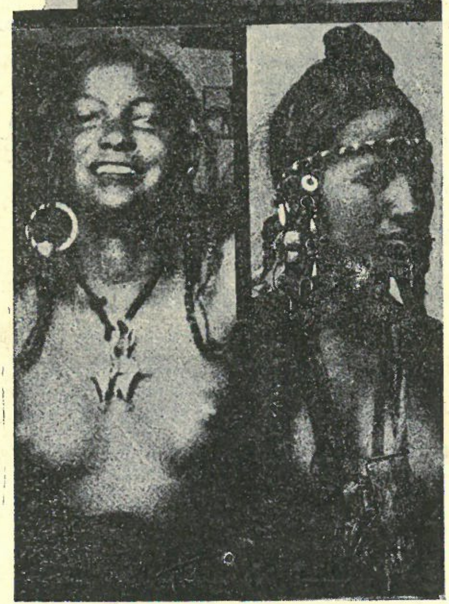
الصحية الواقية التي اتخذها الابيض في كل المستعمرات خفضت عدد الوفيات بين المواليد السود . والامل كبير بان يزيد عددهم بعد اليوم زيادة عظيمة لاسيما اذا استمر الزنوج على التناسل بكثرة كما يفعلون الان .



انواع السكان : ينتمي سكان افريقية الغربية الحاليون الى عدة اصول وفروع يصعب حصرها . ولكن يمكن ادماج الجميع تحت احد الابواب الثلاثة التالية : الشعوب ذات الاصل الابيض ، الشعوب الخلاسية ، الشعوب الزنجية . وسأتحدث فيما يلي عن كل منها .

١ : الشعوب ذات الاصل الابيض

اهم ممثلي الشعوب البيضاء الاصل في افريقية الغربية هم البيضان والطوارق . وعددهم يزيد عن المليونين . وهم مزيج من البربر والعرب . ويسكن معظم البيضان في الموريتانيا . وقد اختلطوا كثيراً بالزنوج ، فنشأ عن ذلك تنوع في هيئاتهم . ومع ذلك يمكن معرفة



فوق : فتاة بيضانية من الموريتانيا .
تحت الى اليمين : بيضانية من اصل عربي خالص .
تحت الى اليسار : بيضانية زنجية .

البيضاني للوهلة الاولى، فهو شبيه بالبدوي العربي : لونه اسمر داكن ، وجهه بيضوي الشكل، انفه رفيع دقيق ، عيناه تشعان بالحيوية والذكاء، شعره كثيف مجعد ، جسمه رقيق نحيل ولكنه كتلة من الاعصاب المتوترة .

اما الطوارقي فانه ينتمي الى البرابرة في شمال افريقيا . وهو يعيش عيشة البداوة في الصحراء السودانية وفي حوض بحيرة تشاد وشاري . ويقول الخبراء في الطباع الافريقية ان الطوارقي بدوي بدافع الضرورة لا الرغبة ، واذا استطاع الاستقرار فانه يصبح نصف مزارع بسهولة .

ويفد البيضان على السنغال والغينه والسودان للمتاجرة بالمواشي وابتياع البضائع فتراهم سائرين في الشوارع حفاة ، وقد طرحوا على اجسامهم طرحات قماشية زرقاء ، وانتثر شعرهم كالبلان ، وتجلت في حركاتهم وسكناتهم دلائل القوة والشجاعة .

ويتكلم البيضان العربية الفصحى . وهم اصحاب الفضل الاكبر في نشر اللغة العربية بين العبيد المسلمين وتعليمهم الدين على اصوله . وللبيضان حياة ادبية ، فهم يعرفون الاداب العربية القديمة حق المعرفة ، ولاسيما الجاهلي منها . وهم يقرضون الشعر باسلوب متين قديم يتفق مع حياتهم الصحراوية الفطرية ، فشعرهم قريب جداً من الشعر الجاهلي . وهذا نموذج منه مأخوذ من القصيدة الافريقية الشهيرة ، الشاعر يصف الابل :

وكل هودج على اقتابها   مثل سفين ماخر او زورق
مرت بها هوج الرياح فهي في   تفرّق حيناً ، وحيناً تلتقي
مرثومة الايدي شكت فرط الجوى   لكنها تشكو لغير مشفق
فان تماديت على اتعابها   ولم تكن منهياً عن رهق
فسوف تعروك على اتلافها   ندامة الكسعي او الفرزدق

ثم يصف الشاعر امرأة جميلة فيقول :

« لبنى » وما ادراك ما لبنى   عرفت صباً مغرماً ذا قلق
تسبي بثغر اشنب ومرشف   قد ارتوى من قرقف معتق

وناعم مهيكل وفاحم   مرجل وحاجب مدقق
ومقلة ترمي لقوس حاجب   لاحظها بسهمها المفوق
تمنع مس ثوبها لجسمها   ثلاثة مثل الاثافي في الرقي
حقان من عاج وقعب فضة   من ظاهر وباطن كالشفق
وزاد مسك الخال ورد خدها   حسناً وقد عم بطيب عبق !

وقس على ذلك بقية اشعارهم ، مع العلم بان بينهم شعراء رقيقين جداً بالنسبة لمحيطهم .

قال احدهم مرحباً بضيف مفاجيء :

لو علمنا بقدومكم لفرشنا   مهج القلب او سواد العيون
وشققنا بين الجفون طريقاً   ليكون المرور بين الجفون !

ولا شك ان في هذين البيتين من رقة العواطف والمعنى ما لا يقل عن ارق الاشعار العربية . والبيضان يقبلون على مطالعة دواوين الشعر العربية وغيرها من الكتب ، ويشترونها من مكاتب دكار العربية .

كنت مرة في دار البريد في «ابيدجان» في شاطيء العاج ، ابعث برسالة الى الوطن ، وقد كتبت عليها العنوان بالعربية الى جانب العنوان الفرنسي . واذا بصوت من خلفي يقول :

— ماذا ؟ أتكتب العربية يا صاح ؟

والتفت الى الوراء ابحث عن القائل ، فوجدت مارداً بيضانياً يزيد طوله عن المترين وقد افترت شفتاه عن ابتسامة عريضة لرؤية هذا «الفرنجي لابس القبعة» الذي يتقن العربية .

اجبته انني عربي لا «فرنجي» فازداد سروراً ، وانحنى علي بقامته الجبارة مترنحاً ، حتى قاربني وقال :

— انا قادم من الشمال ، وانا عربي مثلك . نحن ننتمي الى الحميريين ...



فوق : امير فلاني من شمالي نيجيريا .
تحت: امرأة فلانية من داخلية السنغال .

تجاذبت معه اطراف الحديث في امور مختلفة . وكنت اعرف تمرد البيضان الدائم على السيادة الاجنبية فسألته :

ـ كيف انتم وحكم الفرنجة ؟

فاجاب : ليس باليد حيلة، فلكل زمان دولة ورجال ، وما على الانسان الا الصبر والمستقبل كشاف !

واخيراً ودعت « الصاحب حماد » وانا آسف لان وقتي لم يسمح لي بمحادثته طويلا . ولما بعدت عن دار البريد ، صرخ من النافذة :

ـ يا هذا ، بلغ قومك ان لهم هنا اخواناً !

وهأنذا أؤدي الرسالة !

٢: الشعوب الخلاسية ذات الاصل السامي

هذه الشعوب ذات بشرة نحاسية ، واهمها البول والفلا (او الفولاني او الفلبة) . والفلا منتشرون في مختلف انحاء افريقية الغربية ، في الشاطىء والداخل ، في الصحراء والغاب على حد سواء . ولكنهم يكثرون في مقاطعات السنغال العليا وفي الفوطة-دجلون في الغينه ، وفي ماسينا في السودان ، وفي شمال سيراليون وشمال نيجيريا . واكثرهم يشتغلون في التجارة .

وقد تضاربت الآراء في اصل الفلا ، فمن قائل انهم من العبرانيين الذين هجروا مصر الى أفريقية الغربية في عهد الفراعنة ، ومن قائل انهم من اصل سرياني . والثابت

على كل حال انهم ليسوا زنوجا ، يؤيد ذلك لونهم النحاسي وتقاطيع وجوههم المتناسقة. وتوجد بين نسائهم جميلات تمتزن بعيون عسلية مستطيلة، وانوف مستقيمة بديعة التكوين.



زنجيات من قبيلة «لوبي» في شمال شاطىء العاج .

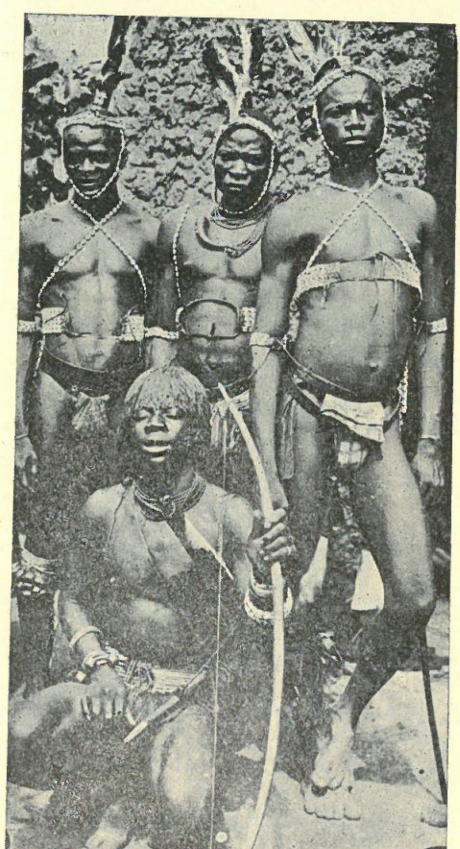
٣ ـ الشعوب الزنجية السوداء

السواد عند الزنوج يختلف اختلافا كبيراً . واكثر الزنوج سواداً هم الولف في السنغال ، فان بشرتهم سوداء حالكة كالظلام . اما سكان السواحل الاخرى والمنطقة السودانية فان لونهم اقرب الى السمرة الداكنة منه الى السواد . وكلما اقتربنا من مناطق الغابات وتوغلنا فيها وجدنا ان لون البشرة يتراوح بين بني محروق وبني زاه . وفي اكثر الاحيان تغلب اللمعة النحاسية على اللمعة السوداء .

على ان الصفات العامة في مظاهر الزنوج على اختلاف الوانهم هي الانف العريض ذو الفتحتين الواسعتين ، والشفاه الغليظة ، والشعر المجعد ذو الجذور المتباعد بعضها عن بعض .

والفروع الزنجية كثيرة تختلف حسب اختلاف المناطق . وقد ذكرت انواع السكان في كل مستعمرة اثناء حديثي عن كل منها في الفصول التالية . ومع ذلك فانني اقدم للقارىء فيما يلي عرضاً عاما موجزا عن اهم القبائل الزنجية وصفاتها .

التكلور او التكرور — يعيشون على الضفة اليسرى من اواسط نهر السنغال ، وفي مقاطعة فاليمه ، وحول نيورو وساكو في السودان ، وهم ذوو قامات عالية ، وعضلات قوية بارزة . والتكلور نشيطون ، يكثرون من الاسفار ويحذقون التجارة والزراعة ، ويرغبون في الهجرة الى الشواطىء للاستخدام عند الشركات التجارية والبحرية في المرافىء وغيرها ، ثم يعودون الى بلادهم عندما يجمعون ثروة ضئيلة . وقد اشتهروا بعزة النفس والكبرياء ، وعرفوا بحب الغزو والسيطرة ، لذلك يحتلون مركزاً رفيعاً في الفرق السوداء في الجيش الفرنسي .

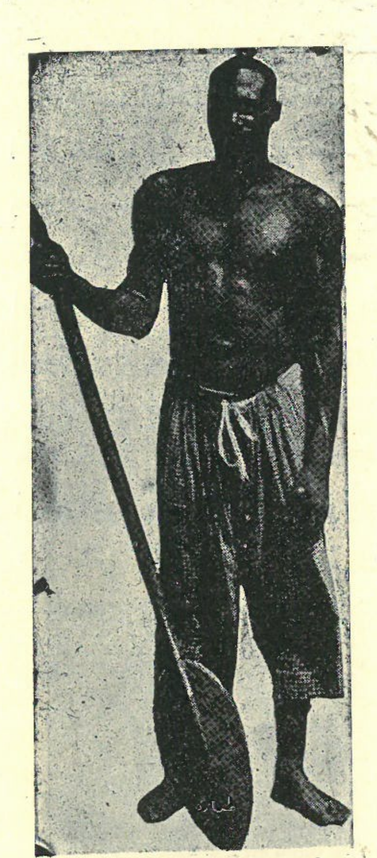


محاربون من قبائل اللوبي الشهيرة بشدة البأس .

السونغوي — يعيشون على ضفاف نهر النيجر ، واكثرهم مزارعون . ويمكن تمييزهم من غيرهم بالشقوق التي يضعونها قرب مفترق الشفتين . وهم بالاجمال ضعيفو البنية ، ينقصهم العزم ، لذلك كانوا دائماً فريسة تجار الرقيق .

المندي — يتفرعون الى عشرات الفروع ، مثل البوزو ، السوننكه ، السراخللي ، الديولا ، المالنكة او المادنكة ، الكاسونكو ، الباغانا ،

البمبرا ، الديالونكا ، الساموا ، الساموروهو ، السيا الخ ... وهم موزعون في المناطق الوسطى حتى حدود الغابات . وفيهم جميع انواع الطباع والعادات والاشكال .



زنجي من السودان الفرنسي

السونفو — يعيشون على ضفتي نهر النيجر في اعاليه ، ثم يمتدون جنوبا حتى بواكيه في شاطىء العاج . وهم على جانب كبير من البساطة والهدوء والصبر والخضوع .

شعوب الفولتا — اهمها التومبو ، الهابي الموسّي ، البوبو ، اللوبي ، الباريبا ، الغورنسي . معظمهم فلاحون بسيطون مثل السونوفو ، ولكنهم اكثر ميلا الى الحرية . وقد اشتهر اللوبي شدة البأس والطبع الحربي .

الهوسا — يعيشون بين نهر النيجر وبحيرة تشاد في السودان والنيجر وشمال نيجيريا وهم اقرب الزنوج الى البيض في عاداتهم واذواقهم . ويشتغل اكثرهم في الزراعة وتربية المواشي . ويسكنون مدناً كبيرة عامرة . ولهم ميل فطري الى الهجرة فترى تجارهم منتشرين في الصحراء وفي شمال شاطىء الذهب وشاطىء العاج .

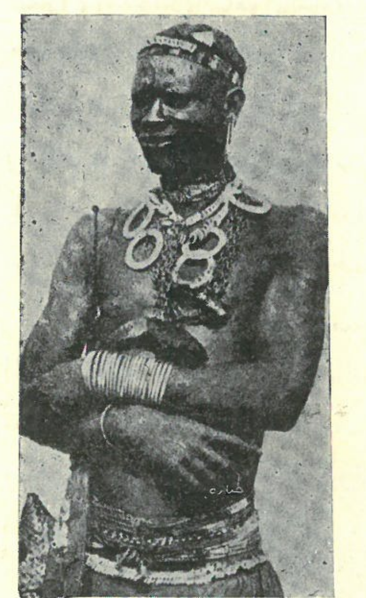
الاشانتي — يسكنون المنطقة الوسطى من شاطىء الذهب . وقد اشتهروا بالشجاعة وشدة البأس . ولم يخضعوا للسيادة الانكليزية الا بعد حروب دامية طويلة .

الولف — يعيشون في سواحل السنغال وفي مدن الداخلية الكبيرة . وهم اكثر الزنوج سواداً ، ذوو قامات عالية وعضلات قوية ، ولهم مقدرة غريبة على الاختلاط بغيرهم . واكثرهم يفضلون التجارة على غيرها ، ومع ذلك تجد بينهم مزارعين وعمالا .

ولما كان الولف اول الشعوب السوداء اتصالا بالاوروبي ، فقد فقدوا دهشتهم من

اختراعاته ، وتفتحت عيونهم على اسرار المدنية، لذلك تراهم متكبرين عنيدين ، يحتلون في حياة السنغال مركزاً ارفع مما يستحقون بالنسبة لعددهم

ويوجد في السنغال ايضاً السريري ، وهم اكثر خشونة من جيرانهم الولف . وفي الغينه وسيراليون توجد قبائل السوسو المعروفة بالنشاط في العمل، وبالبساطة والنعومة وليونة الاخلاق . واما الكرومن فمنتشرون في كل الشواطىء لا سيما في ليبيريا .


زنجي من قبيلة «السريري»

وهناك شعوب زنجية اعيدت من اميركا بعد تحرير العبيد ، مثل « الكريول » في سيراليون ، و «المحررون» في ليبيريا . وهم على جانب كبير من العلم والمدنية .

وهناك شعوب اصيلة بلغت درجة حسنة من الرقي بفضل التعليم ، مثل الاكراويين في شاطىء الذهب واليوربا في جنوب نيجيريا .

وجميع القبائل والفروع التي ذكرتها اعلاه تتفرع بدورها الى فصائل اخرى ، وكل منها غريب عن الآخر ، تفصلهم حياة الغاب والصحراء ، وتمزقهم الحزازات المتوارثة الدامية .


زنجيان من قبيلة «المندي» في سيراليون

الفصل الرابع

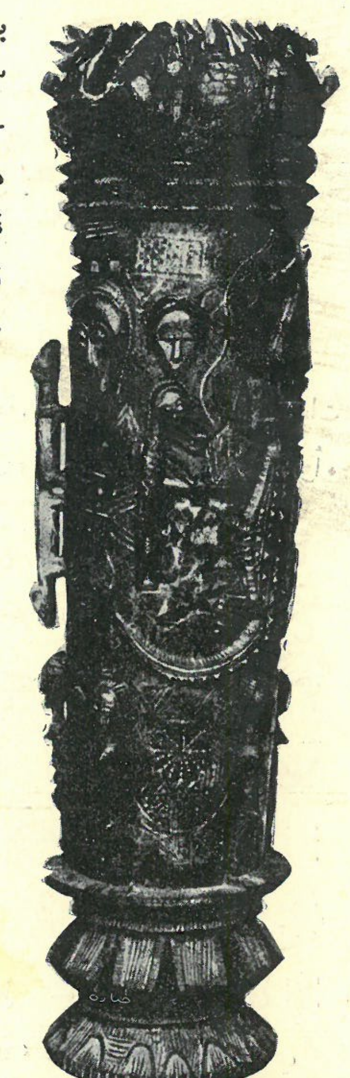
لغات الزنوج وادابهم وفنونهم

نخطىء اذا اعتبرنا ما يتكلمه الزنوج لغات صحيحة، فهم في الواقع يتكلمون لهجات شفوية بسيطة ، خالية من القواعد اللغوية والصرف والنحو ، لا تُكتب ولا تقرأ .

نموذج من الاحرف الهجائية التي وضعها « الفاي » في ليبيريا في القرن الماضي وحسنها بعض المبشرين الاميركيين .

وقد تكتب احياناً لغات الهوسا والمادنغا والولف بالاحرف العربية الكوفية ، وبعض اللغات الاخرى كاليوروبا بالاحرف اللاتينية . واللغة الزنجية الوحيدة التي تكتب

باحرف هجائية خاصة بها هي لغة قبيلة « الفاي » التي تعيش في ليبيريا ، فقد وضع بعض « ادباء » القبيلة احرفا هجائية خاصة بلغتهم في سنة ١٨٣٠ ، ثم حسنوها في السنوات التالية حتى اصبحت صالحة للاستعمال عملياً . وما عدا ذلك لا تزيد لغات الزنوج عن ضروريات المحادثة ، فتجد ان لكل قبيلة لغة ، و احياناً لكل قرية لغة . ففي شاطىء العاج مثلا يتفاهم الزنوج بالفرنسية لكثرة تعدد اللغات المحلية وتنوعها .



طبل (طمبور) مزخرف بنقوش جميلة ، من صنع احد الزنوج في بواليه (شاطىء العاج)

ويتكلم الزنوج في عواصم المستعمرات لغة الدولة الحاكمة ، ولكن بلهجات عامية تزيدها رطانتهم بعداً عن الاصل ، بحيث لا يفهمها من يعرف اللغة الصحيحة الا بصعوبة ، وقد لا يفهمها بتاتاً . واللغة العربية منتشرة في السودان والموريتانيا بفضل البيضان والطوارق، ويلم بها بعض الزنوج المسلمين في كل افريقية الغربية. وهم يكثرون من ترديد كلمة «الله» في احاديثهم ، ويستعملون الكلمات العربية في جمل القسم والمجاملة والدعاء .

وقد عكف بعض العلماء والمبشرين على درس لغات العبيد وحاولوا وضع قواعد لها . ولكن مساعيهم لم تقترن بالنجاح بصورة اجمالية ، ووجدوا ان تعليم العبد اللغة الانكليزية او الفرنسية اسهل عليهم من تعليمه لغته الاصلية كتابة وقراءة .

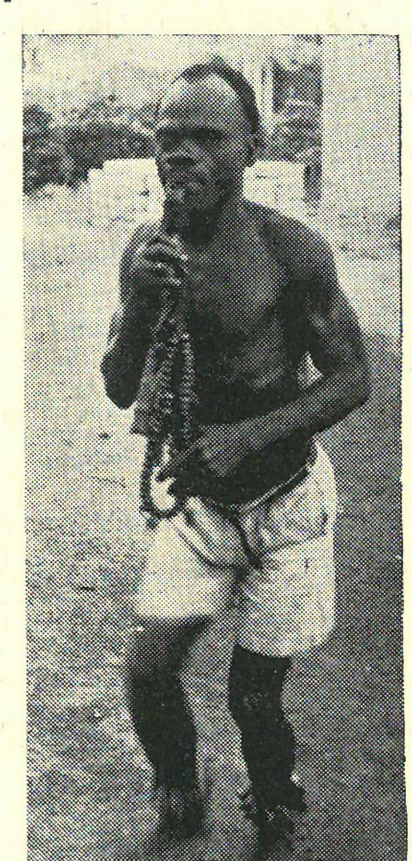
ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة ان لا توجد اداب مكتوبة في لغات الزنوج . ومع ذلك فان بعضها غني بالمعاني الشعرية وبالامثال والحكم. وفي كل

الفن الزنجي الاول : الرقص

(خمسة الوان من الرقص الزنجي بريشة الفنان رأفت بحيري)

قبيلة شعراء يحفظون الاخبار والروايات المتوارثة ابا عن جد . وتوجد عند بعض القبائل فئة خاصة من الشعراء المحترفين ، مهنتهم مدح الناس اذا بذلوا لهم ، او هجوهم اذا حبسوا عنهم العطاء . وقد شاهدت احد هؤلاء الشعراء يتجول في شوارع دكار ، وينتقل من هذا لذاك ، فيبادر الجميع الى ارضائه سلفاً خوفا من لسانه .

ويقول هنري بوردو في كتابه « الملحمة السوداء » ان لغة الولف هي اخف لغات الزنوج على الاسماع . ولكنني وجدت عكس ذلك ، لان الجيم المصرية والغين والكاف والقاف وغيرها من الاحرف الثقيلة تتردد فيها بكثرة . ولا انكر ان في « الولف » كلمات وجمل ناعمة ، ولكنني اعتقد ان لغة السوسو هي انعم الجميع . وفيما يلي نموذج من لغة الولف .



زنجي اعمى يرقص وينفخ في المزمار

ــ دجو جم ؟ (كيف الحال)

ــ باخنا طرب (حسن جداً)

سوباناصوما يي أي : انا احب والدتي .

سوبانا صوما فاو : انا احب حبيبي .

وفيما يلي طائفة من الامثال الزنجية الحكمية المنتشرة بين التكلور والسريري والمادنغا والهوسا . وقد جمعتها من افواه بعض الزنوج المتعلمين :

ثلاثة امور هي اثمن شيء في هذا العالم : الصحة ، الاتفاق مع الجار ، صداقة الجميع .

ثلاث صلات يجب قطعها : الصلة مع المرأة ، الصلة مع الملك الكبير ، الصلة مع الجن .

المرأة لا تستحق الثقة ، فما قد تقوله

لك تكن قد قالته لمثيلك .
اذا وقف الحمار على رأس حوافره لا يبلغ علو الجمل .
الهرب من الخطر ضرب من الشجاعة .
مهما طار العصفور وحلق في الجو فسيعود الى الارض حتما .

ويلاحظ القارىء ان هذه الامثال تدل على سذاجة فطرية ، ولكنها تخفي حكمة عميقة لا تختلف عن الحكمة التي تنطوي عليها ارقى الامثال العربية والاوروبية .

ومما يجدر ذكره ان اكثر اسماء الزنوج عربية ، محرفة قليلا عن اصلها ، مثل : محمدو ، حيدرا ، عبد اللهي ، عثمانا ، عليا ، عائشتي ، فاطو (فاطمه) زينبوه .

الفن الزنجي — لما كان الدين الاسلامي يحرم التماثيل ، فاننا لا نجد عند الشعوب الاسلامية الزنجيه اي اثر للحفر والتصوير ، ما عدا بعض النقوش المزخرفة . اما عند الشعوب الوثنية فان المظاهر الفنية غزيرة ، بسبب ارتباطها الوثيق بالحياة الدينيه . وهي تتجلى في تماثيل الالهة والقوى الطبيعية والاقنعه ووسائل التنكر عند ممارسة الطقوس الخ .

ويلاحظ الخبراء ان هذه الفنون جافة في المناطق الصحراوية ، بينما هي اكثر مرونة ودقة في الغابات .

ويوجد في سواحل المنطقة المعروفه قديماً باسم منطقة بانان (شاطىء العاج والتوغو والداهومي والكمرون) نوع من الفن الراقي . وقد شاهدت تماثيل نحاسية في الداهومي تمثل مشاهد من الحياة العامة ، مثل المزارع والصياد والمرضع .

وتجب الملاحظة بان الزنجي فنان في طبيعته ، واذا كانت ظروف المحيط قد حالت دون اتجاه فنه الى ناحيه النقش والحفر ، فان اهليته الفنية تبدو في ميله الفطري الى الرقص والموسيقى . أليس الرقص الزنجي من اصعب انواع الرقص في العالم كله ؟

وقد هاجر بعض الفنانين الاجانب الى افريقية ، وهم يعملون الآن في نقش التماثيل الحجرية والخشبية بمساعدة تلامذة زنوج ، وقد زرت «ستديو» احدهم في شاطىء العاج ، فشاهدت مهارة الزنوج الفنية وثبت لي ان دخول المدنية الى افريقيه سيجعل للفن الزنجي مركزاً رفيعاً في القريب العاجل.

الفصل الخامس

عقلية الزنوج واديانهم وحياتهم الاجتماعية



اشجار « البالميست » اهم ثروة اقتصادية في غابات المناطق الساحلية الافريقية وهي شبيهة بالنخيل ، ولكنها تحمل بدلا من التمر بزوراً سوداء يستخرج منها زيت احمر يستعمله الزنوج في طعامهم، وتستخدمه الصناعة الغربية لحاجات كثيرة .

كما ان لكل شعب من شعوب الارض خصائص نفسية واخلاقية ناشئة عن اختلاف الظروف والمؤثرات والعوامل التاريخية والاجتماعية ، فللشعوب السوداء خصائص من ذلك النوع ، لا سيما وان الزنوج يمثلون الآن عالماً قائماً بنفسه ، بعيداً عن العالم الابيض في كل صفاته الاجتماعية والاخلاقية . وسأحاول في هذا الفصل اعطاء القارىء فكرة عامة عن هذه القضية .

عقلية الزنجي وطباعه — طباع الزنوج تختلف باختلاف المكان ، ولكنها في روحها واحدة عند الجميع ، تتجلي فيها صفات رئيسية عامة مثل : اهمال شديد ، عدم اكتراث بكل شيء ، خفة ظاهرة ، عجز مدهش عن حصر الاهتمام بامر من الامور او عن توحيد الافكار ووصلها بعضها ببعض ، انانية ساذجة قد تتحول الى كرم حاتمي او الى كبرياء فارغة ، سرعة انفجار العواطف والتعبير عنها عند انفجارها بشكل حيواني الخ •

والزنجي هو عبد العالم المادي ، لذلك يؤثر عليه المحيط كثيراً • فترى زنجي الغابات عنيداً يتحدى كل شيء ، هادئاً حزيناً في بعض الاحيان ، بينما ابن السهول دائم المرح والبهجة • وكلاهما على كل حال يحب الاغراق في اللهو ، فترى حلقات الرقص منتشرة ليل نهار ، كلما شبع العبد عمد الى الرقص حتى يجوع ، وكلما سمع طبلا او غناء بادر للاشتراك فيه • وترى ابن البر خدوما قنوعا ، بينما عبد المدينة على جانب كبير من الصلف وحب التقليد •

ومن صفات العبد البارزة الكرم • يشرك بطعامه كل وافد ، ولا يبخل على احد مما عنده • هو يعتقد ان رزق اليوم لليوم ، ورزق الغد للغد ، فينفق كل ما في يده دفعة واحدة ولو بلغ الالوف مما قبضه ثمناً لمحصولاته • ولا ريب ان هذه العادة هي ركن الثروة التجارية في افريقيه الغربية •

وفي العبيد اجمالا وعبيد الغابات خاصة ، خمول متوارث ناشيء عن سهولة المعيشة فالعبد لا يقبل على الشغل القاسي الا مرغماً ، ولو كان السود يشتغلون كالبيض لما كانت افريقيه بحالتها الراهنة • ولكن العبد لا يشتغل الا عند الضرورة القصوى • ولماذا تريدونه ان يشتغل ؟

اذا جاع ، يجد كل انواع المآكل والثمار والحيوانات مجاناً في الحرش !
اذا عري ، يجد الالياف في الحرش !
اذا اراد ان يشرب يجد ألذ الشراب في عصير اشجار الحرش !
اذا اراد بناء بيته يجد الاخشاب اللازمة في الحرش !
اذا مرض يجد الدواء والعقاقير في حشائش الحرش !

الحرش ! هو فردوس العبد ، فيه كل حاجاته ، فلماذا يتعب نفسه ويشتغل ؟

أليست السعادة في القناعة ؟ ولولا بضاعة الابيض البراقة كالاقمشة الزاهية والالاعيب المزخرفة ، لما عمد العبد الى جني بعض المحصولات الطبيعية — من الحرش ايضاً — ليبيعها من الابيض ويشتري بثمنها بضاعته •

واذا تحرر العبد من محيط حياته القديمة واختلط بالابيض ، فانه يكشف عن



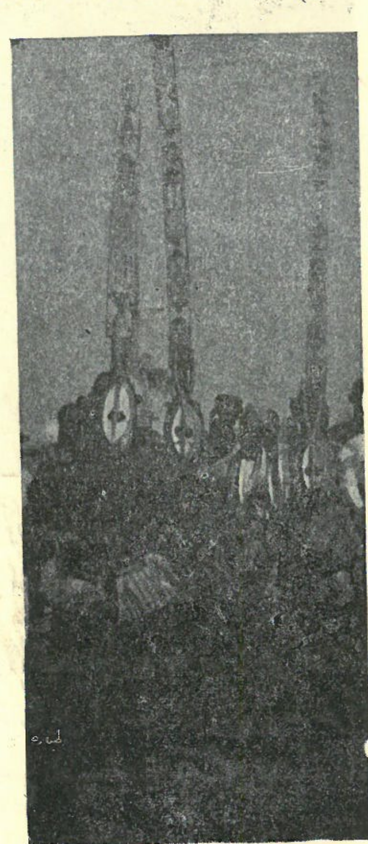
كهان وثنيون في شاطىء العاج يمارسون طقوسهم الدينية ، وهم متنكرون بالاقنعة والملابس الفضفاضة المزخرفة

ذكاء مدفون ، واستعداد سريع للاندماج في المحيط الجديد ، وقبوله على علاته • ويعتقد البيض ان عوامل الجغرافيا والتاريخ فرضت على الاسود ان يكون متأخراً ، ولكن حوادث السنوات الاخيرة دلت على ان حكم الطبيعة عليه لم يكن نهائياً ، وانه قابل للتبديل الايجابي السريع •

وفي خلق العبد ناحية ايجابية يستفيد منها من يعرف كيف يعالجها بحكمة ، فالعبد مستعد لاظهار كل ما في نفسه من الاخلاق الرضية والود والاخلاص والوفاء والتساهل

اذا عرف سيده كيف يستولي على عواطفه . ولكن هـذه الصفات ليست موطـدة فيه ، فقد يفور العبد فورة واحدة تقضي على كل ما ابداه قبـلا من الخلق الحسن . وما اكثر فورات العبيد وتقلباتهم !

وفي العبيد غريزة يصعب تبديلها قبل بضعة اجيال . وهي السرقـة . فالعبد مغرم بسرقة الاشياء البسيطة ولو من اعز الناس عليه . فقد يكرم الابيض خادمه الاسود ويغدق عليه العطاء والنعم ، ثم يستيقظ ذات صبـاح فيجـد ان العبد سرق بعض الاواني الحقيرة وفر بها هاربا او سرق ثوبا من بضائع المحل او ما شابـه . ومع ذلك فان الامن سائد في كل افريقيه الغربيـه ، لا يعتدي احـد على الابيض ايان كان . وقـد رأيت بعيني بعض مهاجرينا يعيشون في اعماق الاحراش مع العبيد ، في حوانيت متداعية ، لا يتعرضـون لأعتـداء . وفي ايام المواسم يتجول تجارنا وفي جيوبهم الوف الفرنكات او مئات الليرات دون ان يمسهم احـد بسوء . فالعبد كما اسلفنا لا يسرق الا الاشياء الحقيرة. يفضل سرقة حذاء عتيق على سرقة مئة ليرة واذا ارتكب سرقة كبيرة واعتقله البوليس فانه يعترف فوراً بجريمته . لطمة واحـدة تكفي لفتح فمه ، فيسرد الحكاية من الالف الى الياء، ويقر باسماء رفاقه ان كان له رفاق.



نموذج آخر من ملابس السحرة والكهان الوثنيين في الغولفا العليا

وقد تدل هذه السرقة على نوع من الدناءة وهذا صحيح . ففي اخلاق بعض العبيد دناءة غريبة. فقد يكون العبد متعلماً صاحب راتب شهري كبير ، ومع ذلك فانـه لا يتردد عن قبول رشوة حقـيرة ، او المطالبة (بالبخشيش)

لمناسبة او لغير مناسبة .

على ان عقلية السود المتحدرين من اصل ابيض تختلف عن عقلية الزنوج . فترى البيضاني نبيل الخلق ، يعرف الشرف ويتصف بالصفات السامية مع المحافظة على كثير من الدهاء في اعماق نفسه . وتجد الطوارقي متمرداً متكبراً . اما الفلاني فانه ذكي متحفظ في طباعه لا يميل الى اللهو الصاخب ، ويصعب النفوذ الى اسرار قلبه ولا يوجد بين الزنوج سوى عنصر واحـد يحافظ على الامانة والوفاء ، وهـو عنصر الهوسا لذلك تعتمد عليهم الحكومة الانكليزية في جيوش المتطوعة .



المؤلف بجانب « الدابل » في اواسط سيراليون وهي عبارة عن تمثال خشبي يعتقد الزنوج انه يحمي المزروعات

اديان الزنوج — قال الرحالة الانكليزي الشهير ليفنغستون مكتشف افريقيه الشرقية والوسطى : « ثلاثة امور رئيسية لم اجـد فيها فرقا بين الابيض والاسود : الله ، والعـائلة وعاطفة الحب». وهذا القول صحيح الى حد ما . فالعبيد يؤمنون ايمـاناً اعمى بالدين مهما كان نوعه ، ويحبون عائلاتهم كـثيراً ، كما ان عاطفة الحب تملك عليهم الكثير من احساسهم .

اما من حيث الدين فان في نفس العبد روحية دينية مدهشة ، تسود حياته الشخصية وحياته العامة سيادة مطلقة . ولا عجب فان الاغراق في الايمان الديني بلا مبرر هو نتيجة طبيعية للجهل. ويقسم العبيد ديناً الى ثلاثة اقسام: الوثنيون، المسلمون، المسيحيون.

الوثنيون — الوثنيون منتشرون بصورة خاصة في المناطق الجنوبية ، مثل جنوب نيجيريا وشاطىء الذهب وشاطىء العاج . وهم يؤمنون اجـمالا بوجود الله واحد ويعتبرونه خالق العالم ، ولكنهم لا ينظرون اليه نظرتهم الى السيد الذي يحكم ويسود

ويأخذ ويعطي كما يشاء ، ولا يلجأون اليه في ادعيتهم وتمنياتهم •

هم يعتقدون ان العالم مسكون بالارواح: ارواح الاموات، ارواح القوى الطبيعية كالعواصف والامطار والصواعق والشمس والقمر والكواكب والنار الخ • وان هذه الارواح تسكن اوثانهم (الفتيش) • فهم في الحقيقة لا يعبدون الوثن نفسه، بل الروح التي يتوهمون انها اختارته لسكناها •

واوثان العبيد مختلفة باختلاف المناطق، وكذلك معتقداتهم فيها وفي قوتها . وتتجلى هذه المعتقدات في اعمال السحر التي يمارسها الكهان والسحرة في كل قرية او قبيلة • وهؤلاء هم الذين يضعون الشرائع الدينية للعبيد ، فيمنعونهم من اكل هذا الحيوان او ذاك النبات ، ويحظرون عليهم القيام في اليوم الفلاني بالعمل الفلاني ، ويدعونهم الى تضحية ما يرونه مناسباً لارضاء ذاك الاله الغاضب او لتحقيق حاجة منشودة الخ.

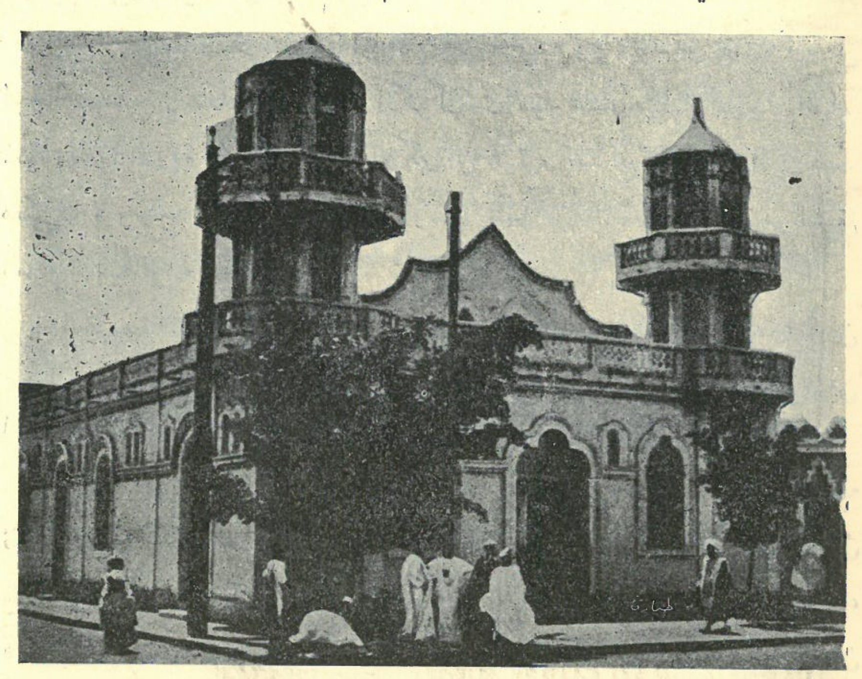
ويعتقد الوثنيون ان الامراض تأتي من «العين» او من دخول الارواح الشريرة – سواء كانت ارواح الاموات او الاحياء – في الانسان ، وان الكهان والسحرة قادرون على طرد هذه الارواح بسحرهم • فترى كل زنجي يحمل سلسلة من التعاويذ والتمائم التي يبيعها الكهان ، هذه لصد الارواح الشريرة ، وتلك للوقاية من الامراض او العاهات ،وقس على ذلك • واحياناً يحمل الواحد منهم عشرات التعاويذ في آن واحد ليصد عن نفسه كل اذى ، وليس في التعويذة سوى حفنة من التراب او قطعة العظام او ورقة عليها خطوط لا معنى لها •

ويعتقد الوثنيون ان الكهان قادرون على عناصر الطبيعة ، فيقنعونها بالامطار اذا طال الجفاف ، وبالاقبال اذا محل الموسم ، وغير ذلك • وكانوا في القديم يضحون بالضحايا البشرية في الحفلات الدينية او على قبور الاموات او في ظروف اخرى • ولكن صرامة الابيض وضعت حداً لتلك العادات الوحشية ، وان كان الكثير من القبائل النائية لا يزال يمارسها سراً •

ويضيق بي هذا الكتاب اذا تبسطت في سرد خرافات العبيد ، فهي اكثر من ان تحصى • والغريب انهم يؤمنون بها ايماناً اعمى ولو ثبت عجزها . يكفي أن يعلق احدهم

صوصاً مشنوقا او ورقة عليها طلاسم او تمثالا خشبياً امام غلته لتصبح في مأمن من كل سرقة ، ومن يسرق يعتقدون انه يموت !

ولا يموت السارق طبعاً اذا سرق ، ولكنه اذا مات فيما بعد فانهم ينسبون موته الى خطيئته القديمة مهما طال عليها الزمن • وهم يؤمنون ان الميت يتقمص ويعيش حياة



مسجد من المساجد الكثيرة في دكار • وتبني الحكومة الفرنسية الآن مسجداً عظيما على طراز مسجد « اياصوفيا » يكلف عدة ملايين من الفرنكات

ثانية بعد الموت اما بشكل انسان او بشكل آخر ، لذلك يقدسون موتاهم ، ويزودونهم بالمآكل والملابس والهدايا لكي يستعينوا بها في الحياة الثانية !

المسلمون — وصفت في الفصل الثاني كيف دخل الاسلام افريقيه الغربيه ، واصبح سكانها مسلمين . ولكن معظمهم لا يفهمون من الاسلام غير الاسم ، فترى

الكثير منهم يصلون الفروض الخمسة ، وبعض اغنيائهم يحجون الى مكة دون ان يفقهوا شيئاً من تعاليم الديانة الصحيحة . واذا استثنينا بعض مسلمي السنغال ونيجيريا وجدنا ان الباقين مسلمون بالاسم فقط ، لا يصلون ولا يحافظون على تعاليم القرآن الكريم ، ويرتكبون كل المآثم .

والعبد بطبيعته الفطرية قريب الى الدين الاسلامي . ولو وجد من يلقنه اياه على الوجه الصحيح لاستفاد كثيراً . ولا انكر ان لدى العبيد علماء ومشايخ كثر بينهم افراد لمعوا وبلغوا الذروة . ولكن القسم الاكبر من هؤلاء يحتاج الى درس الدين درساً مضبوطاً . وتوجد الان حركات قوية لارسال بعثات من الشباب الى الازهر لتلقي العلوم الدينية فيه .

والعقيدة الاسلامية عند اكثر الزنوج لا تزال ممزوجة بالخرافات الموروثة من عهد الوثنية ، فترى الزنجي المسلم مشحوناً بالتمائم كالوثني ، يؤمن بمقدرة الشيخ كما يؤمن الوثني بمقدرة الكاهن .

كنت مرة في زيارة احد اصدقائي في فريتون ، فجاء خادمه الاسود وقال انه فقد بنطلونه ، وانه يحتاج الى شلنين لكي يعطيهما الى الشيخ حتى يدعو على سارق البنطلون فيموت . وحاولنا اقناع العبد بأن السارق لن يموت من هذه الدعوة ، فتحطمت حجتنا عند اصراره . هذا شاهد بسيط اقتطفته من نفسي ، وهو واحد من ألوف .

ولم يحافظ الدين الاسلامي على بعض صفاته الصحيحة الاصلية الا عند قبائل البيضان والطوارق والبول ، اي عند القبائل غير الزنجية ، ذات الاصل الابيض . وتوجد في مختلف البلدان الزنجية الاسلامية آلاف المساجد . وهي تتراوح بين مباني ضخمة عظيمة وبين اربعة اخشاب مرصوفة على الارض بشكل مربع فقط .

المسيحية — في كل افريقيا الغربية بعثات تبشيرية اجنبية ، دخلت مع الاستعمار الاوروبي او قبله ، وهي تمارس مهمتها بكثير من النشاط والنجاح . وقد حصرت اكثر عملها في المناطق الوثنية ، لان الزنوج المسلمين شديدو التعصب لدينهم اذا

تحداهم فيه احد .

وما يقال عن الزنوج المسلمين بشأن الخرافات القديمة، يقال عن اخوانهم المسيحيين فهم يحافظون عليها رغم ان اكثرهم متعلمون ، وقد يذهب العبد يومياً الى الكنيسة ويصلي طول النهار ، ولكن ذلك لا يمنعه من السرقة او من تزوج خمسين امرأة اذا استطاع . والواقع ان السرقة وتعدد النساء داءان متأصلان في العبد ، لم تتمكن الاديان من القضاء عليهما ، ولن يزولا الا بتأثير العلم .

تحدث الاسقف « اغوارد » الفرنسي عن قضية الزواج فقال : « قضيت عشرين عاما وانا ادعو الزنوج المؤمنين للاكتفاء بامرأة واحدة والعدول عن السرقة فلم افلح ، وظلوا دائماً يدعون لي قائلين : جعلك الله سعيداً كل يوم ، واعطاك الغنى



كاتدرائية « الذكرى الافريقية » الفخمة في دكار . وقد دشنها الكاردينال فارديه في سنة ١٩٣٦

لكي تتزوج نساء كثيرات ، ومنحك المهارة لان تسرق دون ان يراك احد ! »

وروى الاسقف نفسه ان شيخ احدى القرى اعتنق الدين المسيحي على يديه ، وكان له زوجتان ، فابى ان يتخلى عن احداهما . وذات يوم عاد الاسقف الى القرية من رحلة طويلة ، فاستقبله الشيخ في الضاحية وقال له :

— لقد فعلت ما طلبته مني ، ولم يبق عندي سوى امرأة واحدة .

— اذن قد طردت الاخرى ؟

— كلا ، لقد اكلتها !

ويتساهل الزنوج في الدين الى حد بعيد ، فترى في العائلة الواحدة والداً مسيحياً ووالدة مسلمة ، والاولاد موزعين بين الدينين ، الابناء يتبعون دين الاب والبنات دين الام في اكثر الاحيان . ولا غضاضة في نظرهم من هذه الوحدة او من التزاوج بين مختلف الاديان .

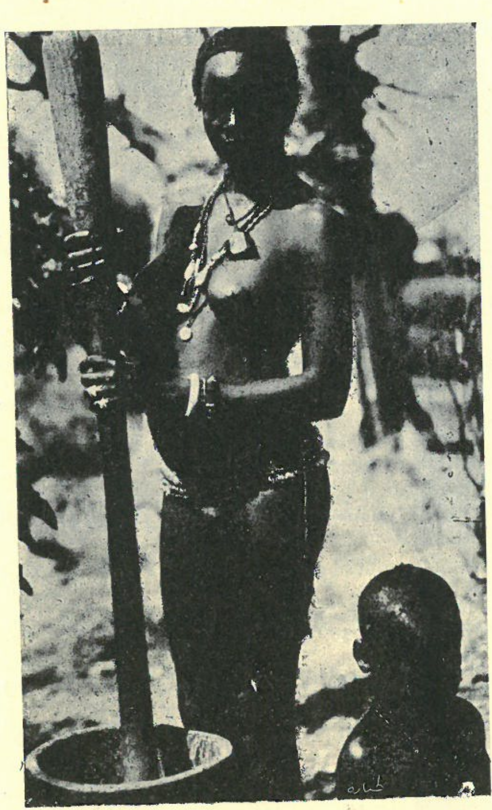
العائلة والزواج عند الزنوج — اول ما يلفت الانظار في القضية العائلية تعدد الزوجات . فالزنجي يتزوج بقدر ما يستطيع . وكلما توفر لديه بعض المال بادر الى التزواج به . ومشترى المرأة هو الطريقة الشائعة في الداخلية ، فيدفع طالب الزواج ثمنها الى شيخ البلدة او شيخ العائلة او الى والديها او اليها . وهو يتراوح بين ثلاثين فرنكا والف فرنك ، حسب «البضاعة» .

وكما ان الرجل يكثر من النساء ، كذلك المرأة المتزوجة لا ترى عيباً في الاكثار من العشاق بلا قيد ولا شرط الا فيما ندر ، والبتولة لا تعني شيئاً في نظرهم . ولا عجب فان الغريزة الجنسية عنيفة جداً عندهم ، وحياتهم الفطرية تحول دون فرض القيود عليها .

والمرأة الزنجية خادمة امينة لزوجها ، تشتغل كالحيوان طول النهار ويظل هو نائماً في الكوخ . وهي تلد الاولاد باستمرار ، الواحد تلو الاخر بلا حساب . ولماذا « الحساب » والرزق مباح للجميع ؟ على انه في بعض المناطق لا تسمح المرأة لزوجها بملامستها الا بعد سنتين من ولادة الطفل ، وتعتقد ان طفلها يموت اذا لامسها احد

خلال تلك المدة .

والام هي اساس القربى في العائلة . فالابن يعرف مثلا من هي امه ، ولكن لا يعرف اباه ، بل حتى الام نفسها قد تعجز عن تمييز والد ابنها من بين عشاقها الكثيرين . وهكذا يورث الرجل ما عنده لابن اخته لانه لا يثق ان ابنه هو ابنه ، بينما يثق ان ابن اخته هو على كل حال من اخته اياً كان والده وقس على ذلك .



زنجية تدق «الدخن» في جرن خشبي . والدخن شبيه بالذرة البيضاء ، ويحل في غذاء اكثر الزنوج محل الدقيق عندنا .

ويعيش الزنوج كتلاً وجماعات ويندر ان تعيش العائلة وحدها . ولكل قرية شيخها ، وهو السيد المطلق فيها ، والقائم على كل ما فيها . والاملاك مشاع للجميع وحق الملكية الفردية محصور في الاراضي المجاورة للمنزل فقط . فالاشتراكية الصحيحة سائدة من هذه الناحية سيادة كاملة في القرى والداخلية . اما في المدن فان الملكية تابعة للقوانين البيضاء .

طعام الزنوج — يتألف طعام العبيد من الخضروات واللحوم . الخضروات : كالارز والدخن والجذور (اليام والمانياك والكسادا الخ) والبطاطا والموز . واللحوم على اختلاف انواعها ، من لحم الانسان — اذا امكن — الى لحم الافاعي والديدان .

والسمك كثير في الانهر والبحار ، لاسيما في شواطيء السنغال . ويمكن القول بان طعام العبد مؤمن في كل الاوقات ، ولو وقعت الحرب ودامت عشرات السنين .

وشرابهم العادي هو الماء ، ولكنهم يشربون ايضاً الخمرة المستخرجة من اشجار البالميست (البانغي) وغيرها من النباتات . ويدمن زنوج المدن على شرب الكحول ويسيئون استعمالها بصورة ظاهرة .

ويدمن اكثر العبيد على أكل ثمرة تدعى «الكولا» وهي صغيرة الحجم كالجوز او كالحصوة الكبيرة ، حمراء او بيضاء، طعمها شديد المرارة في البدء . ومن خصائصها ايقاظ الاعصاب كالقهوة . وتكاد تكون الكولا من ضروريات الحياة عندهم، يشترونها بأي ثمن كان . وقد يحرم العبد معدته من الطعام طول النهار ويقنعها بحبة كولا صغيرة .

لباس الزنوج — اللباس الطبيعي للزنوج هو العري الكامل ، مع خرقة صغيرة على العورة ، او ورقة شجرة او عقد من الخرز او تعويذة . ولا يزال هذا «اللباس» سائداً في جميع مناطق الداخلية والغابات .

وتعويضاً عن الثياب يزين بعضهم انوفهم وشفاههم واذانهم بالحلق، وخدودهم بالشقوق وصدورهم بالوشم . وقد منحت الشمس اجسام العبيد صلابة متوارثة ، يتحملون معها كل تقلبات الجو . وتبدو هذه الصلابة بصورة خاصة في قسوة جلودهم ، وصلابة صدور فتياتهم .

ويغطي بعض العبيد المسلمين اجسامهم كلها بالملابس ، وبعضهم يرتدي ملابس شبيهة بالملابس البدوية العربية ، او بملابس البيضان .

بيد ان الملابس الاوروبية منتشرة في المدن ، ممزوجة بأثار اللباس الزنجي القديم مع جهل فاضح في استعمالها . وليس من النادر ان ترى زنجياً يلبس قفطاناً فوق السترة او «رادنكوت» فوق قفطان . اما لباس النساء فانه اغرب ما في لباس العبيد ، اذ قد تجد في شارع واحد جميع انواع القبعات والعمائم والطرابيش الموجودة على سطح الارض !

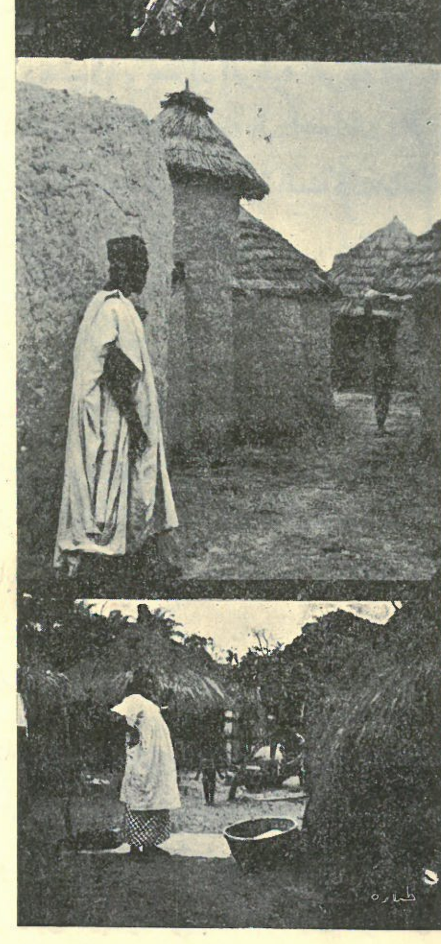
وتتبرج الزنجيات وتغرقن في التفنن بالملابس في المدن ، وتتبعن تطورات «الموضة» الخاصة بهن . ولا تتردد الواحدة منهن عن مشترى ثوب كل شهر اذا ظهر لون جديد او طبعة قماشية جديدة .

وقد ترتدي الواحدة منهن الفسطان فوق الفسطان، والقميص فوق القميص حتى تصبح مجموعة من الالوان والازياء وهذا التنوع هو في نظرهن دليل الاناقة والذوق والغنى .

سكنى الزنوج — في المدن يسكن الزنوج في المنازل العادية او في اكواخ مصنوعة من التوتيا او القرميد . اما في الداخلية فتوجد جميع اشكال المساكن التي يمكن صنعها من القش واللبن واغصان الاشجار والخشب .

واكواخهم في الداخلية خالية من كل اثاث او جهاز، سوى بضع قصعات من اليقطين ، وبساط ينام عليه الواحد منهم في الليل ويتستر به في النهار .





الى اليسار من الاعلى الى الاسفل :
عمال « يلطشون » احد المنازل باللبن .
شارع في بلدة زنجية في داخل السنغال .
مشهد في قرية سنغالية .

الفصل السادس

اساليب الاستعمار الانكليزي و الاستعمار الفرنسي

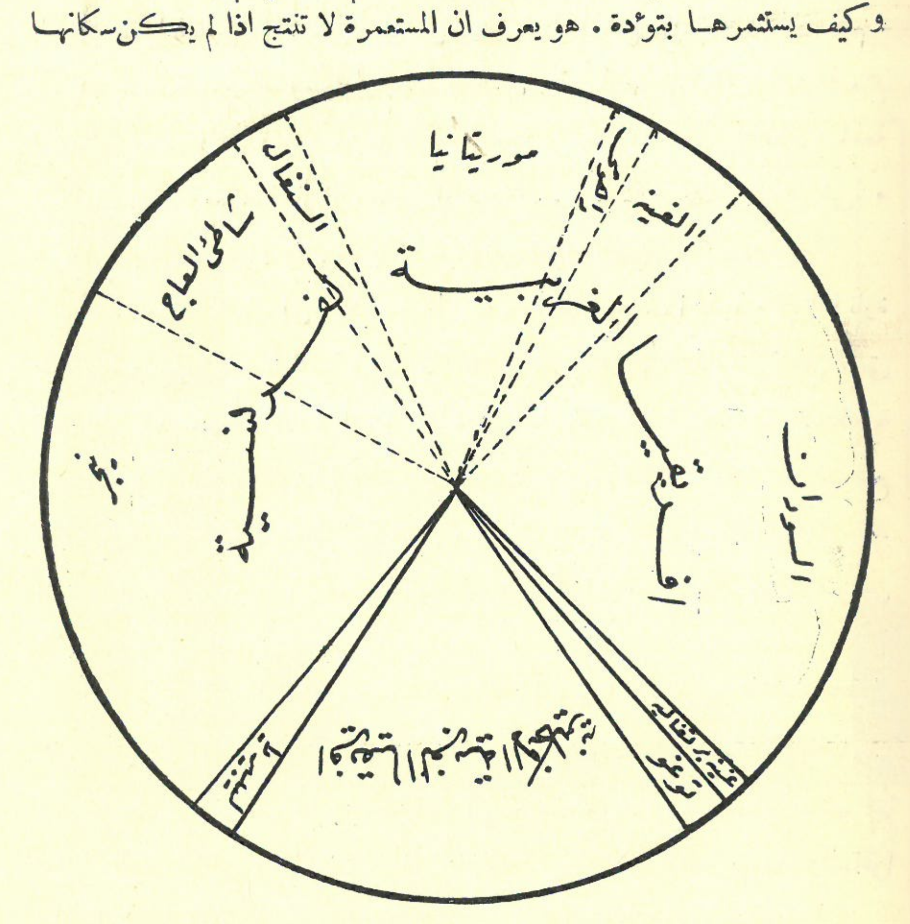
اذا استثنينا الغينيه البرتغالية وجمهورية ليبيريا ، نجد ان افريقيه الغربيه كلها تنقسم بين ممتلكات فرنسية وممتلكات انكليزية . وتبلغ مساحة الممتلكات الفرنسية ٤٧٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها ١٤ مليوناً . ومساحة الممتلكات الانكليزية ١١٦٤٠٠٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها ٢٥ مليوناً .

ورغماً عن ان المستعمرات الفرنسية اوسع مساحة من المستعمرات الانكليزية باربعة اضعاف ، فان الثانية اكثر غنى منها . والدليل على ذلك ان كل المستعمرات الفرنسية صدّرت في العام الماضي ما قيمته ١٣٠٠ مليون فرنك تقريباً ، بينما صدرت جاراتها الانكليزية ما قيمته ٥٠٠٠ مليون فرنك . ويعزى هذا الفرق الشاسع الى فقر الثروة الطبيعية في المستعمرات الفرنسية ، وقلة عدد سكانها ، وحداثة عهد التطور الاقتصادي فيها . ويمكن للقارىء المقابلة بين احوال المستعمرات من الجدول المنشور في مكان آخر من هذا الفصل .

اساليب الاستعمار الانكليزي — تحكم فرنسا مستعمراتها حكماً مباشراً ، اما انكلترا فانها تحكمها بالواسطة تحت ستار الحماية والوصاية ، اي انها تترك للمقاطعات استقلالها الداخلي وتقنع بتأمين مصالحها الاقتصادية . والواقع ان الانكليز يضعون نصب اعينهم هدفا رئيسياً للاستعمار وهو زيادة الثروة الانكليزية وتوطيدها . فهم جاؤوا الى افريقيا لا ليزيدوا غنى المستعمرات ، بل ليزيدوا غنى بلادهم . وللوصول الى هذا

الهدف يستعملون وسائل تختلف باختلاف الظروف .

وقد عرف الانكليزي المتمرس في اساليب الحكم كيف يحكم مستعمراته بهدوء ، وكيف يستثمرها بتؤدة . هو يعرف ان المستعمرة لا تنتج اذا لم يكن سكانها



مقابلة رمزية بين مساحة المستعمرات الفرنسية ومساحة المستعمرات الانكليزية

مرتاحين ، واذا لم تكن اسباب المواصلات فيها متوفرة ، ومصادرها متنوعة ، وحكومتها ثابتة ، وادارتها موكولة الى خبراء ماهرين . فترى الانكليز يعتنون باقتصاديات البلاد من الاساس ، وينتهجون سياسيات اجتماعية تفيد السكان مباشرة ولكن الغرض الاساسي منها هو الفائدة غير المباشرة التي تنالها المصالح الانكليزية

عاجلا او آجلا . هم يزرعون اليوم ليحصدوا اليوم اذا امكن ، او غـداً اد بعد مئة سنة لا فرق . المهم ان يحصدوا ..

وفيما عدا ذلك يبتعدون عن مس كل ما من شأنه ازعاج راحتهم واقلاق بالهم . تراهم يتجنبون تعديل اساليب الحكم بين الاهلين ويتركونها على حالتها القديمة . هم يحكمون بطريقة الحمـاية ، ولكن نفوذهم مضمون على كل حال ، ففي كل مقاطعة انكليزي واحد باسم مستشار او مفوض او مندوب . ولكنه مسيطر على كل شيء . هو يحكم بهيبة انكلترا فقط ، مع بقائه بعيداً عن امور الاهلين .

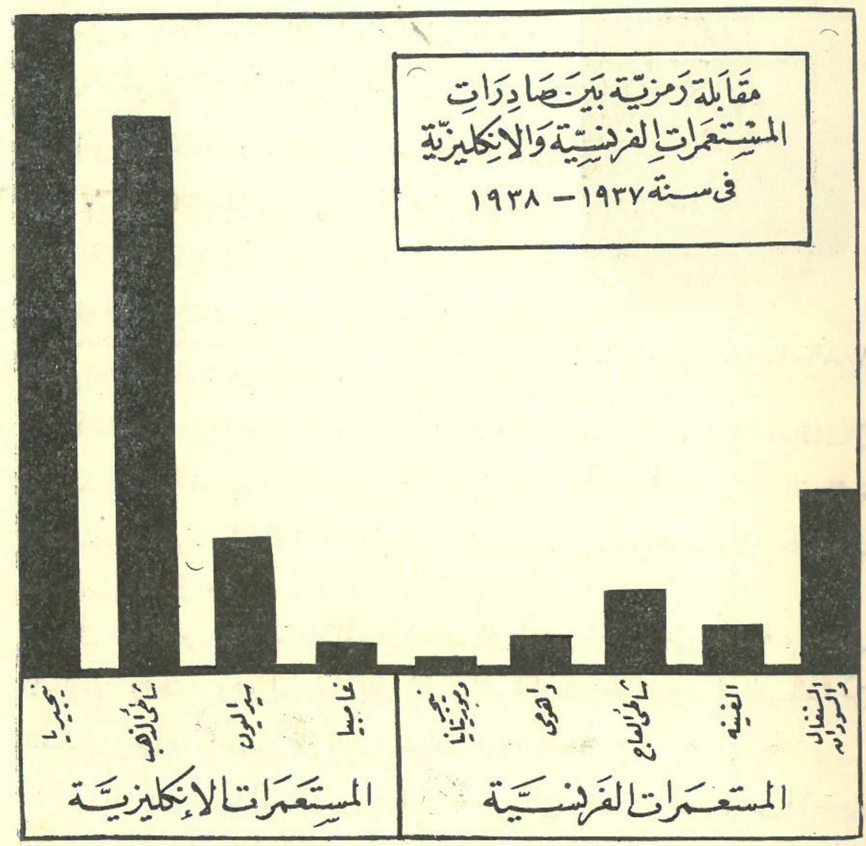
هذه السياسة تحتاج الى كثير من المرونة ، وتتطور حسب الحاجة . فتراها تارة ظالمة وطوراً عادلة ، حيناً قاسية وحيناً متساهلة ، تعرف متى تأخـذ ومتى تعطي ، متى تشد ومتى تحل . ويجب الاعتراف بان هذه السياسة عادت على المستعمرات الانكليزية برفاهية مادية متينة ، ولكنها لم تخلق بين المستعمر ورعاياه صلات وثيقة ، بسبب تمنع الانكليز عن الاحتكاك مباشرة بالاهلين . ولا ادري اذا كانت هـذه السياسة تعد المستعمرات لبلوغ درجة الدومينيون او للبقاء على حالتها الراهنة ، وان كان الافتراض الاول اقرب الى المعقول .

اساليب الاستعمار الفرنسي — اما فرنسا فان اسلوبهـا الاستعماري يختلف كل الاختلاف عن الاسلوب الانكليزي . انها لا تكتفي باعتبار مستعمراتها املاكا تابعة لها ، بل تدل سياستها على انها تعتبرها جزءاً منها ، وانها تعدهـا رويداً رويداً لـكي تدمجها فيما بعد في صلبها الوطني ، كما فعلت سابقاً بمقاطعات الفلاندر والدوسيون والسافوا والجزائر والمارتينيك .

وبينما نجد الانكليز بعيدين عن الاهلين ، نجـد الفرنسيين قريبين منهم ، فالسلطة الفرنسية لا تكتفي باستثمار البلاد اقتصاديا فحسب ، بل توجه شطراً كبيراً من عنايتها نحو بث نفوذها المعنوي بين السكان ، وتمهيد السبيل امامهم للانـدماج في الوطنية الفرنسية ، كما سبق لها ان فعلت في اربع مقاطعات من مقاطعات السنغال . فالهـدف الاقصى للسياسة الفرنسية هو ادماج كل سكان المستعمرات في الرعوية الفرنسـية ،

رغم اختلاف الالوان والعناصر والعقليات .

ولهذه السياسة حسناتها وسيئاتها . وقد شعرت السلطة مراراً ان الزنجي لا يقدر ان يهضم التعاليم الجديدة كما هضمها قبله ابناء الفلاندر والسافوا ، وان تقاليده القديمة واساليب معيشته وعقليته تجعله قصياً عن الحياة الاوروبية ، يستطيع تقليدهـا ولكن



لا يستطيع الامتزاج بها الى الابد . فعدلت خطتها قـدر الامكان حسب ما اقتضته الظروف .

والموظف الفرنسي هو اقرب الى العبد من زميله الانكليزي واكثر احتكاكا به وتدخـلا في اموره . وحتى الآن لم تصل السياسة الفرنسية الى درجـة السياسة الانكليزية في المقدرة على الاستثمار الاقتصادي . ويؤخذ عليها الاكثار من تبديل

الحكام والموظفين الاستعماريين ، فلا يكاد الحاكم او الموظف يستقر حتى تنقله الوزارة الى مكان آخر ، بينما يظل الموظف الانكليزي ثابتاً في وظيفته عدة سنوات متواصلة . واطول مدة اقامها حاكم فرنسي هي مدة الجنرال فادهرب اذ اقام ١١ سنة متواصلة اخضع في خلالها السنغال والسودان ووطد اركان الاستعمار . وهناك حكام اقاموا بضعة اشهر فقط . بيد انه صدر في العام الماضي قرار جديد يحتم بان يبقى الموظف الاستعماري الفرنسي خمس سنوات على الاقل في نفس الوظيفة والمكان . وفي هذا ما فيه من فائدة للادارة وللبلاد في آن واحد .

الجنرال فادهرب ١٨١٨–١٨٨٩

اي الاسلوبين افضل ؟ — بعد هذا العرض للاسلوبين اتساءل : ايهما افضل ؟

كنت مرة على احدى البواخر ، وسمعت ربانها وكاتباً فرنسياً شهيراً يتناقشان في هذه القضية نفسها . قال الكاتب : « الفرنسيون يريدون الحصول على الفائدة الاقتصادية مباشرة ، اما الانكليز فانهم يدفعون الثروة الى ايدي العبيد ولاثم يأخذونها منهم بشتى الطرق » .

وفي هذا القول جواب سوءالي . ففضل الاسلوب يتوقف على هدفه ، وهدف الاسلوبين واحد وهو الاستثمار بطريقة مباشرة او غير مباشرة . فما الفائدة من التفضيل بينهما ما دامت « كل الطرق توءدي الى الطاحون » ؟

بيد انه يجب علينا الاعتراف بالفوائد العظمى التي عادت على الزنوج من الاستعمار الابيض . فلولا الاستثمار الاقتصادي لما استعمر الابيض افريقيه الغربيه ، ولولا الاستعمار لظل الاسود غارقا في حياته الفطرية المنعزلة كما قلت في مقدمة الكتاب .

العمل العمراني — يعتني الفرنسيون عناية خاصة في عمران المدن ، ويقيمون في البلدان الكبرى احياء خاصة للبيض واحياء خاصة للعبيد ، بحجة ان العبيد فقراء عاجزون عن بناء مباني كبيرة كالبيض ، فمن الواجب افساح المجال امام الابيض حتى

جدول عام للمقابلة بين المستعمرات

مساحتها وعدد سكانها وصادراتها وسككها الحديدية

	المساحة ك.م. مربع	عدد السكان	قيمة الصادرات في سنة ١٩٣٧	طول سكك الحديد
السنغال	٢٠١ ٣٧٥	١ ٨٠٠ ٠٠٠	٧٠٧ ٤٥٠ ٠٠٠ فرنك	١ ٦٨٩
السودان	١ ٤٦٤ ٠٠٠	٢ ٦٣٥ ٠٠٠	١٤ ٥٩٧ ٠٠٠ =	كيلومتراً
الغينه	٢٥١ ٠٠٠	٢ ٠٩٥ ٩٨٨	١٧٣ ٨٨٠ ٠٠٠ =	٦٦٢ =
شاطىء العاج	٤٦٩ ٠٣٨	٣ ٨٥٩ ٤٥١	٣٢٥ ٠٧٠ ٠٠٠ =	٨٠٧ =
الداهومي	١٢٢ ٠٠٠	١ ١١٥ ٠٠٠	١٢٢ ٣٨٣ ٠٠٠ =	٦٩٢ =
النيجر	١ ٣٠٠ ٠٠٠	١ ٧٥٠ ٠٠٠	٣٣ ٤٥٧ ٠٠٠ =	–
الموريتانيا	٨٣٥ ٠٠٠	٣٢٠ ٠٠٠	١ ٦٦٦ ٠٠٠ =	–
غامبيا	١٠ ٧٠٠	٢٠٠ ٠٠٠	٢٣٨ ٥٠١ ليرة انكليزي	–
سيراليون	٨٠ ٤٠٠	١ ٧٦٨ ٤٧٩	٢ ٣٧٦ ٩٦٥ =	٣١٠ ميال
شاطىء الذهب	٢٠٣ ٦٠٠	٢ ١٠٨ ٢٨٩	١٢ ٦٣٦ ٨٩٩ =	٥٠٠ ميل
نيجيريا	٨٦ ٩٤٠٠	٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١٥ ٠٧٦ ٩٤٦ =	١٩٠٠ =
الغينه البرتغالية	٣٦ ٦٣٠	٤٢٠ ٠٠٠	٣٨٩ ٢٠ ٠٠٠ اسكودس	–
ليبيريا	١٠٠ ٠٠٠	١ ٥١٢ ٠٠٠	١ ٣١٢ ٠٠٠ دولار	–
التوغو الفرنسي	٥١ ٠٠٠	٧٥٣ ٠٠٠	٤٧ ١٠٠ ٠٠٠ فرنكا	
التوغو الانكليزي	٣٤ ٠٠٠	٣٤٩ ٠٠٠	٤٩ ٤٩١ ليرة	٦٩ ميلا

يبدي أثره المدني كاملا . وهكذا تشعر في احيـاء البيض انك في مدينـة اوروبية لا ينقصها شيء من الفنادق الممتازة والمطاعم ودور التسلية واللهو .

اما العواصم والبلدان الانكليزية فانها فقيرة في التنظيم والعمران الحديث ، والسود والبيض مختلطون الا في الاحياء التي يخصصها الانكليز لسكناهم . وسبب ذلك ان اكثر المدن الانكليزية قديمة العهد بالنسبة للفرنسية ، وليس بالاستطاعة ادخال التنظيم الحديث اليها الا بعد هدم اكثر مبانيها . اما المدن الجـديدة فان الحكومة تتبع في بنائها الاساليب الفنية الحديثة .



الفصل السابع

افريقية الغربية الفرنسية

كل مستعمرة انكليزية تمتلك حكومة خاصة بها مرجعها وزارة المستعمرات في لندن . اما المستعمرات الفرنسية فانها تؤلف ائتلافا اداريا واحـداً ، لكل مستعمرة حكومة وحاكم ، مرجعها الحاكم العام في دكار . والحاكم العـام هو المسؤول كمجموع في البدء ، ثم اتحدث عن كل واحدة بايجاز . اما المستعمرات الانكليزية فانني افردت لكل منها فصلا خاصاً .

عدد المستعمرات الفرنسية — تتألف افريقيه الغربيـة الفرنسية من المستعمرات التالية : السنغال ، السودان ، الموريتانيا ، الغينه ، شاطيء العاج ، الداهومي ، النيجر وكانت توجد قبلا مستعمرة ثانية اسمها «الفولتا العليا» ، ولكنها محت من الوجود بموجب مرسوم صدر في ١٥ ايلول ١٩٣٢ ونفذ في كانون الثاني ١٩٣٣ . وقضى بضم القسم الاكبر منها الى شاطيء العاج ، والقسم الباقي الى السودان والنيجر .

ومدينة دكار هي عاصمة افريقيه الغربية الفرنسية كلها ، وتؤلف وحدها مقاطعة ادارية مستقلة ذات حاكم وحكومة خاصين بها .

ولا تؤلف هـذه المستعمرات وحدة جغرافية من جهـة الشاطيء ، اذ تقاطعها المستعمرات الانكليزية والبرتغالية وليبيريا ، ولكنها متصـلة بعضها ببعض من الداخل ، بواسطة السودان والنيجر .

المناخ والامطار — افريقيه الغربية بلاد واسعة ، يتراوح فيهـا المنـاخ حسب المناطق ، فهو شديد الرطوبة والحرارة في مناطق الغابات (الغينه ما عـدا الفوطه ،

وشاطيء العاج والداهومي) . وكلما صعدنا شمالا ازداد المناخ جفافا وملائمة للابيض كما هي الحالة في السنغال والسودان الفرنسي واعالي شاطيء العاج وقسم من النيجر . اما المناطق الصحراوية (الموريتانيا وصحراء السودان والنيجر) فانها مثل بقية المناطق الصحراوية في العالم : حارّة وجافة . وتتباين فيها الحرارة تبايناً كبيراً بين الليل والنهار . ويبلغ معدل الحرارة في السودان خلال شهر ايار ٣٥ درجة سنتيغراد في الظل ، واحياناً يرتفع الى الخمسين في النهار ، ويهبط الى السبع في الليل .

ويبدأ فصل الامطار الرئيسي في المناطق الساحلية في نيسان، ويستمر الى اواسط تموز ، ثم تعقبه بضعة شهور يقل فيها المطر نسبياً ، فيتولد الفصل الجاف . ويدوم الجفاف التام من كانون الاول الى اذار . وفي تشرين الاول يمر فصل ماطر قصير .

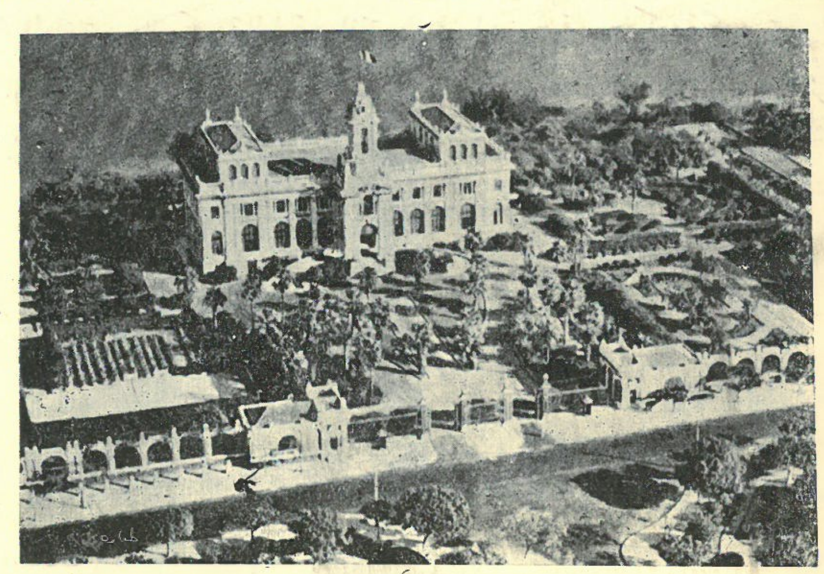
وتوجد في المناطق السودانية ثلاثة فصول : الاول من تشرين الثاني الى شباط وهو جاف معتدل . والثاني من اذار الى ايار وهو جاف حار ، والثالث من حزيران الى تشرين الثاني وهو فصل الامطار . واغزر الامطار تهطل في تموز وآب .

ويختلف معدل هطول الامطار باختلاف المناطق. وهو على اكثره في الغينه حيث يتراوح بين ١٢٠ و١٦٠ قيراطاً في السنة . وفي شاطيء العاج يهبط المعدل الى الثمانين ، وفي السودان يتراوح بين الاربعين والستين . وكلما تقدم الانسان في الصحراء هبط المعدل حتى يبلغ في اقاصيها عشرة قراريط ، وفي تمبكتو ثمانية فقط .

ادارة الحكومة — تنحصر السلطة التنفيذية العليا في افريقيه الغربية الفرنسية كلها في ايدي الحاكم العام الذي يقيم في دكار ، ويساعده سكرتير عام ومجلس حكومي . ويحكم كل مستعمرة حاكم خاص مسؤول لدى الحاكم العام . وعلى الحاكم العام اجراء التناسق اللازم في ادارة وتنظيم السياسة الاستعمارية في كل المستعمرات . والحاكم العام الحالي هو المسيو جول ماوسيل دي كوبيه ، المعين في ١٣ ايلول ١٩٣٦ .

وقد تقلب على افريقيه الغربية الفرنسية عشرة حكام خلال الثلاثين سنة الاخيرة . ومما يجدر ذكره ان اول حاكم عين على السنغال هو سوري المولد . فقد قال الكاتب

المعروف هنري بوردو في كتابه «الملحمة السوداء» : « كانت المستعمرة بحاجة الى رئيس ، وكان المسيو اندره برو اول حاكم عين على البلاد ، فتعلق بها ورغب في اصلاحها واسعادها. وقد ولد المسيو برو في سوريا من عائلة في الداخلية مشهورة بكثرة



مشهد عام مأخوذ من الجو لقصر الحاكم العام في دكار وحدائقه الجميلة.

البحارة بين ابنائها . »

وقد بحثت في كثير من التواريخ والمصادر عن اصل المسيو برو في بلادنا وعن عائلته فلم اجد اي اثر . سوى ان الملك لويس الرابع عشر عينه مديراً لشركة السنغال الملكية ، وكان عمره يومئذ ٤٣ سنة . اما كيف قدم من سوريا الى فرنسا فهذا لم تذكر عنه الكتب شيئاً ، كما انها لم تذكر أكان المسيو برو وليد عائلة فرنسية كانت مقيمة في سوريا ، ام هو سوري الاصل فعلا .

الجيش والبوليس — كان عدد القوى المرابطة في كل المستعمرات في العام الاسبق ١٦٠٠٠ جندي اسود بينهم ٣٠٠٠ ابيض . ولكن هذا العدد زيد

كثيراً في المدة الاخيرة . ويبلغ عدد البوليس ٩٠٠٠ نفر . ولا يجهل احد ان افريقيه الغربيـة الفرنسية تمد الجيش بالكتائب السوداء الموجودة فيهـا. ويجري جمع الجند العبيد بطريقة التطوع لمدة خمس سنوات .

الموازنة — للحكومة العامة موازنة خاصة بها من جهة ، ولحكومة كل مستعمرة موازنة خاصة بها من جهة اخرى . وتغذي الموازنة العامة كل المشاريع والدوائر والاعمال التي تهم المستعمرات كلها . وقد تراوحت في السنوات الاخيرة كما يلي :

في سنة ١٩٢٩ — ٣٠ ٢٤٦ ٩٥٤ ٠٠٠ فرنك .
« ١٩٣٠ — ٣١ ٣١٩ ٠١٩ ٠٠٠ «
« ١٩٣٤ — ٣٥ ١٦٥ ٠٣٠ ٠٠٠ «
« ١٩٣٥ — ٣٦ ١٧٥ ١٠٢ ٠٠٠ «
« ١٩٣٦ — ٣٧ ٢٠٠ ٢٠٦ ٠٠٠ «

اما موازنات المستعمرات فقد تطورت كما يلي (الرقم يمثل الدخل والخرج معاً بالفرنكات) :

المستعمرة	١٩٣٠	١٩٣٣	١٩٣٦ - ٣٧
السنغال	١٥٣ ٤٦٨٠٠٠	٩٩ ٠٦٣ ٠٠٠	٨٨ ٤٦٤ ٠٠٠
الغينه	٤٩ ٤٥٣ ٠٠٠	٥٠ ٥٥٨ ٠٠٠	٥٠ ٦٧٤ ٠٠٠
شاطيء العاج	١٠٠ ٦٧٤ ٠٠٠	٩٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٨٥ ٦٣٤ ٠٠٠
الداهومي	٥٥ ٦٠٢ ٥٠٠	٤٦ ٢٧١ ٠٠٠	٣٤ ٥١٢ ٠٠٠
النيجر	٢٣ ٦٥٠ ٠٠٠	٢٦ ٧٥٢ ٠٠٠	٢٥ ٩٧٥ ٠٠٠
السودان	٧٤ ٢٦٣ ٠٠٠	٦٨ ٠٥٤ ٠٠٠	٦٩ ٥١٧ ٠٠٠
الموريتانيا	١٤ ٢٤٣ ٠٠٠	١٩ ٠٦٦ ٠٠٠	١٣ ٨٣٠ ٠٠٠

وتستقي موازنة الحكومة العامة مواردها من رسوم الجمرك ورسوم الشحن ، اما موارد موازنات المستعمرات ففي الضرائب المحلية والاجور والرسوم العادية المختلفة.

المعارف والصحة — كان عدد المدارس في كل افريقيه الغربية الفرنسية خلال سنة ١٩٣٦—٣٧ كما يلي : ٣٨٥ مدرسة ابتدائية ، عدد تلامذتها ٥٥٠ ٥٢ تلميذاً ، ٧ مدارس ثانوية عدد تلامذتها ٦٠٤ ، ٨ مدارس فنية عدد تلامذتها ٤٣٧ ، كليتان عدد تلامذتهما ٧٣٠ . والى جانب ذلك توجد ٦٩ مدرسة اسلامية عدد تلاميذها ١١٤٢٩ وتنفق الحكومة سنويا ٢٥مليون فرنك على المعارف.

وقد اصبحت دكار مركزاً علمياً هاما ، ففيها مؤسسة باستور للابحاث الطبية ، ومؤسسة افريقيه للابحاث الافريقية ، وكلية الطب تخرج الاطباء والممرضات ، والمدرسة الفنية تحافظ على فنون العبيد القديمة وتصقل مواهبهم الحديثة ، ومكتبة الحكومه العامة، ومدارس مستخدمي التجارة والموظفين المدنيين السود الخ . وتوجد في سان لويس كلية تهيء التلامذة للبكالوريا ، ومثلها واحدة في دكار .

در كي سنغالي

وتعنى الحكومة عناية خاصة بالشؤون الصحية وتهتم بنشر النظافه بين العبيد ولو اجباريا . وقد انشأت في دكار داراً ضخمة للتوليد ، وانشأت مستشفيات كبرى في كل المراكز الهامة ، ومئات العيادات في انحاء الداخلية . وهناك دائرة صحية سيارة ، واخرى للتلقيح ضد الاوبئة وغير ذلك . ويمكن القول ان الامراض تناقصت

٥٠ بالمئة في داخلية المستعمرات الفرنسية بفضل التدابير الحكومية، وانقطع دابر الاوبئة بتاتاً في المدن بعد ان كانت تفتك بها باستمرار .

الصحف — تصدر الحكومة في كل من المستعمرات السبع جريدة رسمية . وفي دكار تصدرعدة صحف ومجلات ، اهمها الجريدة اليومية «باريس- دكار».وتنشر ادارة هذه الجريدة عدداً اسبوعياً باسم «باريس—باتان» ليوزع بالبريد الجوي على بقية المستعمرات .

وفيما يلي اسماء الصحف الاسبوعية والنصف الشهرية التي تصدر في دكار:السنغال، باريسكوب ، افريقيه الغربية الفرنسية ، بريد افريقيه الغربية ، مجلة افريقيه الغربية الفرنسية (شهرية) .

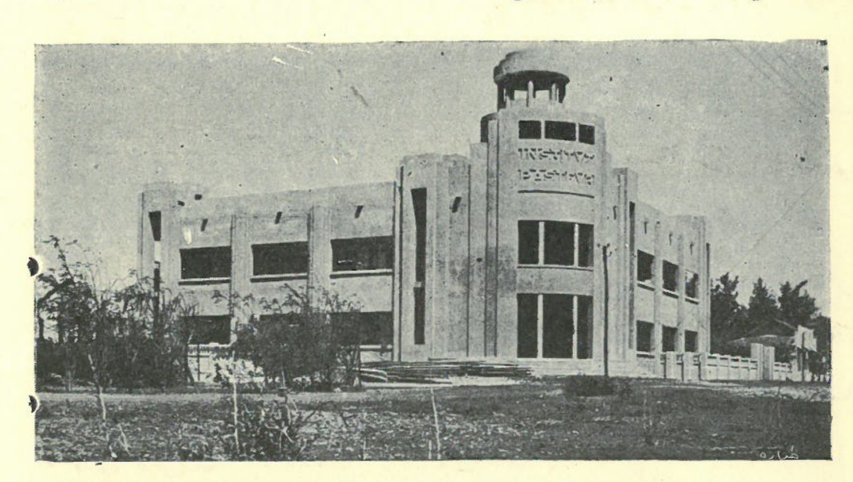
وتصدر في سان لويس جريدة « لوبروغريه » وفي باماكو (السودان) جريدة «بريد الغرب» وفي كوتونو « صوت الداهومي » وجريدة اخرى! . وتصدر غرف التجارة في كل العواصم نشرات يومية صغيرة تتضمن اهم الانباء الاجنبية والمحلية .

وقد نالت جمعية الاخوة الاسلامية في دكار —وهي جمعية سنغالية— اجازة باصدار مجلة باسم «الاسلام» نصفها باللغة العربية والنصف الاخر باللغة الفرنسية ، وصدر العدد الاول منها في تشرين الاول ١٩٣٨ . ويتولى تحريرها نخبة من علماء وشباب السنغال الذين يتقنون العربية ، ويجري طبعها في مطبعة الوحدة في دكار التي يملكها احد مهاجرينا .

التطور الاقتصادي — بعض المستعمرات الفرنسية يحتل مركزاً هاماً في التجارة وبعضها مهمل اما بسبب بعده من الشاطيء او لسوء احواله الجوية.ومستعمرة السنغال هي اكثر الجميع تطوراً حتى الان ، ولكن مستعمرة شاطيء العاج هي الاغنى بالمواد الطبيعية ، والاهم مستقبلا .

ومن الاسباب التي تعرقل زيادة الانتاج في داخلية المستعمرات طول طرق المواصلات وغلاء اسعارها ، كما ان قلة عدد السكان هي عنصر رئيسي آخر . واليد العاملة ليست متوفرة دائماً لان ٢٠ الف سنغالي يرحلون كل سنة الى غامبيا للاشتغال بزراعة

الفستق فيها . وكذلك ينتقل مئتا الف شخص سنويا من السودان وشاطيء العاج الى مستعمرة شاطيء الذهب للاشتغال بزراعة الكاكاو ، وبضعة الاف الى شمال نيجيريا للمساعدة في زراعة الفستق والقطن .



مؤسسة باستور في دكار ، وهي اكبر مؤسسة للابحاث العلمية الطبية في افريقيه الغربية

واقدم للقاريء فيما يلي آخر الجداول عن تجارة المستعمرات ، ليكون منها فكرة عن ثروة كل منها بالنسبة للاخرى والقيمة بالفرنكات :

المستعمرة	الوارد في سنة ١٩٣٧	الصادر في سنة ١٩٣٧
السنغال والسودان	١ ٠٩٩ ٥٨٣ ٠٠٠	٨٥٥ ٦٩٥ ٠٠٠
الغينيه	١٥٢ ٩٤٥ ٠٠٠	١٧٣ ٨٨٠ ٠٠٠
شاطيء العاج	٢٩٣ ٢٦١ ٠٠٠	٣٢٥ ٠٧٠ ٠٠٠
الداهومي	١١٠ ٥٣١ ٠٠٠	١٢٢ ٣٨٣ ٠٠٠
النيجر	٣٦ ٦٧٥ ٠٠٠	٣٣ ٤٥٧ ٠٠٠
الموريتانيا	١ ٤١٠ ٠٠٠	١ ٦٦٦ ٠٠٠

ويجد القاريء التفاصيل الوافية عن تجارة كل مستعمرة في الفصل الثامن .

الجمرك — تتقاضى ادارة الجمارك مبدئياً ضريبة على كل البضائع المستوردة . وتتمتع البضائع الفرنسية بمعاملة خاصة في السنغال والسودان والموريتانيا ، والغينيه والنيجر ، ولكن ليس في شاطيء العاج ولا في الداهومي . ويفرض الجمرك رسومه على ساس الكشف الآتي مع البضاعة ، بزيادة ٢٥ بالمئة .

البنوك — في البلاد مصرفان كبيران : بنك افريقيه الغربية الفرنسية والبنك التجاري الافريقي . وفي دكار فروع للبنك البلجيكي والبنك العقاري الافريقي والبنك العقاري لافريقيه الغربية .

وبنك افريقيه الغربية الفرنسية هو بنك اصدار النقد ، ورأسماله ٥٠ مليون فرنك وله فروع في : دكار ، سان لويس ، روفيسك ، كولخ ، باماكو ، كوناكري ، ابيدجان غران بسام ، بوبو ديولاسو ، كوتونو ، بورتو نوفو ، لوميه . وللبنك التجاري الافريقي فروع في دكار وروفيسك و كولخ وابيدجان .

العملة — العملة الفرنسية هي العملة الشرعية في كل البلاد . ولكن بنك افريقيه الغربية الفرنسية اصدر اوراقا نقدية باسمه ، يعمل بها الان في كل افريقيه الغربية وهي مساوية تماما للعملة الفرنسية ويمكن استبدالها بها من فروع البنوك بلا عمولة

ويوجد من عملة البنك (الطبعة القديمة) اوراق بقيمة : ١٠٠٠ فرنك ، ٥٠٠ ، ١٠٠ ، ٥٠ ، ٢٥ ، ٥ . وقد كتب عليها بالفرنسية من جهة ، ومن الجهة الاخرى كتبت عليها قيمتها باللغة العربية مع الجمله الاتية : « كل من يقدم الينا هذه الورقة ندفع له في الساعه كذا ... » والى جانبها كتبت الجملة نفسها بلغة الولف بالاحرف الكوفيه .

اما في الطبعه الجديدة فان الكتابه كلها بالفرنسيه فقط . وتوجد منها اوراق بقيمه : ١٠٠٠ فرنك ، ١٠٠ ، ٢٥ ، ٥ . ولم تسك نقود معدنيه باسم افريقيه الغربيه ، بل كل القطع المتداولة فرنسيه .

البريد والبرق — في عاصمة كل مستعمرة مكتب رئيسي للبريد ، وعدة فروع في المدن والقرى ، ولكل مستعمرة طوابع بريدية خاصة بها . ويبلغ عدد مكاتب

البريد والتلغراف في المستعمرات السبع ٢٦١ مكتبا ، منها ٥٤ في السنغال ، ٢٦ في الغينيه ، ٥١ في شاطيء العاج ، ٣١ في الداهومي ، ٥٠ في السودان ، ٢٤ في النيجر ، ١٥ في الموريتانيا . وهناك فروع ثانوية عديدة انشئت حديثاً .



دار البرق والبريد الجميلة في دكار ، وقد بنيت منذ بضع سنوات فقط .

ويبلغ طول الاسلاك التلغرافية في كل افريقيه الغربيه الفرنسية ٢٨١١٦ كيلو متراً . ودكار متصلة بالتلغراف البحري (الكابل) مع فرنسا بطريق نانت ، ومع إسبانيا بطريق سان لويس - تناريف - قادس ، ومع البرازيل بطريق برنامبوكو ، ومع افريقيه الجنوبيــة بطريق كوناكري . والشبكه الفرنسية متصلة ايضاً بالغينيه البرتغالية وشاطيء الذهب والتوغو ونيجيريا .

وتوجد في كل البلاد ٧٣ محطة لاسلكية ، منها عشر محطات تذيع يومياً اخبار الاحوال الجوية . وبعض هذه المحطات متصل رأساً بفرنسا ، واهمها محطة دكار

الاستعمارية ، ومحطة باماكو (السودان) المتصلة مباشرة بمحطة بوردو .

وتوجد ايضاً شبكة تلفونية في داخل العواصم والمدن الكبرى ، وبين المدن والقرى الكبيرة ، ولاسيما على موزاة السكة الحديدية .

المرافىء — دكار هي اهم مرفأ في كل افريقيه الغربيه الفرنسية ، والمرفأ الوحيد ترسو فيه البواخر بجانب الرصيف . وفيما يلي اسماء المرافىء الهامة الاخرى مع عدد البواخر التي رست فيها في العام الماضي للتدليل على درجة اهميتها :

	عدد البواخر	مجموع حمولتها بالاطنان
دكار (السنغال)	٢٥٨٣	٧ ٧٢٧ ٤٩٧
بوربويه (شاطىء العاج)	٥٥٨	١ ٧٤١ ١٩١
كوناكري (الغينه)	٤١٨	١ ٣٠٥ ٧٩٨
كوتونو (الداهومي)	٣٨٨	١ ٢٨٥ ٠٧٤
كران بسام (شاطىء العاج)	٣٢٨	٩٦٥ ٠٨٥
روفيسك (السنغال)	١٢٠	١٤٢ ١١٧

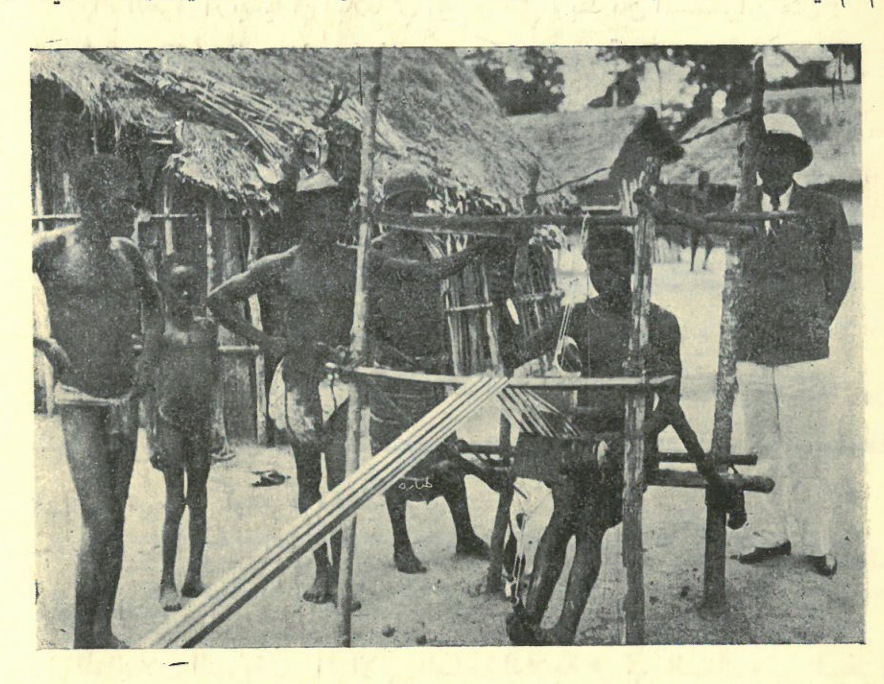
وتوجد مرافىء ثانوية اخرى مثل كولخ وجوال وغوريه في السنغال ، وفكتوريا وتابوريا وبنتي وماتا كونغ في الغينه ، وساساندرا وتابو وفريسكو وسان بادرو في شاطىء العاج ، وكران بوبو وبورتونوفو وويدا في الداهومي .

سكك الحديد — يبلغ طول الخطوط الحديدية في المستعمرات السبع ٣٨٥٠ كيلومتراً ، منها ٣٧١٤ كيلومتراً عرضها متر واحد ، والبقية عرضها ٦٠ سنتيمتراً . وهذا هو توزيع الخطوط :

دكار — سان لويس (السنغال)	٢٦٣ كيلومتراً
لوغا — لانغير (السنغال)	١٢٩ 〃
تياس — نيجر (السنغال — السودان)	١٢٩٧ 〃
كوناكري — نيجر (الغينه)	٦٦٢ 〃
بورت بويه — ابيدجان — بوبوديولاسو (شاطىء العاج)	٨٠٧ كيلومترات

كوتونو — باراكو (الداهومي)	٥٨١ كيلومتراً
كران بوبو — لوكوسا (الداهومي)	٦٣ 〃
ابومي — زانياناادو (الداهومي)	٤٨ 〃
المجموع	٣٨٥٠ كيلومتراً

واقدم خط هو الخط الموجود بين دكار وسان لويس ، فقد بدأ بناؤه في سنة ١٨٨٢ ، وتم بعد ثلاث سنوات . اما الخطوط الاخرى فقد بدأ بناؤها منذ اجل طويل ثم تم في مراحل متتابعة مختلفة . واحدث خط هو الخط الذي يجري بناؤه بين



نموذج من انوال النسيج الزنجية الشائعة في معظم انحاء افريقيه الغربية .

بوبوديولاسو وواكادوكو في شمال شاطىء العاج . وهناك مشروع بربط سكة حديد شاطىء العاج وسكة حديد السنغال بواسطة خط جديد يربط بين بوبوديولاسو — باماكو بطريق كوتيالا — دونا — ساكو .

الطرق المعبدة — يبلغ طول الطرق الصالحة لسير السيارات ٩٥ الف كيلومتر في كل المستعمرات الفرنسيه ، منها ٢٧ الف كيلومتر فقط صالحة للسير في كل فصول السنة ، والبقية يتعذر السير عليها في فصول الامطار . ومن الـ٢٧الف كيلومتر يوجد ١٣ الف كيلومتر معبدة بصورة نهائية ، تتوزع كما يلي : دكار والسنغال ١٢٥ كيلو متراً ، الغينه ٣٠٦٦ ، شاطىء العاج ٥٧٤٠ ، الداهومي ٨٠٠ ، السودان ٣٠٠٠ ، النيجر ٣٠٠ ، الموريتانيا لا شيء .

واهم الطرق الرئيسية في البلاد هي الطرق التي تربط بين المستعمرات مثل :

طريق دكار ـ السودان : طولها ٧٠٠ كيلومتر ، تمر في روفيسك ، تياس ، دوربل ، تامبا كوندا حتى كايس .

طريق كايس ـ باما كو ، طولها ٤٩٠ كيلومتراً .

طريق كانكان ـ بوبوديولاسو . تربط الغينه بشاطىء العاج .

طريق كورسا ـ باما كو ، وطولها ١١٥ كيلومتراً ، تربط الغينه بالسودان.

طريق باما كو ـ بوبوديولاسو ، تربط السودان بشاطىء العاج .

طريق باما كو ـ سا كو ـ تمبكتو ـ غوا ـ نيامي . وهي تسير على محاذاة نهر النيجر وتربط السودان بمستعمرة النيجر . وهي مرتبطة ايضاً بشاطىء العاج بواسطة طريق نيامي ـ وا كودو كو، وبالداهومي .

طريق باما كو ـ وا كودو كو ، طولها ٤٩١ كيلومتراً ، تربط السودان بشمال شاطىء العاج .

المواصلات النهرية — اهم الانهر الصالحة للملاحة هي نهر السنغال ونهر النيجر، وفي اماكن واوقات معينه . ويمكن الملاحة ايضاً على سطح الانهر الصغيرة قرب الشواطىء ، وعلى سطح البحيرات (اللاغون) في شاطىء العاج والداهومي . ويبلغ طول طرق الملاحة النهرية ٦٠٠٠ كيلومتر تقريباً .

الفصل الثامن

مستعمرات افريقية الغربية الفرنسية

السنغال ، السودان ، الموريتانيا ، الغينه ، شاطىء العاج ، الداهومى ، النيجر

حدثت القاريء في الفصل السابق عن مستعمرات افريقيه الغربيةالفرنسيةاجمالا وسأحدثه في هذا الفصل عنها افراداً حسب الترتيب التالي : السنغال ، السودان ، الموريتانيا ، الغينه ، شاطىء العاج ، الداهومي ، والنيجر . وجميع المعلومات والارقام والاحصاءات المذكورة في هذا الفصل مستقاة من الدوائر الرسمية المختصة ومن المؤلفات التاريخية والجغرافية ، فضلا عن مشاهداتي الشخصية .

١ - السنغال

يحد نهر السنغال هذه المستعمرة من الشمال ويفصلها عن مستعمرة الموريتانيا ، ويحدها من الشرق السودان الفرنسي . ومن الجنوب الغينه البرتغالية والفرنسية ، ومن الغرب المحيط الاتلانتيكي . وتدخل مستعمرة غامبيا الانكليزية في غرب السنغال كالوتد .

وتبلغ مساحه السنغال ٢٠١٣٧٥ كيلومتراً مربعاً ، واراضيها مستوية مسطحة . والاقسام الواقعة بين نهر السنغال ونهر غامبيا رملية ، ولكن خصبة . تكسوها بعض الاشجار العديمة الفائدة ، كما ان النبات يكثر في جنوب نهر غامبيا لسبب وفرة الامطار .

ونهر السنغال من اهم انهار افريقيه الغربية ، طوله ١٧٠٠ كيلومتر ، وهو يتألف من نهري بافنغ وباكوي اللذين ينبعان من جبال الفوطة في الغينه ، ويتحدان في



نموذج من الشجيرات والاعشاب التي تنمو في السنغال ، وتبدو بينها اشجار البالميست

«با كل» . وفي خلال شهري آب وايلول تستطيع البواخر الصعود فيه حتى بلدة «كايس» في السودان .

وهناك ايضاً نهر الكازامانس الذي يروي القسم الجنوبي من السنغال . وعلى بعد سبعين كيلومتراً من مصبه تقع بلدة «زيكيشور» قاعدة مقاطعة الكازامانس .

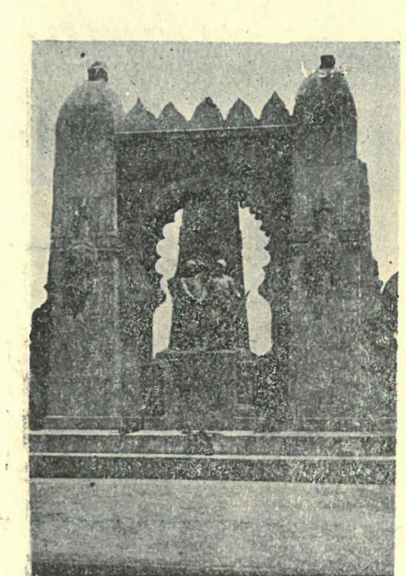
لمحة تاريخية — اكتشف بعض البحارة نهر السنغال في سنة ١٣٤٦ ، وزاروا الرأس الاخضر (موقع دكار الآن) ولكنهم لم يقيموا فيه . وفي سنة ١٤٤٤ احتل البرتغاليون جزيرة «ارغين» الصغيرة . واحتل الهولنديون جزيرة «غوريه» الواقعة تجاه دكار . وظل هؤلاء اسياد هذه المناطق حتى اواخر القرن الخامس عشر ، اذ

بدأ البحارة الفرنسيون يترددون على الشواطيء السنغالية وينشئون مراكز الاقامة في بعض انحائها . ويعزى الفضل الاكبر في توطيد الاستعمار الفرنسي في السنغال الى الكاردينال ريشيليو ، فهو الذي انشأ شركة « النورماندي » التجارية ، ومنحها امتيازات خاصة للمتاجرة على الشواطيء الافريقية الغربية .

وفي سنة ١٦٥٩ بنى الفرنسيون حصن سان لويس على مصب نهر السنغال . وبعد عشرين سنة طردوا الهولنديين من ممتلكاتهم في جنوب الرأس الاخضر . واصبحت كل شواطيء المستعمرة بايديهم . وظل الانكليز ينازعونهم السيادة عليها طوال الحروب التي نشبت بين البلادين خلال قرنين متواصلين . واخيراً اعترفت الدول لفرنسا في معاهدة ١٨١٤ بحق السيادة على السنغال . ومنذ ذلك الحين انتهى كل تدخل اوروبي في امور المستعمرة .

حتى ذلك التاريخ كانت السيادة الفرنسية مقتصرة على الشواطيء . فلما عين الجنرال فادهرب حاكماً على السنغال في منتصف القرن الماضي ، جرد حملات كبيرة لاخضاع الداخلية ، واشتبك مع القبائل بحروب دامية دامت بضع سنوات ، وانتهت بتوطيد السيادة الفرنسية ووضع حجر الزاوية في الامبراطورية الفرنسية الواسعة في افريقيه الغربية . واكمل بقية الحكام عمل فادهرب ، فلم ينته القرن التاسع عشر الا وقد تم اخضاع البلاد وبدأ فيها العمل الاستثماري الاقتصادي .

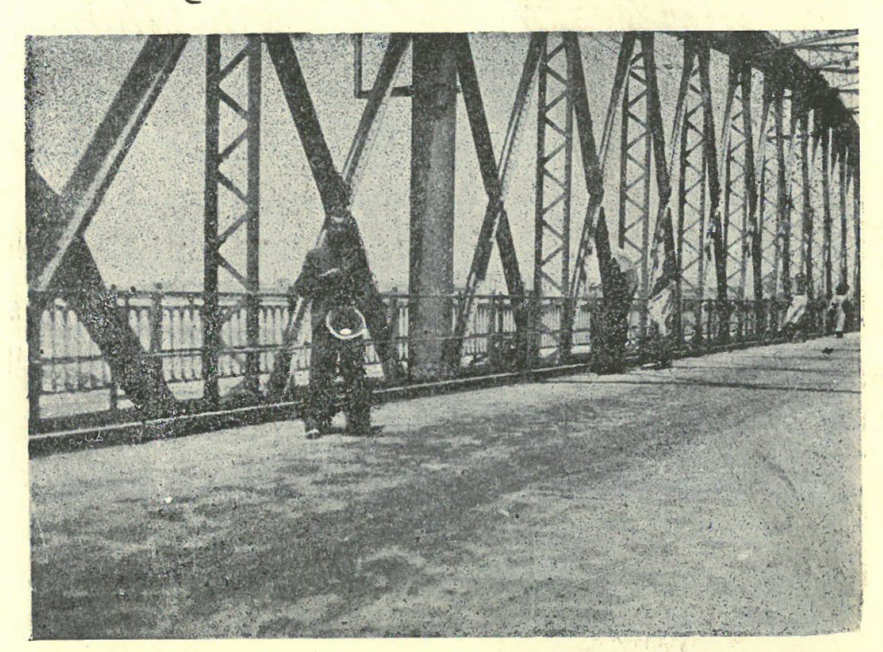
وبقي بين الانكليز والفرنسيين خلاف على حدود السنغال من جهة غامبيا ، فعقد الجانبان في سنة ١٩٠٤ معاهدة سوي بموجبها الخلاف ، فتنازل الانكليز للفرنسيين عن جزيرة غوريه ، وتنازل هؤلاء لهم عن منطقة



النصب التذكاري في دكار لضحايا الحرب الكبرى

واسعة على جانبي نهر غامبيا : وهكذا تحددت مستعمرة السنغال نهائياً .

السكان — يبلغ عدد سكان السنغال، بما فيه مقاطعة دكار ، ١٨٠٠٠٠٠ نفس حسب احصاء ١٩٣٦ اي بمعدل ثمانية اشخاص في كل كيلومتر مربع . ويكثر احتشاد



جسر «فادهرب» الحديدي على نهر السنغال قرب سان لويس وطوله ٥٥٠ متراً تقريباً

السكان في السواحل وعلى الضفة اليسرى من نهر السنغال ، وفي المنطقة التي تمر فيها سكة حديد دكار — سان لويس وتياس — كايس . اما مقاطعة « فارلو » الصحراوية الواقعة في الشمال الشرقي فانها تكاد تكون خالية .

واكبر عنصر بين سكان السنغال هم «الولف» فان عددهم يقارب الثمانماية الف . ويأتي بعدهم السريري والفلا والتكلور والديولا والماندنغا .

وفي السنغال اربع مقاطعات (دكار ، غوريه ، روفيسك ، سان لويس) يحمل سكانها الرعوية الفرنسية ويؤدون الخدمة العسكرية الاجبارية وينتخبون نائباً عنهم في

المجلس النيابي الفرنسي . وهم الزنوج الافريقيون الوحيدون الذين يتمتعون بمثل هذه الحقوق السياسية .

المحصولات — اهم محصولها فستق العبيد . ويزرع بكثرة في المناطق الواقعة بين تياس وسان لويس ، وفي جوار كولخ ، وفي مقاطعة الكازامانس . وكان انتاج الفستق قبل الحرب يقارب المئتي الف طن سنوياً ، فقفز بعد الحرب الى الاربعماية الف ونيف ولو كان العبيد يشتغلون بنشاط لتضاعف الانتاج ، لان زراعة الفستق هينة جداً لا تتطلب سوى شق الارض الرملية بمشفر حديدي والقاء البذور في الشقوق .

وكان سعر الفستق غالياً في القديم ، اذ كان يتراوح في موسم ١٩٢٨—٢٩ بين ١٢٥ و١٥٠ فرنكا ، فهبط في سنة ١٩٣١ الى ٣٥ فرنكا . وفي سنة ١٩٣٣ ارتفع الى الاربعين ، وظل يترجح حولها حتى موسم ١٩٣٦—٣٧ اذ ارتفع ارتفاعا كبيراً ، ثم عاد فهبط في موسم ١٩٣٧—٣٨ .

ولا تعد بقية محصولات السنغال شيئاً مذكوراً بالنسبة للفستق ، واهمها الصمغ العربي . ويستخرجه العبيد من اشجار «الاكاسيافاريك» النامية بكثرة على ضفاف نهر السنغال وفي مقاطعة الفرلو . وترد كميات قليلة من بزر البالميست من جنوب المستعمرة . ويزرع العبيد الدخن والارز لغذائهم ، وزراعة الارز مقتصرة على الكازامانس .

المواشي — السنغال صالحة لتربية المواشي ، الا في المناطق الجنوبية والكازامانس . وقد كان فيها في سنة ١٩٣٧ : ٤٠٠ الف رأس ماعزاً ، ١٠٠ الف رأس غنماً ، ٤٠ الف رأس خيلا ، ٧٠ الف حمار .

الغابات — لا تصدر السنغال شيئاً من الخشب بسبب قلة الغابات فيها ، ولا تكاد اشجارها تكفي للاستهلاك المحلي .

الصناعة — في السنغال بعض معاصر صغيرة لزيت الفستق . ويمارس العبيد بعض الصناعات اليدوية القديمة مثل النسيج والصباغ والفخار الخ .

تجارة السنغال — يمكن القارىء معرفة تجارة السنغال وتطورها من الجدول التالي عن قيمة الصادر والوارد خلال بضع سنوات والقيمة بالفرنكات :

السنة	الوارد	الصادر	مجموع الوارد والصادر
١٩٢٤	٤٧٧ ٨٧١ ٠٠٠	٣٨٦ ٠٩٨ ٠٠٠	٨٣٦ ٩٦٩ ٠٩٠
١٩٢٦	٩٠٩ ٩٩٩ ٠٠٠	٨٨٥ ٩٤٦ ٠٠٠	١ ٧٩٥ ٩٤٥ ٠٠٠
١٩٢٧	٨٢٣ ٠٦٨ ٠٠٠	٧٣٩ ٤٦٠ ٠٠٠	١ ٥٦٢ ٥٢٨ ٠٠٠
١٩٢٩	٨٩٩ ٥٣٩ ٠٠٠	٨٢٤ ٢٨٢ ٠٠٠	١ ٧٢٣ ٨٢١ ٠٠٠
١٩٣٣	٤١٠ ٢٩٣ ٠٠٠	٢٨٠ ٢٧٣ ٠٠٠	٦٩٠ ٥٦٦ ٠٠٠
١٩٣٥	٤ ٧٣٦٩ ٠٠٠	٤٤١ ٤٦٠ ٠٠٠	٩٠٨ ٨٢٩ ٠٠٠
١٩٣٦	٦٠٠ ٨٨٧ ٠٠٠	٥٥٣ ٠٤٩ ٠٠٠	١ ١٥٣ ٩٣٦ ٠٠٠
١٩٣٧	١ ٠٩٩ ٥٨٣ ٠٠٠	٨٥٥ ٦٩٥ ٠٠٠	١ ٩٥٥ ٢٧٨ ٠٠٠

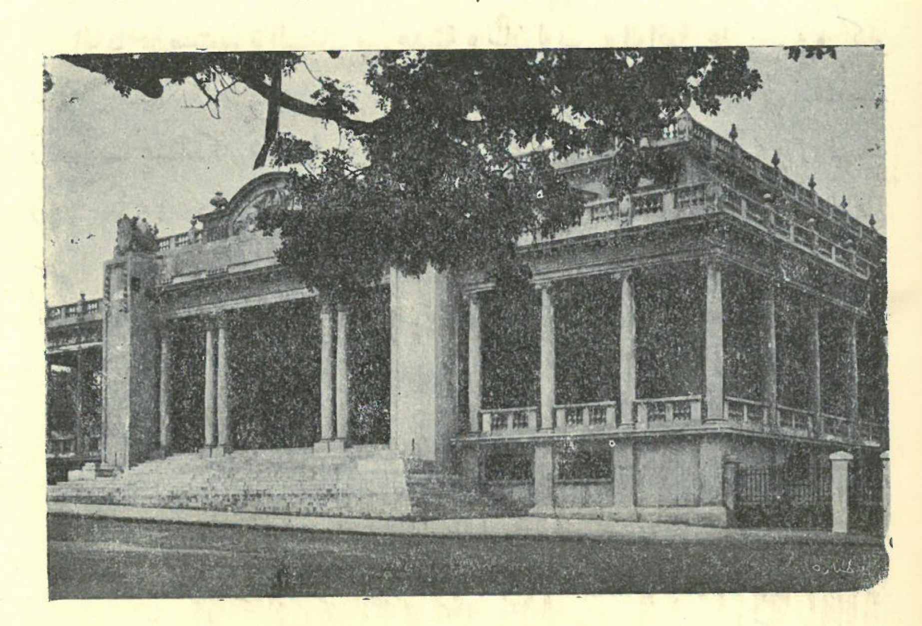
والجدول التالي يتضمن تفاصيل الصادرات واثمانها ووزنها خلال بضع سنوات :

	١٩٣٣		١٩٣٥		١٩٣٦	
	اطنان	الوف فرنكات	اطنان	الوف فرنكات	اطنان	الوف فرنكات
فستق العبيد	٣٨٨٠١٠	١٨٨٢٧٦	٣٥١٤٢٨	٣١٣٤٣٣	٤٦١٢١٨	٤٢٥٠٥٩
الصمغ العربي	٤٥٣١	٥٨٤٥	٤٨٠٤	٧١٣٦	٤٩٧٠	٧٥٤١
الكابوك	٩٥٧	٣٩٧٧	٧٩٤	٣١٣٣	٥٩٨	٢٣٧٣
سمن الشجر	١٥٢٨	٢٥٣٩	٢٤١٩	٣٦٢٧	١٤٨٥	٢٢٢٨
ليف	١٩٨٩	٣٩٧٧	٣٣٦٧	٤٧٠٤	٢٦٣١	٣٢٨٨

وقد بلغ ثمن الصادر من فستق العبيد في سنة ١٩٣٧ : ٠٠٠ ٧٩٥ ٦١٢ فرنك .

اهم المدن — كان الناس يقولون قديماً ان افريقيه تبدأ في دكار . فهذا القول يحتاج الان الى تعديل،لان دكار اصبحت مزيجاً من المدنية الاوروبية والطبيعة الافريقية، بل يمكن القول ان الاحياء البيضاء منها اوروبية خالصة ، ففي المساء ينتقل السود الى بلدتهم الخاصة في « تللين » (او المدينة) فتبقى دكار بيضاء تماماً . ولا تخلو دكار من كل ضروريات الحياة البيضاء ومن اكثر كمالياتها ، فهي من هذه الناحية قطعة من اوروبا ، تركض فيها المدنية ركضاً .

وقد ازدادت اهمية دكار في المدة الاخيرة اذ اصبحت قاعدة بحرية خطيرة للاسطول الفرنسي، وقاعدة تجارية لجميع البواخر المسافرة بين اوروبا وافريقيه الغربية وافريقيه الجنوبية واميركا الجنوبية. ومرفأها اليوم هو اكبر مرفأ في كل افريقيه الغربية، وثالث



بناية غرفة التجارة الفخمة في دكار

مرفأ في الامبراطورية الفرنسية كلها . وفيه حاجزان طويلان (سنسول) يدفعان امواج البحر عنه . وتبلغ مساحته ٢٠٧٠ متراً مربعاً ، منها ٧٦٠ متراً مربعاً عمقها ثمانية امتار ، و ١٣٧٠ متراً مربعاً عمقها ستة امتار ونصف . ويمكن ان ترسو امام الرصيف الجديد بواخر حمولتها ٣٥٠٠٠ طن . ويجري العمل الآن في بناء مرفأ آخر في اتجاه جزيرة غوريه .

ويوجد في واكام (ضاحية دكار) مطار كبير للطائرات البرية ، كما ان السلطة بنت اخيراً مطاراً كبيراً للطائرات المائية في « بللير » . ودكار قاعدة هامة للطائرات

المسافرة الى اميركا الجنوبية ، والى بقيـة مناطق افريقيه الغربيه . ومستقبلهـا عظيم جداً من جميع النواحي التجـارية والبحرية والجوية . ويقدر عدد سكانها بمئة الف نفس تقريبـاً . وهي عاصمة الحكومة العامة لافريقيه الغربيه كافة .

اما عاصمة مستعمرة السنغال فهي مدينة « سان لويس » الواقعة على بعد ١٨ كيلو متراً من مصب نهر سان لويس ، وعدد سكانها ٣٥ الفاً . وهي اقدم مدينة في المستعمرة وقد قضت عليها دكار تجـاريا . وبين المدن الاخرى كولخ (٤٠ الفاً) وروفيسك (٢٠ الفاً) ودوربل (١٦ الفاً) وتياس (١٦ الفاً وخمسمئة) . وتقع كولـخ على نهر السلوم ، ويمكن ان تصل البواخر الكبيرة الحجم اليها والى مرفأ «فونديوني» .ولا ننسى بلدة «زنكشور» التي تتمتع باهمية اقتصادية لا بأس بها .

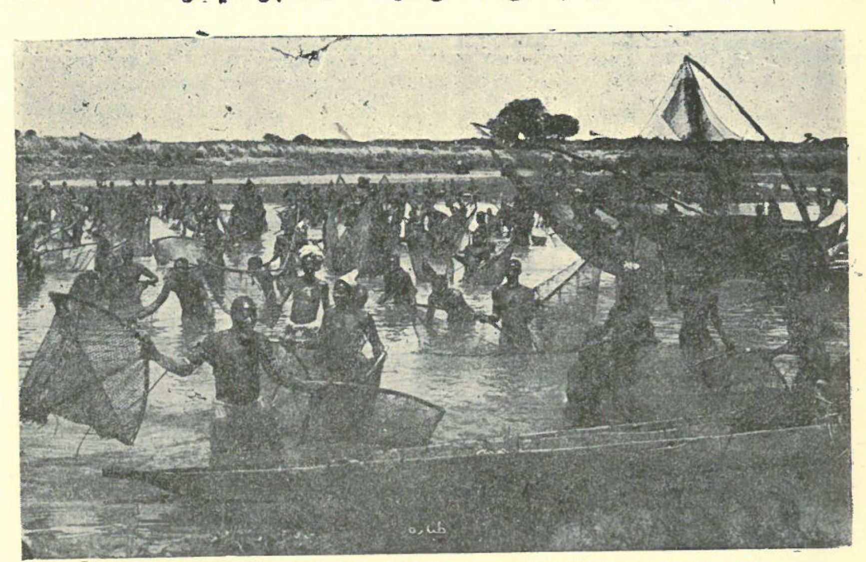
٢ - السودان الفرنسي

يتألف السودان الفرنسي من الاراضي الواسعة الواقعة فيما وراء المستعمرات الساحلية اي فيما وراء السنغال والغينيه وشاطىء العاج . ويحده شمالا الجزائر وغربا الموريتانيا والغينيه وجنوبا شاطىء العاج وشرقا النيجر . وتبلغ مساحته ١٤٦٤٠٠٠ كيلومتر مربع منها ٩٢٣٠٠٠ كيلومتر مربع مأهولة والبقيـة صحراوية خاليه . ويروي نهر السنغال القسم الغربي من البلاد ، ونهر النيجر القسم الشرقي .

وتختلف طبيعة الارض بين الشمال والجنوب ، فالاراضي الواقعـة على ضفة نهر النيجر اليمنى ونهر الباني ـ الذي ينضم اليه ـ هي عبـارة عن سهول واسعة صالحـة للزراعة ، يقطنها سكان نشيطون .ولكن الاراضي فيماوراء الضفة الاخرى تتحول الى صحارى وكـثبان رملية ، تغطها الحشائش والاشواك . والسكان قليلون في هـذه المنطقة ، ومعظمهم من القبائل الرحل التي تشتغل في تربية المواشي.

لمحـة تاريخية ـــ احتل الفرنسيون السودان في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . ولكن الاضطرابات والحروب ظلت متواصلة . وفي سنة ١٨٩٣ جهزوا حملة

كبيرة قضت على كل معارضة واحتلت تمبكتو في آخر السنة نفسها .وفي اوائل هـذا القرن تم نشر السيادة الفرنسية على المناطق الواقعة شمال نهر النيجر .



الزنوج يصطادون السمك في نهر «الباني» في السنغال

السكان ـــ اكثرية السكان من اصل سامي، مثل البيضان والطوارق والفلا. واهم القبائل الزنجية المندي والمادنغا . وكان عددهم في سنة ١٩٣٦ يبلغ ٣٦٠٠٠٠٠ نفس منهم ٧٠٠٠٠٠ من القبائل الرحل .

وعاصمة البلاد هي باماكو وعدد سكانها ٢٢ الفاً . واهم المدن : ساكو ٧٧٠٠ نفس ، كايس ١٢٥٠٠ ، سيكاسو ١١٩٠٠ ، تمبكتو ستة آلاف ، سان ، موبتي نيورو الخ .

المحصولات ـــ اكثر محصولات البلاد زراعية مثل الفستق والذره الصفراء والدخن والقطن والسمسم والصمغ العربي . والصادر منها الى الخارج قليل لان ثمن المحصولات الزراعية بخس لا يتحمل نفقات الشحن الباهظة الى الشاطىء . وليس هنالك امل بتبديل هذه الحالة في المستقبل القريب .

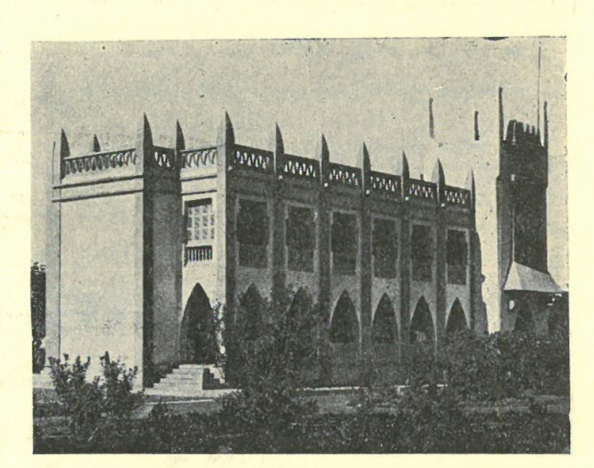
وتربيه المواشي محصورة بايدي الطوارق والفلا . وكان عددهـا في سنة ١٩٣٤ : ٥٥٠٠٠ رأس خيلا ، ١٢٠٠٠ حمـار ، ١ ١٠٠ ٠٠٠ رأس مـاعزاً ، ٥ ٠٠٠ ٠٠٠ رأس غنما ، ، ١٧ ٠٠٠ جمـل . وتبيع المستعمرة مواشي كثيرة من المستعمرات المجاورة .

ويوجد الذهب في بعض المناطق بكميات ضئيلة . وقد بلغ الصادر منه في سنة ١٩٣٦ : ٤٦٧ كيلوغراما ثمنها ٥ ٨٠٠ ٠٠٠ فرنك .

تجـارة البلاد ــ تجارة السودان فقيرة ، كما يدل الجـدول التالي عن الصـادر والوارد في بضع سنوات ، و القيمه بالفرنكات :

السنة	الوارد	الصادر
١٩٢٦	٨٥ ٩٠٧ ٠٠٠	٦ ٢١٧ ٠٠٠
١٩٢٧	٥٨ ٧٢٥ ٠٠٠	١ ١٠٦ ٠٠٠
١٩٢٨	١١٣ ٦٨٥ ٠٠٠	٥ ٢١٧ ٠٠٠
١٩٢٩	٩٣ ١٩٤ ٠٠٠	٣ ٦٠٢ ٠٠٠
١٩٣٢	٢٠ ٠٦١ ٠٠٠	٧ ٠١٨ ٠٠٠
١٩٣٤	١٩ ٠٨٤ ٠٠٠	٥ ٦٣٠ ٠٠٠

ومنذ سنة ١٩٣٤ بدأت ادارة الجمرك تضيف قيمة صادرات السودان ووارداته الى صـادرات السنغـال ووارداته ، لانها لا تستحق الذكر وحدها .



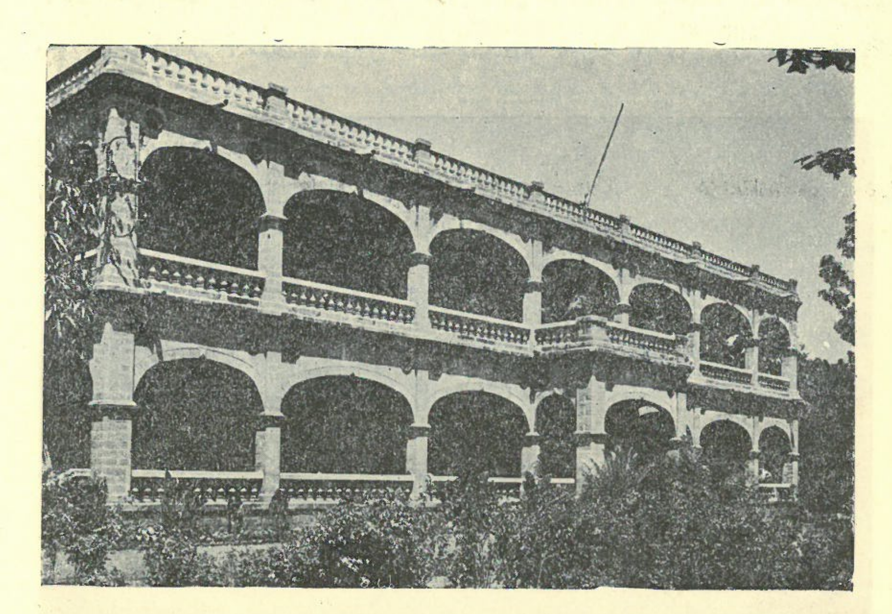
قصر المقيم العام في سا كو (سودان)

طرق المواصـلات ــ

المواصلات سهـلة على نهر النيجر من كوليكورو الى

انسانغو ، على مسافة ١٤٠٨ كيلومترات . ويمكن الصعود في نهر السنغال حتى كايس . والسودان متصل بالسنغال بواسطة سكة حـديد باما كو ـ دكار ، مع فرعين من كـوليكورو الى سـا كو (٢٥٠ كم) ومن باما كو الى كورسا (٣٧٤ كم) والخط الاخير هو قيد البناء .

ويرسل السودان صادراته في القطـار الى كايس ، ومنهـا تشحن على البواخر



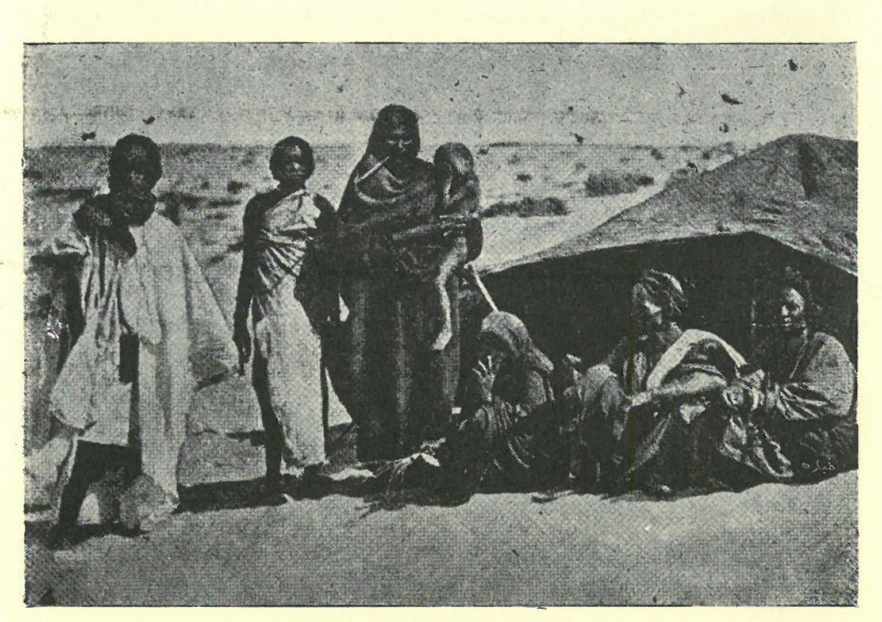
دار المحافظة في باما كو عاصمة السودان الفرنسي .

والمراكب النهرية الى سان لويس . وهناك طريق اخرى على نهر النيجر حتى بلدة كوروسا في الغينه ، ومنها بالقطار الى كونا كري .

والسودان مرتبط لاسلكياً مع برج ايفـل في باريس ، ومع دكار وروفيسك وابيدجان و كوتونو وبرازافيل .

٣ - الموريتانيا

تتألف مستعمرة الموريتانيا من الاراضي الواقعة بين نهر السنغال ومستعمرة ريو دورو الاسبانية . وقد اطلق عليها اسم موريتانيا لان سكانها من « المور » ، وهو الاسم الذي يطلقه الاوروبيون على عرب شمال افريقيه وبربرها . وتبلغ مساحتها ٨٣٥ الف كيلومتر ، معظمها سهول رملية ، تنخفض رويداً كلما قاربت الساحل وحدود



مشهد من مضارب البيضان في صحراء الموريتانيا

السنغال . وتشرف عليها من الشمال الشرقي هضبة الادرار ، ومن الشرق هضبة التاغنت ، ولا يزيد ارتفاع كل منها عن الخمسماية متر .

والقسم الشمالي الشرقي من البلاد صحراوي ، ومناخه كالسودان من حيث الجفاف والحرارة . وتهطل الامطار في مناطق الهضبات ، ولكنها ليست كافية لري الارض .

وقد احتل الفرنسيون الموريتانيا عقب احتلال السودان ، ولاقوا في احتلالها

مصاعب شديدة لان سكانها متمردون على الحكم الاجنبي ، ويتعشقون الحرية البدوية .

ويقدر عدد السكان بـ ٣٢٠ الفاً ، منهم ٦٠ الفاً من الزنوج يعيشون على الضفة اليمنى من نهر السنغال ويشتغلون في زراعة الذره والدخن ، وتربية المواشي . اما الباقون فهم من البيضان . واكثرهم يشتغلون في تربية المواشي ، والقليل القاطن في جبال الادرار والتاغنت يمارس زراعة الحبوب .

وتنتج البلاد الصمغ العربي ، ويكثر فيها النخيل . ويبلغ محصول البلح السنوي ٣٠٠٠ طن ، يصدر منها الصطن الى المستعمرات المجاورة ، والباقي يذهب للاستهلاك المحلي . وكان عدد المواشي في سنة ١٩٣٤ كما يلي : ٢٥٠ ٠٠٠ رأس ماعزاً ، ١ ٩٠٠ ٠٠٠ رأس غنما ، ٥٥٠٠٠ حمار ، ٥٩ ٠٠٠ جمل ، ٤ ٠٠٠ رأس خيلا .

وتجارة البلاد فقيرة جداً كما يبدو من الجدول التالي عن الصادرات والواردات والقيمة بالفرنكات :

السنة	الوارد	الصادر
١٩٣٥	١ ٥١٠ ٠٠٠	٨١١ ٠٠٠
١٩٣٦	٢ ٧٦٧ ٠٠٠	١ ٠٤٤ ٠٠٠
١٩٣٧	٣ ٠٧٦ ٠٠٠	١ ٦٦٦ ٠٠٠

وعاصمة البلاد هي « سان اتيان » ، وهي ايضاً مرفأها الوحيد . ويشتغل معظم سكانها بصيد السمك ، وقد صدرت في سنة ١٩٣٤ : ٣٤٠٠ طن من السمك . اما بقية البلدان المهمة فهي روسو ، بوغيه ، قاضي الخ .

٤ - الغينه الفرنسية

تبتدىء مستعمرة الغينه من قطعة صغيرة على الشاطىء محصورة بين الغينه البرتغالية وسيراليون ، ثم تتسع وتتضخم في المؤخرة ، وتمتد الى ما وراء سيراليون وليبيريا . وتبلغ مساحتها ٢٥١ الف كيلومتر مربع .

وتقع في اقصى الداخلية سلسلة جبال الفوطـة ـ دجلون التي ترتفع قممها الى علو ١٥٠٠ متر . وهي السلسلة الوحيدة التي تستحق الذكر في كل افريقيه الغربيه . ومنها



زنوج يصطادون السمك في نهر « الكونكوريه » في الغينيه الفرنسية .

تنبع ثلاثة انهر هامة : النيجر والسنغال وغامبيا .

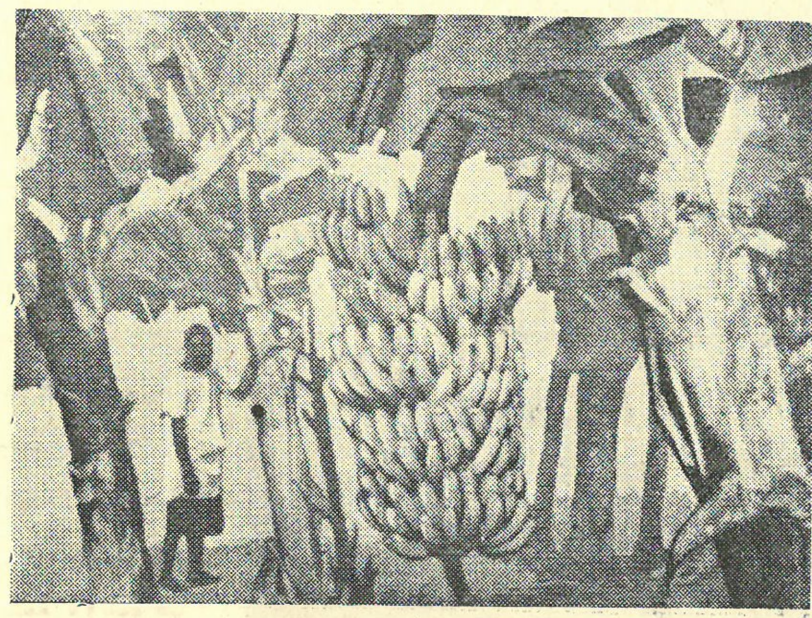
وفي الغينيه نهران كبيران : الكونكوريه والكوغون ، وهما صالحان للملاحة الخفيفة عند اقترابها من الشاطىء ، كما ان نهر النيجر صالح للملاحة في المنطقة الواقعة فيما وراء « كورسا» خلال مدة معينة من السنة . ويكثر المد والجزر في انهر الغينيه في منطقة الشاطيء .

لمحة تاريخية ـــ يتمتع شاطىء الغينيه بسمعة تاريخية حسنة ، فقد كان الملاحون المغامرون يلقبونه قديماً « بارض الانهار الجنوبية » لكثرة ما فيه من مجاري المياه التي كانت تسهل نفوذهم الى الداخلية . وقد دخل الملاحون نهري الريونونيز والريوبنغو

خلال القرن السادس عشر ، ومنذ ذلك الحين والايدي تتعاقب على ملكية الشواطىء حتى اعلنها الفرنسيون مستعمرة فرنسية في سنة ١٨٨٢ ، والحقوها بمستعمرة السنغال ثم عادوا فجعلوها مستعمرة مستقلة . وبعد ذلك نفذوا الى داخلية البلاد واحتلوها بدون مقاومة .

وفي سنة ١٨٩٠ اختار الفرنسيون جزيرة « تومبو » لتكون مقراً للحكومة ، فنشأت عليها مدينة كوناكري عاصمة البلاد في الوقت الحاضر . وهي من اجمل المدن في الشاطىء الغربي .

السكان ـــ كان عدد سكان الغينيه ٢ ٠٩٥ ٩٨٨ في سنة ١٩٣٦ ولا يزال الآن حول هذا الرقم . وتسكن المناطق الساحلية قبائل السوسو المشهورة بالذكاء والمسالمة والنعومة وعددها ٣٠٠ ٠٠٠ تقريباً . وفي جبال الفوطة ـ دجلون يسكن الفلاء ،



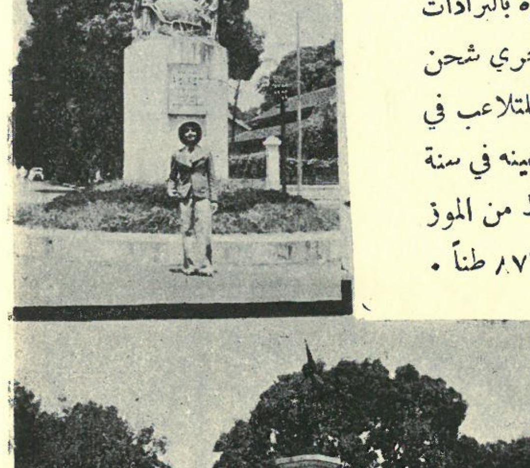
مشهد من مزارع الموز الواسعة في الغينيه الفرنسية

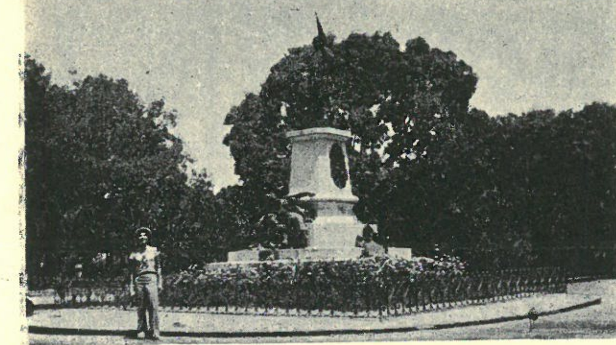
وعددهم سبعماية الف تقريباً . وقد هاجروا الى هـذه البلاد واستوطنوها في القرن السادس عشر . وفي منطقة النيجر العليا يسكن المادنغه . وهناك قبائل متعددة اخرى

منتشرة في الغابات المحاذية لحدود ليبيريا .

وثلاثة ارباع السكان مسلمون ، والباقون وثنيون . وقد استطاعت الارساليات الكاثوليكية والبروتستانية ان تجتذب الفين منهم الى الدين المسيحي .

المحصولات ــ الغينه غنية باشجار الكوتشوك . وحتى وقوع ازمة المطاط في سنة ١٩١١ - ١٢ كان المطاط اهم صادراتها ، اما الان فانه ثانوي . وتوجد كميات كبرى من شجر البالميست في جنوبي المستعمرة ، وهي تنتج سنويا كمية لا بأس بها من البزر والزيت .





فوق : تمثال الحاكم بواريه في كونا كري .
تحت : النصب التذكاري لضحايا الفتح

وبعد الحرب عنيت الحكومة بزراعة الموز فازدهرت ازدهاراً كبيراً . واصبح الموز اهم صادرات المستعمرة . وتوجد الان بضع عشرة باخرة فرنسية صغيرة مجهزة بالبرادات مخصصة لنقل الموز الى فرنسا . ويجري شحن الموز تحت مراقبة صارمة منعاً للتلاعب في جودته واوزانه . وقد صدرت الغينه في سنة ١٩٢٦ ما وزنه ٢٠١٩ طناً فقط من الموز وارتفع الصادر في ١٩٣٠ الى ٨٫٧٦٦ طناً . وبلغ في سنة ١٩٣٧ ٤٦٧٧٢ طناً ثمنها ٤٥ مليون فرنك .

وتصدر الغينه قليلا من جذور الارض والشمع . وينمو فيها الارز ويصدر الى المستعمرات المجاورة ، وقد هبطت صادرات

الكولا منها ولم تعد تستحق الذكر ، ولكنها لا تزال تحتل مركزاً حسناً في تجارة الاستهلاك الداخلي . ويزرع التبغ للاستهلاك الداخلي . وتتقدم زراعة القطن والقهوة ، ولكنها لم تبلغ درجة مهمة .

المواشي ــ تلعب المواشي دوراً مهما في اقتصاديات البلاد ، ولاسيما في جبال الفوطة والمقاطعات الشرقية . ودل احصاء ١٩٣٦ على وجود ٤٠٠ ٠٠٠ رأس ماعزاً ، و ١٥٠ الف رأس غنما و ٢ ٠٠٠ حصان ، ٢ ٥٠٠ حمار وبغل ، ٨٠٠ خنزير . وتصدر الغينه بعض المواشي للذبح ، و كميات من الجلود .

تجارة البلاد ــ فيما يلي جدول الصادر والوارد خلال بضع سنوات ، والقيمة بالفرنكات :

السنة	الوارد	الصادر
١٩٢٩	١١٥ ٣٨٠ ٠٠٠	٦٠ ٠٤٠ ٠٠٠
١٩٣٣	٥٦ ٩٠٥ ٠٠٠	٥٥ ٠٨٢ ٠٠٠
١٩٣٥	٦٠ ٩٧٤ ٠٠٠	٧٩ ٠٣١ ٠٠٠
١٩٣٦	٨٨ ٦٩٧ ٠٠٠	١٠٠ ١٧٥ ٠٠٠
١٩٣٧	١٥٢ ٩٤٥ ٠٠٠	١٧٣ ٨٨٠ ٠٠٠

وفيما يلي جدول عن تفاصيل الصادرات واثمانها واوزانها خلال بضع سنوات :

	١٩٣٣		١٩٣٥		١٩٣٧	
	اطنان	الوف فرنكات	اطنان	الوف فرنكات	اطنان	الوف فرنكات
بزر الباليست	٩٦٧٩	٤ ٧١١	١١ ٢٣٤	٦١٣٧	١٩ ٢٥٩	١٨ ٢٨٠
الموز	٢١ ٧٥٨	١٩٥٧٩	٣٠ ٩٠٨	٢٣ ١٨١	٤٦ ٧٧٢	٤٤ ٤١٥
الذهب كغ.	١٥٧٦	٢٠ ٦٣٩	٣ ٠٦٧	٢٩ ٠٢٢	٢ ٩٤٢	٦٠ ٩٢٥

المعادن ــ الشائع ان البلاد غنية بالمعادن ، فقد ثبت وجود الحديد في منطقة كونا كري وبوكيه والفوطه . والذهب موجود في الاراضي الداخلية القريبة من الانهر مثل تنكيسو وبوريه وسيكه ، وكان ثمن الصادر منه في سنة ١٩٢٩ مليون

فرنك ، فاصبح اليوم اكثر من اربعين مليوناً . واهم عقبة تحول دون توسع التعدين هي قلة اليد العاملة ، فالزراعة تستهلك جميع الايدي العاملة في المستعمرة ، واستخدام العمال من الخارج يكلف نفقات طائلة .

المواصلات التلغرافية — يوجد في الغينه ٣٩٧٥ كيلومتراً من الخطوط التلغرافية و ٨٤٠ كيلومتراً من الخطوط التلفونية . وهي متصلة بالسلك البحري (الكابل) مع فرنسا وبرنامبوكو (البرازيل) وفريتون ومونروفيا . وتوجد في كوناكري محطة لاسلكية تستطيع الاتصال بدكار وباماكو وكران بسام .

اهم المدن والمرافيء — كوناكري هي عاصمة البلاد وعدد سكانها ١٥ الفاً وفيها شوارع بديعة تحاذيها اشجار المانغو والقطن الضخمة . ولها مرفأ طبيعي ممتاز يحتاج الى قليل من الاصلاح ليصبح حديثاً ، وقد بدأ العمل في بناء سد طويل وحوض كبير .

واكبر مدن الداخلية هي كانكان ، وعدد سكانها عشرة آلاف . ومن المدن الاخرى كنديا والمامو ودابولا وبوكيه وكريا . وهنالك مرافيء صغيرة مثل فكتوريا وبنتي وماناكونغ وتابوريا الخ .

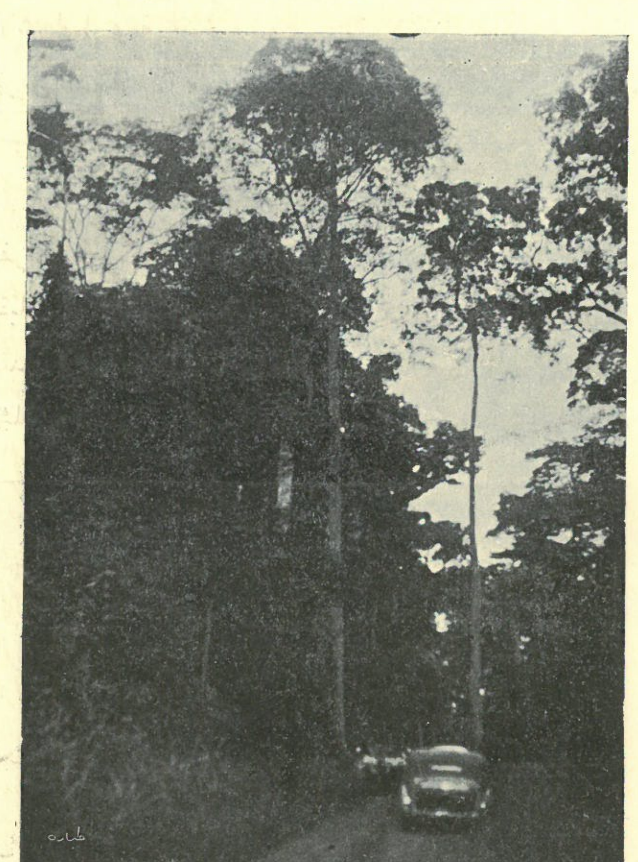
٥ — شاطىء العاج

اطلق على هذه المستعمرة اسم شاطىء العاج لكثرة الافيال فيها ، فهي موجودة في الغابات التي تبعد ٣٠٠ كيلومتر فقط من الشاطيء ، واحياناً اقل . وقد وضعت الحكومة قاسيه لتحديد صيد الافيال والحؤول دون اندثارها .

ويستخرج العاج من انياب الافيال المقتولة حديثاً او الميتة قديماً ، ولكن العاج الحديث هو اكثر بياضاً ولمعاناً ، ومعدل طول الناب متر ونصف ، ولكن هناك انيابا تقارب المترين والنصف ، ويوجد في كران بسام وابيدجان معملان لصنع الادوات العاجية الانيقة .

طبيعة الارض — تبلغ مساحة شاطىء العاج ٤٦٩ ٠٣٨ كيلومتراً مربعاً . ويحده من الشرق شاطىء الذهب ، ومن الشمال النيجر والسودان ، ومن الغرب الغينه

وليبيريا ، ومن الجنوب المحيط الاتلانتيكي . وارض المستعمرة مستوية بوجه الاجمال ، خالية من المرتفعات الا على موازاة حد وليبيريا ، وفي الشمال الغربي حيث توجد سلاسل جبلية يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ و ١٦٠٠٠ متر .



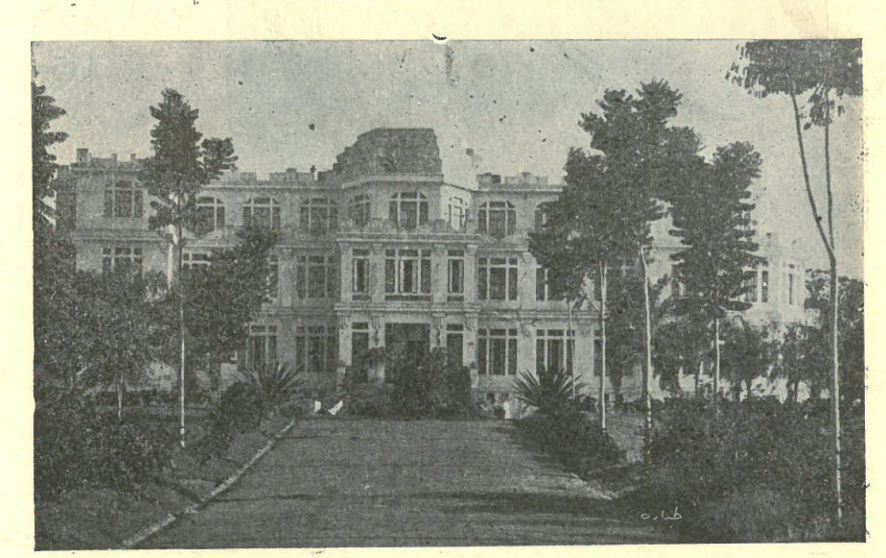
صورة مأخوذة في الغابات الاستوائية الضخمة في شاطيء العاج

تروي البلاد عدة انهر ، اهمها نهر « كوموئي » الذي يصب في البحر قرب كران بسام ، وطوله ٧٥٠ ك.م ونهر « بانداما » الذي يصب قرب لاهو وطوله ٨٠٠ كيلومتر ، ونهر «ساساندرا» الذي يصب قرب ساساندرا وطوله ٥٥٠ كيلومتراً ، ونهر « كافالي » الذي يفصل بين جنوب شاطىء العاج وليبيريا وطوله ٤٠٠ كيلومتر . ولكل من هذه الانهر فروع متعددة ، معظمها صالح للملاحة الخفيفة الى مسافة ٦٠ — ٧٠ كيلومتراً فقط من الشاطىء .

وتمتد على موازاة الشاطيء سلسلة من المستنقعات النهرية الشبيهة بالبحيرات (لاغون) يبلغ معدل عمقها اربعة امتار . تساعد على تسهيل الملاحة الخفيفة بجانب الانهر .

ووراء الشاطىء تمتد منطقة من الغابات المتوسطة غنية جداً بشجر الباليست ، وعرضها ٥٠ كيلو متراً • ووراءها تبدأ منطقة الغابات الاستوائية الكثيفة ذات الاشجار الرفيعة الضخمة ، وهي غنية بالاخشاب ، خاصه خشب الماهوغوني • ويبلغ عرض هذه المنطقة ٣٠٠ كيلومتر ، ووراءها تخف كثافة الغابات رويداً رويداً حتى تصبح بسيطة للغاية • بيد ان ضفاف الانهر تظل محفوفة دائماً بغابات كثيفة •

لمحة تاريخية — شاطىء العاج هو احدث مستعمرة فرنسية ، فقد استقر عليه الفرنسيون في اول القرن التاسع عشر • وفي سنة ١٨٣٢ وما بعدها عقدوا مع زعماء القبائل في الشاطىء معاهدات ادخلت البلاد في حوزة النفوذ الفرنسي • وفي سنة ١٨٤٥ عقدت فرنسا مع انكلترا معاهدة حددت حدود كل من الدولتين بين شاطىء العاج وشاطىء الذهب • وفي سنة ١٨٦٨ وسعت فرنسا حدودها من جهة الغرب حتى بلغت

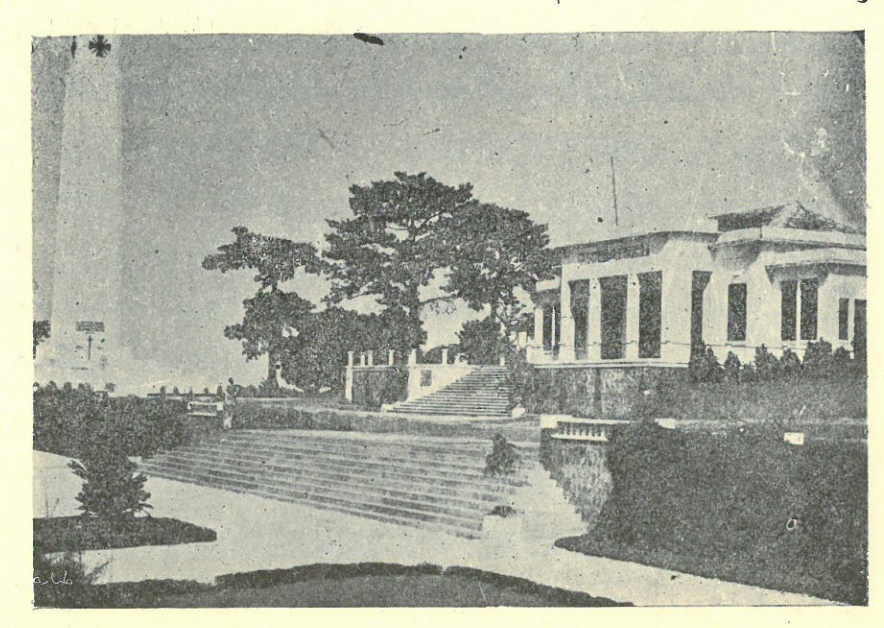


قصر حاكم شاطىء العاج ، وقد بني حديثاً في ابيدجان •

نهر كافالي ، فاصبح النهر الحد الفاصل بين شاطىء العاج وليبيريا •

وسنة ١٨٧٠ انهمك الفرنسيون في مشاكلهم الاوروبية مع المانيا ، فاهملوا هذه

المستعمرة وتخلو عنها • ولم يعودوا اليها الا بعد ١٣ سنة ، فضموها نهائياً الى ممتلكاتهم والحقوها بحكومة السنغال • ثم عادوا في سنة ١٨٩٣ وجعلوها مستعمرة مستقلة ذات



بناية «المحاربين القدماء» في ابيدجان، ويبدو الى اليسار «المسلة» التذكارية لضحايا الحرب

حكومة خاصة بها ، مرتبطة بالحكومة العامة في دكار •

وفي السنوات التالية اخذوا يتوسعون نحو الشمال ويستثمرون ثرواتها • ثم بدأوا في سنة ١٩٠٣ يبنون سكة حديدية ، فوصلت الخطوط في سنة ١٩١٢ الى بواكيه على مسافة ٣١٦ كيلومتراً • وبعد الحرب العظمى مدوا السكة الى بوبوديولاسو فوصلتها في سنة ١٩٣٤ واصبح طولها ٨٠٧ كيلومترات • ويوجد الان مشروع بتمديدها حتى السودان •

السكان — بلغ عدد سكان شاطىء العاج حسب احصاء ١٩٣٦ : ٣٨٥٩ ٤٥١ نفساً • وهم ينتمون الى خليط عجيب من القبائل • ولا يزالون في الداخلية منحطين انحطاطاً شديداً بسبب حداثة عهدهم بالمدنية البيضاء • ويقال ان بعض القبائل الشمالية

لا تزال تأكل لحم البشر رغم جهود الحكومة للقضاء على هذه العادات الوحشية .

المحصولات — محصولات شاطىء العاج كثيرة لا تنقطع . وتنمو في منطقة الشاطىء اشجار البالميست بكثرة . وتبلغ مساحة الاراضي النامية فيها سبعة آلاف كيلومتر مربع . ومنتوجها السنوي يبلغ ثمنه العشرين مليون فرنك .

الكاكاو — تُبذل عناية خاصة في زراعة الكاكاو على مثال شاطىء الذهب ، لان الاراضي والاحوال الجوية متماثلة في المستعمرتين . وتشجع الحكومة هذه الزراعة كثيراً . وقد كان منتوج الكاكاو في سنة ١٩٢٠ : ١٠٣٦ طناً ، فاصبح ٣٦٠٠ طن في سنة ١٩٢٣ ، و ٩٨٠٨ في ١٩٢٧ ، و ٤٩٧٦٦ في ١٩٣٦ . ورغماً عن هبوط اسعار الكاكاو في الاسواق العالمية فان هذه الماده تظل اهم صادرات المستعمرة . وجميع كميات الكاكاو تنتجها مزارع تخص الشركات الاجنبية او المزارعين البيض ، بعكس الحالة في شاطىء الذهب حيث يملك العبيد كل مزارع الكاكاو .

الكولا — تكثر اشجار الكولا في منطقة الغابات . ويعزى الفضل في تنشيط صادرات هذه المادة الى مهاجرينا فهم وحدهم الذين يتاجرون بها ويشترونها من العبيد حتى في اعماق الاحراش . وكولا شاطىء العاج مرغوبة في الخارج . وقد صدرت منها البلاد في سنة ١٩٣٧ ما وزنه ٨ ٤٢٥ ٠٠٠ كيلوغرام . وتراوح ثمن الكيلو بين فرنك وعشر فرنكات حسب تطور سوق العرض والطلب. وتقدر قيمة الصادر السنوي باربعين مليون فرنك .

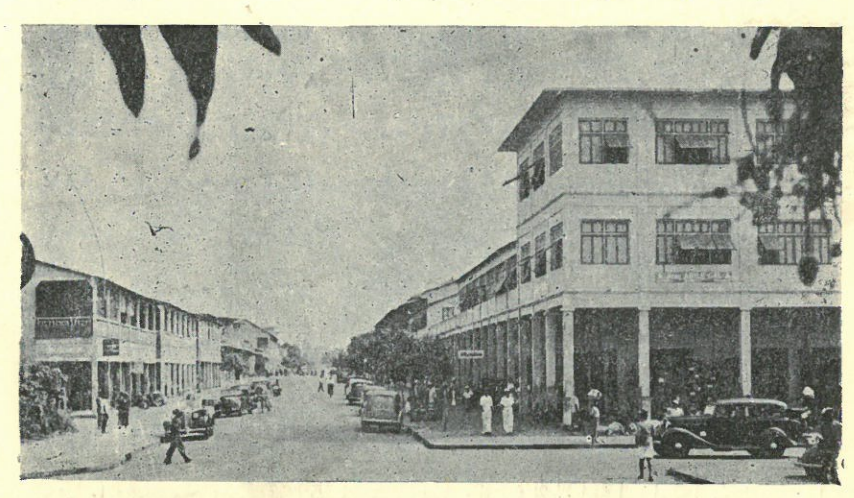
والكولا موجودة طول فصول السنة ، ولكن موسمها الكبير يقع في تشرين الثاني وكانون الاول وكانون الثاني ، ويتفق مع موسم الفستق في السنغال . ولهذا السبب يكثر الصادر في هذا الفصل ويجد اسواقا واسعة في السنغال .

القهوة — لم تبلغ زراعة القهوة بعد ما بلغته زراعة الكاكاو ، ومع ذلك فان صادرات القهوة بازدياد مطرد ، فقد ارتفعت من ١١٢ طناً في سنة ١٩٢٣ الى ٤٠٥ في سنة ١٩٢٩ ، و ٦٤٨٥ في ١٩٣٦ ، و ١٠ ٠٨٩ في ١٩٣٧ .

ويزرع القطن بازدياد في المناطق الشمالية والوسطى . ومن الصادرات الهامة

الكاوتشوك والسمن الشجري والخشب . وتقدر صادرات الخشب بثلث صادرات البلاد .

المواشي — لا تلعب المواشي دوراً تجاريا هاما في شاطىء العاج . وتكاد تكون معدومة في مناطق الشاطىء ، ولكنها تكثر في الشمال . وكان عددها في سنة ١٩٣٤



شارع من شوارع ابيدجان . ويلاحظ ان جميع المباني حديثة العهد .

كما يلي : ١٦ ٠٠٠ حصان ، ٢٠٠ ٠٠٠ رأس ماعز ، ٩٥٠ ٠٠٠ رأس غنم ١٩ ٠٠٠ خنزير . وقد صدرت البلاد في سنة ١٩٣٦ : ٣٠ ٤١٦ رأس ماعز ، و ١٧ ٥٠٠ رأس غنم للذبح ، ثمنها كلها ستة ملايين فرنك .

المعادن — ليس في البلاد معادن تستحق الذكر سوى كميات ضئيلة من الصخور الفوسفورية ، ومن ذرات الذهب ، والذهب موجود في بواليه قرب كران بنسام ، وفي نهري كوموئي وبيا ، وفي اندانيه .

الصناعة — انشأ الاوروبيون صناعات مهمة كمصانع زيت البالميست ومصانع نشر الخشب والقطن والقرميد والمقالع والعاج . اما العبيد فانهم يعملون في بعض

الصناعات اليدوية البسيطة كالنسيج والفخار والجلد والخشب .

تجارة شاطىء العاج ــ فيما يلي جدول عن صادرات وواردات شاطىء العاج خلال سنوات عديدة ، والقيمة بالفرنكات :

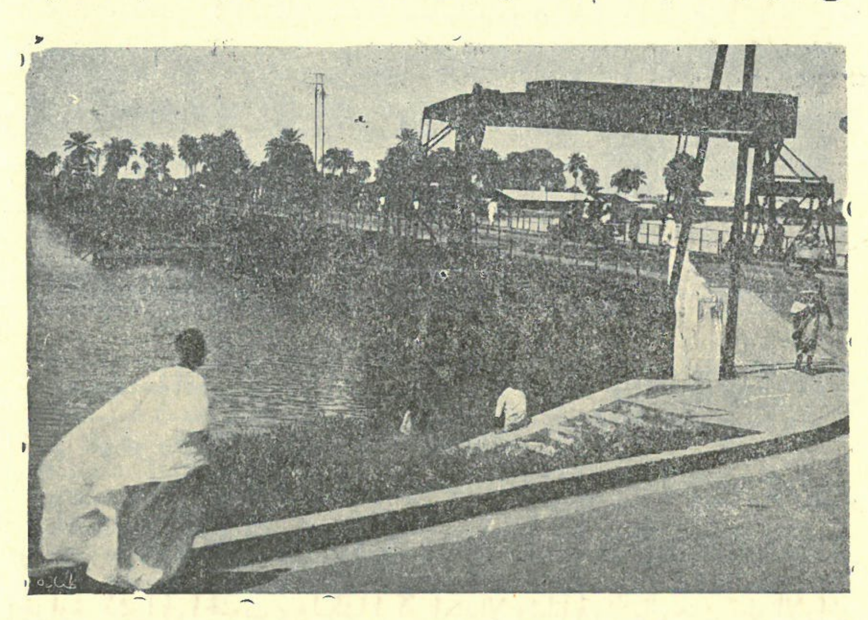
السنه	الوارد	الصادر	مجموع الوارد والصادر
١٩٢٣	٥٥ ٧٣٨ ٠٠٠	٦٢ ٦١٨ ٠٠٠	١١٨ ٣٥٦ ٠٠٠
٩٢٤	٧٧ ٢٢٤ ٠٠٠	١١١ ٧٦٩ ٠٠٠	١٨٨ ٩٩٣ ٠٠٠
٩٢٦	١٨١ ٥٨١ ٠٠٠	٢١٣ ٨١٩ ٠٠٠	٣٩٥ ٤٠٠ ٠٠٠
٩٢٧	١٩٣ ٣٠٥ ٠٠٠	٢٣٥ ٤٦٧ ٠٠٠	٤٢٨ ٧٧٢ ٠٠٠
٩٢٩	٢٤٤ ٩٧٧ ٠٠٠	٢٦١ ٥٣٩ ٠٠٠	٥٠٦ ٥١٦ ٠٠٠
٩٣٣	٩٣ ٩٠٧ ٠٠٠	٢١٤ ٣٢٢ ٠٠٠	٢٠٨ ٢٢٩ ٠٠٠
٩٣٥	١١٦ ٦٧٦ ٠٠٠	١٣٨ ١٧٦ ٠٠٠	٢٥٤ ٨٥٢ ٠٠٠
٩٣٦	١٥٥ ٥٢٥ ٠٠٠	١٨٢ ٤٦٤ ٠٠٠	٣٣٧ ٩٨٨ ٠٠٠
٩٣٧	٢٩٣ ٢٦١ ٠٠٠	٣٢٥ ٠٧٠ ٠٠٠	٦١٨ ٢٧٦ ٠٠٠

وفيما يلي جدول اخر عن تفاصيل الصادرات واثمانها واوزانها خلال سنوات عديدة :

نوع المحصول	١٩٣٣ اطنان	١٩٣٣ الوف فرنكات	١٩٣٥ اطنان	١٩٣٥ الوف فرنكات	١٩٣٧ اطنان	١٩٣٧ الوف فرنكات
كاكاوا	٣١ ٠٦٤	٦٢ ١٢٨	٤٣ ٥٦٤	٥٦ ٦٣٣	٤٨ ٠٦٣	١٤٩ ٠٩٥
بزر البالميست	٤ ٣٧٨	٢ ٠٥٩	٥ ٨٢٥	٢ ٣٨٣	١٢ ٦٩٢	١٢ ٧٥٧
زيت البالميست	٣ ١٩٢	٢ ٠٦٣	٢ ٢٨٥	١ ٧٨٤	٤ ٦٣٧	٧٥٢١
القطن الشجري	٩٤٨	٣ ٣٢٠	١ ٥٥٧	٥ ٤٤٠	٢ ٢١٩	٨ ٦٦٢
القهوة	١ ٦٩٨	٨ ٤١١	٥ ١٨٤	٢٥ ٩١٨	١٠ ٠٧٩	٥٠ ٣٩٧
السمن الشجري	١ ١٤٧	١ ٩٨٧	١ ٢٧٥	١ ٩١٢	٢ ٩٢٧	٥ ٠١٤
الاخشاب النفيسة	٣٩٩٦٩	١١ ٩٩١	٢٥ ٩٥٣	١١ ٣٥٧	٤٧ ٠٦٠	١٩ ٢٧٨
الاخشاب العادية	٢٤ ٥٦٠	٧ ٣٦٨	٢٠ ٠٧٢	٥ ٠٩٨	٣٤ ٨٤٩	١٢ ٩٩١

المواصلات التلغرافية ــ في سنة ١٩٣٥ كان في شاطىء العاج ٥٥٠ ٧ كيلومتراً من الخطوط التلغرافية، و٨٥٠ من الخطوط التلفونية . والمواصلات التلفونية موجودة بين ابيد جان ، ابواسو ، اسيني ، بسام ، بنجر فيل ، دابو ، لاهو ، تياساليه الـخ . وتوجد ايضاً ثلاث محطات لاسلكية .

اهم المدن والمرافىء ــ كانت بلدة بنجرفيل حتى سنة ١٩٣٣ عاصمة شاطىء العاج السياسية ومقر الحاكم والحكومة ، وكانت اكثر الدوائر القضائية والرسمية



الجسر الحديدي العائم في ابيدجان ، وهو ينفتح من الجهة اليمني لتمر البواخر الصاعدة والنازلة في النهر .

في كران بسام . ولكن الحكومة بدأت تنتقل ابتداء من تلك السنة الى ابيدجان لانها واقعة على الخط الحديدي . ويبلغ عدد سكان ابيدجان ٢٠ الفاً . وهي مدينة حديثة جميلة ، تكاد تكون اجمل مدينة في افريقيه الغربيه .

ومرفأ ابيدجان هو الان « بوربويه » الواقع على بعد بضعة اميال منها . وهو

مرتبط معها بالسكة الحديدية ، وفيه سقالة حديدية داخلة في البحر طولها ٤٠٠ متر وعليها عشر آلات رافعة . ويجري نقل الشحن الى البواخر ومنها بواسطة الزوارق. على ان الحكومة بدأت العمل في انشاء مرفأ لابيدجان ، يربطها بالبحر بواسطة قنال تصل بينه وبين البحيرات الواقعة عليها المدينة . ويستغرق العمل فيه خمس سنوات ويكون اكبر مرفأ في افريقيه الغربيه بعد دكار . ولا شك ان هذا المرفأ يؤمن لابيدجان اعظم مستقبل بين كل المدن الافريقيه .

وتأتي بعدها « كران بسام » وعدد سكانها ٥٠٠٠ نفس ولها مرفأ لا بأس به ذو سقالة طولها ٣٠٠ متر . وبين المدن الاخرى : واغادوغو (١٤٢٠٠) كودغو (١٩٥٠٠) دلوا ، اكبوفيل ، بنجر فيل الخ . وهناك مرافىء صغيرة مثل : غران لاهو ، اسيسني ، تابو ، سان بادرو ، ساساندرا ، فريسكو الخ .

٦ – الداهومي

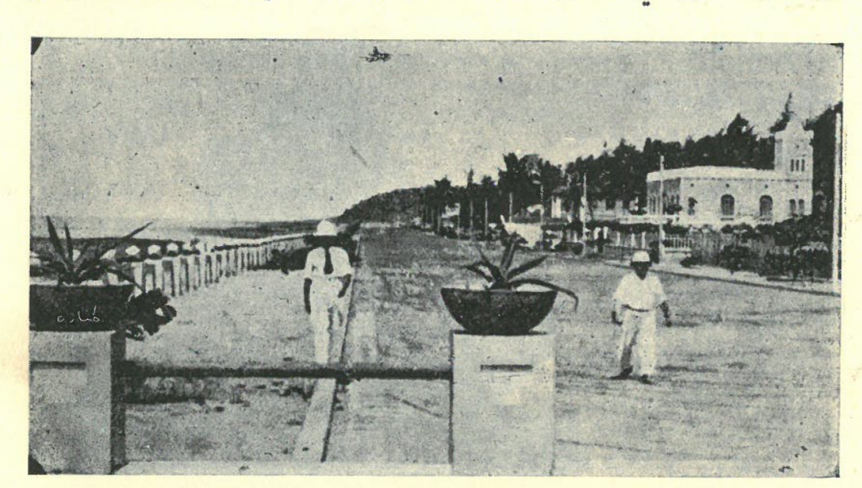
تبلغ مساحة الداهومي ١٢٢٠٠٠ كيلومتر . ويحدها من الشرق نيجيريا ، ومن الغرب التوغو ومن الشمال النيجر وشاطىء العاج .

ويدوم الفصل الجاف في الداهومي من تشرين الثاني الى ايار ، وفصل الامطار من حزيران الى تشرين الاول . والرطوبة فيها شديدة ، وكذلك الندى . وتتقلب الحرارة كثيراً في الجنوب ، ولكنها اكثر اعتدالا وثباتاً في الشمال حيث تعلو الاراضي عن سطح البحر ٤٠٠ متر .

لمحة تاريخية — كان الملاحون الاوروبيون يترددون على شواطىء الداهومي منذ القديم للمتاجرة بالرقيق وشحنه الى اميركا . واول موءسسة تجارية بيضاء تأسست فيها في اوائل القرن السابع عشر ، على يد شركة الهند الشرقية الفرنسية . ثم بنت الشركة حصن « وايدا » القائم حتى اليوم .

وكانت العلاقات التجارية يومئذ بين التجار البيض وملوك الداخلية مقتصرة على

تجارة الرقيق . ولم تبسط فرنسا حمايتها رسمياً على المستعمرة الا في سنة ١٨٨٢ . وعلى الاثر انتقض عليها العبيد ودارت حروب دامية بين الغزاة وملك « ابومي »



جانب من الكورنيش على شاطيء بلدة كوتونو اهم مرافيء الداهومي

دامت عدة سنوات . ولم تهدأ الداهومي السفلى الا في سنة ١٨٩٤ . فتابع الفرنسيون نفوذهم تدريجيا في المناطق الوسطى والعليا . وفي سنة ١٨٩٧ عقدت فرنسا معاهدة مع انكلترا لتحديد الحدود بين الداهومي ونيجيريا ، وفي العام التالي عقدت مثلها مع المانيا لتحديد الحدود بين الداهومي والتوغو . وفي سنة ١٨٩٩ جعلت الحكومة الفرنسية « الداهومي » مستعمرة قائمة بنفسها ، مرتبطة بالحكومة العامة في دكار .

السكان — عدد سكان البلاد ١١١٥٠٠٠ نفس . وهم يقسمون ثلاثة اقسام . في الجنوب يسكن زنوج الداهومي (الدجيدجي) وفي الوسط والشرق اليوربا ، وفي الشمال الباريبا . وعاصمة البلاد هي « بورتو نوفو » وعدد سكانها ٢٣٥٠٠ ، ومرفأها المهم « كوتونو » وعدد سكانه ٦٠٠٠ نفس ، وله سقالة طولها ٣٠٠ متر ثم وايدا (١٠٥٠٠) ابومي (١١٣٠٠) كران بوبو الخ .

المحصولات — المناطق الجنوبية غنية باشجار البالميست ، ويزرع فيها الكاكاو

والقطن والذره . وفي الشمال يزرع القطن وتربى المواشي .

تجارة البلاد — فيما يلي صادرات البلاد ووارداتها خلال بضع سنوات ، والقيمة بالفرنكات :

	الوارد	الصادر
١٩٢٧	١٥٩ ٠٢٤ ٠٠٠	١٣٥ ٥١٧ ٠٠٠
٩٣٦	٨٦ ٩٣٩ ٠٠٠	٩٠ ٣٨٥ ٠٠٠
٩٣٧	١١٠ ٥٣١ ٠٠٠	١٢٢ ٣٨٣ ٠٠٠

وفيما يلي جدول عن اهم الصادرات واوزانها واثمانها في سنة ١٩٣٦ :

بزر الباليمست	٧٤ ٧٤٤	طناً ثمنها	٤٧ ٨٤٣ ٠٠٠	فرنك
زيت الباليميست	٢٤ ٩٥٦	〃 〃	٢٦ ٢٧٦ ٠٠٠	〃
القطن	٩٤٧	〃 〃	٢ ١٢٨ ٠٠٠	〃
فستق العبيد	٣ ٩٧٢	〃 〃	٥ ٢٨٢ ٠٠٠	〃

وسائل المواصلات — في المستعمرة خطوط حديدية متعددة ورد ذكرها في الفصل السابع . واهمها : خط كوتونو ـ سافيه ـ تشاورو (٣٨٠ كم) وباراكو (٤٣٨ كم) وخط كوتونو ـ وانتاه (٢٨ كم) وبورتو نوفو ـ ساغبورويه وغران بوبو ـ لو كوسا .

ويبلغ طول الطرق الصالحة لسير السيارات ٥٥٠ ٤ كيلومتراً ، منها ١٣٩٥ كيلومتراً من الطراز الاول .

٧ - النيجر

تقع مستعمرة النيجر فيما وراء مستعمرة نيجيريا البريطانية ، والداهومي . وهي تحمل اسم نهر النيجر الذي يجتازها قبل دخوله نيجيريا . وتبلغ مساحتها ٠٠٠ ٣٠٠ ١ كيلومتر ، والقسم الاكبر منها صحراوي تعوزه المياه ، ما عدا الجزء المحاذي لنيجيريا فانه صالح للزراعه البسيطة .

ومستعمرة النيجرة تؤلف في طبيعتها قسما من السودان . واول من اكتشف مجاهلها الرحالان الالمانيان بارت وفوكل ، ثم ضمها الفرنسيون الى ممتلكاتهم عقب فتح السودان في القرن الماضي

ويبلغ عدد سكان النيجر حسب احصاء ١٩٣٦ : ٠٠٠ ٧٥٠ ١ نفس ، معظمهم من الطوارق والفلا وبعض الهوسا . وعاصمة المستعمرة هي مدينة « نيامي » الواقعة على نهر النيجر وعدد سكانها ٦٠٠٠ نفس . واهم البلدان زندر (٥٠٠ ١٠) وتاهووا (٦٠٠ ١٢) .

عنزة فوق صخرة من صخور «زندر» الشهيرة

المحصولات والمواشي — يزرع الهوسا في المناطق الجنوبية من النيجر الدخن والارز والذره والفستق والتبغ والقطن والخضراوات . ولا يمكن تصدير شيء من هذه المحصولات لرخص سعرها وقلة وسائل المواصلات ، يستثنى من ذلك فستق العبيد الذي تتزايد زراعته باطراد . ولا ينمو شيء في المناطق الشمالية لانها رملية صحراوية .

والمواشي كثيرة في النيجر ، وقدقدر عددها في سنة ١٩٣٧ بـ ٠٠٠ ٦٣ رأس خيل ، ٠٠٠ ٦٨٥ ثور ، ٠٠٠ ١٥٥ حمار ، ٠٠٠ ٨٥٠ رأس ماعز ، ٠٠٠ ٦٠٠ ٢

رأس غنم ، ٥٠٠٠٠ جمل . وتصدر منها البلاد كميات وافرة الى نيجيريا وشاطيء الذهب .

تجارة النيجر — فيما يلي جدول الصادرات والوردات خلال السنوات الاخيرة ، والقيمة بالفرنكات :

	الوارد	الصادر
١٩٢٧	٢٧ ٣٩٨ ٠٠٠	٣٧ ٨٧٠ ٠٠٠
٩٣٥	١٨ ٧٤٠ ٠٠٠	٢٣ ٣٥٩ ٠٠٠
٩٣٦	٢٨ ٥٦٧ ٠٠٠	٤٩ ٢٢٠ ٠٠٠
٩٣٧	٣٦ ٦٧٥ ٠٠٠	٣٣ ٤٥٧ ٠٠٠

واهم الصادرات هو فستق العبيد ، فقد صدرت منه البلاد مايلي :

١٩٣٣	٥٩٥ طناً	ثمنها	١٢٧ ٠٠٠	فرنك
٩٣٥	١٧ ٥٣٥ =	=	١٠ ١٢٧ ٠٠٠	=
٩٣٦	٤٥ ٠٠٠ طن	=	٣٣ ٣٢٧ ٠٠٠	=

وصدرت البلاد في سنة ١٩٣٦ مواشي بقيمة ١١ مليون فرنك .



الفصل التاسع

غامبيا (افريقيه الغربية البريطانية)

تبلغ مساحة غامبيا ١٠٠٠٠ كيلومتر مربع ، اي بقدر مساحة الجمهورية اللبنانية . وهي تنقسم قسمين : مستعمرة غامبيا ومحمية غامبيا . وتبلغ مساحة المستعمرة ١٧٦ كيلومتراً مربعاً ، والبقية تؤلف المحمية .

يروي البلاد نهر غامبيا الذي ينبع من جبال الفوطه في الغينه ، وبعد ان يجتاز مسافة ١١٠٠ كيلومتر في خط كثير الاعوجاج والانحراف ، يصب في البحر قرب رأس القديسة ماري . وتستطيع البواخر التي حمولتها ٢٠٠٠ طن الصعود في النهر الى مسافة ٢٥٠ كيلومتراً .

المناخ والامطار — مناخ غامبيا حار ، ولكنه ليس استوائياً مثل الغينه وسيراليون وبقية المستعمرات الجنوبية . ويبلغ معدل هبوط الامطار في «باثرست» ٤٠ قيراطاً . وتتقلب الحرارة تقلباً سريعاً ، وقد يبلغ الفرق بين حرارة الصباح والظهر ٢٠ – ٢٥ درجة سنتيغراد ، والطقس معتدل من تشرين الثاني الى ايار ، ولا تهطل الامطار خلال تلك المدة . ويبدأ هطولها في حزيران وتغزر من اواسط حزيران الى اواسط ايلول . واثناء هذه المدة يكون المناخ سيئاً جداً للبيض بل حتى للسود ايضاً .

لمحة تاريخية — يقال ان نهر غامبيا كان معروفا في العصور القديمة ، وان بعض الملاحين القادمين من قرطجنة اكتشفوا مصبه قبل المسيح . ولكن الاوروبيين لم يعرفوه الا في اواسط القرن الخامس عشر ، عندما اكتشفه البرتغاليون . ومدخل

النهر خال من الصخور ، فأغوت سهولة دخوله الملاحين المغامرين على الصعود فيه طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ظناً منهم انه افضل باب للنفوذ الى قلب افريقيه الغربية .

وفي اواخر القرن السادس عشر ، وجه الانكليز اهتمامهم نحو افريقيه الغربية وخاصة غامبيا . فلم يلبثوا حتى نشروا فيها تجارة الرقيق . وفي اواخر القرن السابع عشر بنوا حصن سانت جيمس على ضفة نهر غامبيا،واحتل الفرنسيون الضفة الاخرى وعلى الأثر جرت بين الطرفين مناوشات دامية على امتلاك البلاد امتدت عدة اجيال وفي سنة ١٨١٦ ترك الانكليز حصن سانت جايمس وأسسوا مدينة باثرست على جزيرة القديسة ماري في مدخل النهر .

وكانت غامبيا حتى ذلك التاريخ تابعة لشركة «التجار الافريقيين» الانكليزية فضمتها الحكومة الى ممتلكات التاج في سنة ١٨٢١ . وفي سنة ١٨٩١ عقدت انكلترا معاهدة مع فرنسا لتسوية الخلاف على الحدود ، نصت على ان تمتلك انكلترا قطعة من الارض عرضها ستة اميال على كل ضفة من النهر ، ولمسافة ٢٥٠ ميلا في الداخل . ومقابل ذلك تنازلت انكلترا لفرنسا عن جزيرة غوريه الواقعة امام دكار .

السكان ــ دل احصاء ١٩٣٥ على ان عدد سكان مستعمرة غامبيا يبلغ ١٤٣٧٠ يعيش معظمهم في مدينتي باثرست وماك كارثي . اما عدد سكان المحمية فانه يبلغ ١٨٥ ٠٠٠ نفس ما عدا الذين يفدون كل سنة من المستعمرات الفرنسية المجاورة للاشتراك في زرع الفستق ، ويعودون بعد انتهاء الموسم الى بلدانهم ، وعددهم يتراوح بين العشرين والثلاثين الفاً . واكثر سكان غامبيا مسلمون ، وهم ينتمون الى قبائل المادنغا والفلا والجولان والجلا .

وقد ادت تسوية الحدود بالشكل المنصوص عليه في معاهدة ١٨٩١ الى تجزئة القبائل ، فترى ابناء القبيلة الواحدة موزعين بين غامبيا والسنغال .

الادارة ــ يحكم المستعمرة حاكم انكليزي يعينه الملك ، ويساعده مجلس تنفيذي واخر تشريعي . اما قسم المحمية فان المشايخ والزعماء يحكمونه تحت اشراف مستشارين

ومفوضين انكليز . والبلاد مقسومة خمس مقاطعات تدعى : الضفة الشمالية ، جزيرة ماك كارثي ، النهر الاعلى ، الضفة الجنوبية ، كوموبو وفوني . والعاصمة هي باثرست ، وعدد سكانها ١٢ الفا . وفيما يلي جدول عن تطور ميزانية غامبيا خلال بضع سنوات ، والقيمة بالليرات الانكليزية :

السنة	الدخل	الخرج
١٨٩٠	٣٠ ٥٠٠	٢٢ ٧٠٠
١٩١٣	١٢٤ ٩٩٠	٩٥ ٢٠٩
١٩٢٣	٢٢٩ ٦٨٨	٢١١ ٣١٧
١٩٣٢	٢٠٦ ١٣٢	١٩٦ ٠١٥
١٩٣٥	٢٤٥ ٤٨٥	١٩٤ ٦١٩
١٩٣٦ ـ ٣٧	٢٥٧ ١٨٠	٢٠٩ ٠٠٠

واهم مصادر الدخل هي الجمرك . وقد كان دخله في سنة ١٩٣٦ : ١٨٥ ٢٣٦ ليرة والبقية تأتي من الضرائب والرسوم . وليس على البلاد ديون عمومية ، اذ سددت الخزينة آخر اقساطها منذ بضع سنوات .

الجيش والبوليس ــ تتألف القوة العسكرية في غامبيا من كتيبة من « حرس حدود افريقيه الغربية » عددها ١٤٩ نفراً ، وعدد البوليس ١٣١ نفراً .

التعليم ــ اكثر التعليم في ايدي البعثات التبشيرية ، وخاصة الكاثوليكية والانكليكانية والوزليانية منها. وفي باثرست مدرسة اسلامية تساهم الحكومة في الانفاق عليها وللحكومة ايضاً عشر مدارس ابتدائية كان عدد تلامذتها ١٢٠٠ في سنة ١٩٣٧ . وقد انشأت الحكومة في قسم المحمية مدرسة خاصة بابناء الزعماء والشيوخ .

الصحف ــ تصدر في باثرست جريدة اسبوعية باللغة الانكليزية باسم «غامبيا اوت لوك اند سانا غامبيا ريبورتر » .

المحصولات ــ فستق العبيد هو اهم محصولات البلاد ، ويشتغل في زراعته ثلث سكان البلاد فضلا عن المهاجرين من السنغال. وقد جاء في تقرير وضعه المستر اورمسبي

غور ، وزير المستعمرات الانكليزية السابق عن زيارته لغامبيا في سنة ١٩٢٦ ، ان عبيد غامبيا يزرعون ثلث محصول الفستق ، والعبيد المهاجرين الثلث الثاني ، والثلث الباقي يرد من السنغال ثم يعاد تصديره من غامبيا .

وقد كان محصول الفستق قديماً لا يكفي للاستهلاك المحلي ، ولكنه تزايد باستمرار وبديء بتصديره في اواسط النصف الاول من القرن الماضي و كان الصادر في سنة ١٨٤٨ يبلغ ٨٦٣٧ طناً ، فاصبح في العام الماضي ٦٥٢ ٤٩ طناً ثمنها ٣١٧ ٤٢٧ ليرة انكليزية .

ويزرع القطن للاستهلاك المحلي . وقد اخفقت المحاولات لزرع كميات كبيرة للتصدير . وفي غامبيا عدد قليل من اشجار الباليميست ، وكان الصادر من بزرها في سنة ١٩٣٦ : ٦٢٦ طناً قيمتها ٨٥٨ ٤ ليرة . وتزرع ايضاً مزروعات غذائية مثل الدخن والارز واليام والبندوره والبطاطا الحلوة الخ .

تجارة غامبيا — فيما يلي جدول عن الوارد والصادر خلال سنين مختلفة ، والقيمة بالليرات الانكليزية :

السنة	الوارد	الصادر
١٨٩٥	٣٩٩ ٩٧	٥٣٧ ٩٣
١٩١٣	١٢٩ ٠٩١ ١	١١٨ ٨٦٧
١٩٢٣	٨٩٨ ٨١٣	٥٠٩ ٨٩٩
١٩٣٢	٧٠٠ ٢٩٢	٨٩٤ ٤٠٦
١٩٣٦	٤٦٧ ٥٨٢	٢٣٨ ٥٠١

واهم الواردات هي البضائع القطنية والاواني المعدنية والكولا والارز والسكر والتبغ والطحين . ويتوزع الوارد بين الدول كما يلي :

انكلترا ٥٣٫٦ بالمئة ، الممتلكات البريطانية ٢٣٫١ بالمئة ، فرنسا ١١٫٦ ، اليابان ٦٫٣ ، الولايات المتحدة ٣٫١ ، المانيا ١٫٩ .

ويوزع الصادر كما يلي : انكلترا ١٩٫٥ ، هولندا ٢٢٫٧ ، المانيا ١٢٫٢ ، بلجكا ٢٠ بالمئة الخ .

البنوك — يوجد في باثرست فرع لبنك افريقيا الغربية البريطانية . والعملة هي نفس العملة المتداولة في كل افريقيه الغربية الانكليزية (راجع بند العملة في الفصل الثاني عشر .)

البرق والبريد — في سنة ١٩٣٧ كان في البلاد اربعة مراكز بريدية فقط وتحمل الزوارق البريد مرة في الاسبوع الى المناطق الواقعة على ضفتي النهر . وتوجد اربع محطات لاسلكية في : باثرست ، جورج تون ، كونتور ، باسي . وباثرست متصلة بالتلغراف البحري (الكابل) مع سيراليون ومع سانت فنسان عاصمة جزر «كابوفاردي»

المرافيء — المرفأ الوحيد هو العاصمة باثرست الواقعة على جزيرة سانت ماري عند مصب نهر غامبيا . ويمكن ان ترسو فيه البواخر الصغيرة على عمق ٣٠ قدما . ويجري انزال الشحن الى السقالة بالزوارق .

وتوزع نسبة البواخر التي دخلت باثرست في العام الماضي كما يلي : انكليزية ٧٢ بالمئة ، فرنسية ٩٫٦ ، المانية ٦٫٦ ، هولندية ٢٫٢ .



الفصل العاشر

سيراليون (افريقية الغربية البريطانية)

تنقسم سيراليون اداريا الى قسمين ككل المستعمرات الانكليزية ، احدهما قسم المستعمرة ، والآخر قسم المحمية . وتبلغ مساحة البلاد كلها ٨٠٤٠٠ كيلومتر مربع (٣١٠٠٠ ميل مربع).ويتألف قسم المستعمرة من شبه جزيرة سيراليون وجزر تاسو وبانانا وشربرو ، ومساحته وحده عشرة آلاف كيلومتر مربع (٤٠٠٠ ميل مربع) اي ثمن مساحة البلاد كلها .

ويحد سيراليون من الشمال والشمال الشرقي مستعمرة الغينه الفرنسية ، ومن الشرق والجنوب الشرقي جمهورية ليبيريا .

وتمتد على شاطيء سيراليون بعض الجبال ، ثم تنخفض الارض وراءها فوراً ، ثم تعود الى الارتفاع كلما توغلنا نحو الداخلية ، حتى تصبح هضبة عالية تبرز منها عدة قمم ، يقارب علو بعضها الالف متر . وما عدا منطقة شبه جزيرة سيراليون الجبلية ، ينبسط شاطيء منخفض ، تمزقه المستنقعات والمجاري البحرية الصاعدة نحو الداخل .

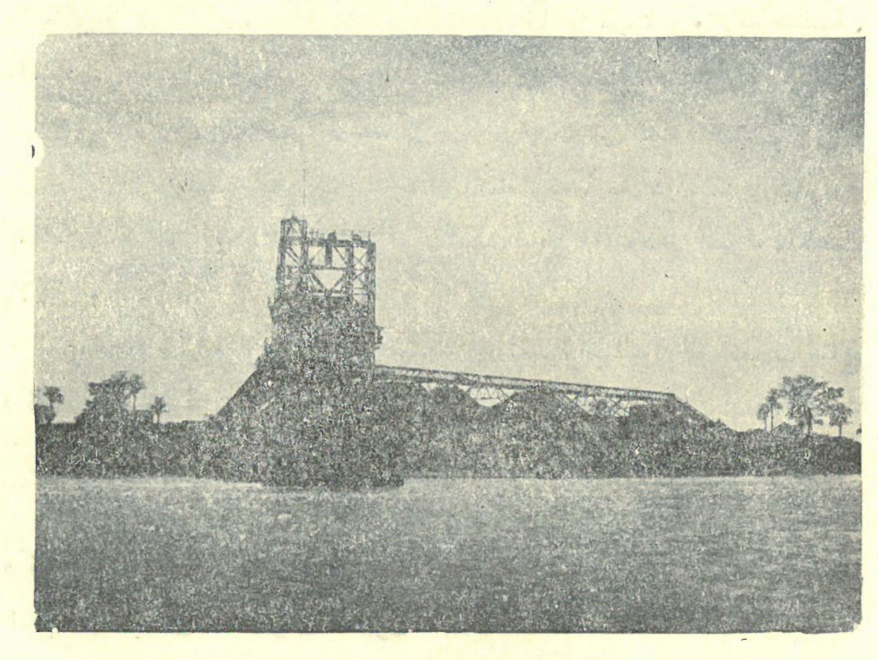
وتكسو الغابات المتنوعة المناطق الجنوبية والوسطى ومنطقة الشاطيء ، وفيها كثير من الشجيرات والعليق المتدلي والطفيليات . والارض خصبة جداً بوجه الاجمال لاسيما على ضفاف الانهر . والانهر متعددة ، ولكن البواخر لا تستطيع السير فيها ، وتوجد عدة بحيرات في الناحية الجنوبية .

المناخ — المناخ في سيراليون استوائي تكثر فية الامراض . وقد كانت سيراليون تتمتع في الماضي بسمعة سيئة جداً من حيث تأثير المناخ على البيض . ولكنها في حالتها

الحاضرة لا تختلف كثيراً عن جاراتها .

وتهطل الامطار في اشهر عديدة ، ولكنها تغزر بين ايار وتشرين الاول . ويسود الجفاف في كانون الثاني وشباط . ويكثر المطر على موازاة الشاطيء ، ثم يقل كلما توغلنا في الداخلية . ويبلغ معدل المطر سنويا في فريتون ١٥٦ قيراطاً ، ثم يتضاءل في الداخلية حتى يبلغ ٩٢ قيراطاً فقط .

لمحة تاريخية — في سنة ١٤٦٢ ارسل الملك هنري البحّار ملك البرتغال بعثة لاكتشاف اراض جديدة تزيد في غنى الدولة ، بقيادة الربان بادرو دا سنترا ، فبلغت



مشهد عام للسقالات الحديدية في مرفأ « بابل » على نهر بورت لوكو

البعثة شواطيء سيراليون ونزلت عليها وبنت مؤسسة برتغالية صغيرة . وقد اطلق البرتغاليون اسم سيراليون على البلاد الجديدة ، اي«جبل الاسد» لانهم تخيلوا ان سلسلة الجبال المشرفة على الشاطيء تشبه الاسد الرابض . واعلى قمة في هذه الجبال تلقب



وجوه افريقيه

امرأة خلاسية او « قهوة بحليب »

بريشة قيصر الجميل

بـ «قالب السكر» وعلوها ٢٥٠٠ قدم .

وفي اوائل القرن السادس عشر اخذ الانكليز يترددون على شواطيء سيراليون للمتاجرة بالرقيق . ثم تأسست عدة شركات تجارية انكليزية لاستثمار البلاد ، ولكنها منيت بالفشل ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأ الغاء الرقيق في العالم كله . وعلى الاثر ألف المستر وليم ولبرفورس شركة باسم « شركة سيراليون » هدفها المتاجرة مع الداخلية من جهة،ومن جهة اخري جلب الرقيق الاسود المتحرر من اميركا الشمالية الى هذه البلاد . وفي سنة ١٧٩٢ استقدمت الشركة اول «شحنة» من هؤلاء العبيد من جزيرة نوفاسكوتيا على الشواطيء الاميركية ، واسكنتهم سيراليون ، وظلت تنقلهم رويداً حتي اوائل القرن التاسع عشر . وقد بلغ عددهم في سنة ١٨٢٤ : ٥٠٠ ١٢ عبد .

وكانت الاحوال الصحية يومئذ سيئة جداً في المستعمرة، مما حال دون تقدمها السريع . وانتشرت عدة اوبئة فتاكة في فريتون شملت البيض والسود على السواء ، وذهبت بالالاف .

وفي سنة ١٨٠٨ اعلن الانكليز رسمياً ضم مستعمرة سيراليون الى ممتلكات التاج وكان عدد سكان فريتون في ذلك الحين الف شخص فقط . ثم بدات السلطة تبسط نفوذها على الداخلية باسم الحماية حتى اكملت احتلال البلاد .

وظلت سيراليون حتى سنة ١٨٧٤ اهم مستعمرة انكليزية في افريقيه الغربية ، وكان حاكمها يحكم غامبيا وشاطيء الذهب في آن واحد. اما الان فانها افقر مستعمرة انكليزية بالنسبة الى المستعمرات الاخرى .

السكان — عدد سكان قسم المستعمرة ٤٢٢ ٩٦ نفساً ، بينهم ٨٤٦ ٣٢ نفسا من «الكريول» اي العبيد المحررين الذين جيء بهم من اميركا. اما عدد سكان المحمية فانه يبلغ ٠٨٧ ٦٧٢ ١ نفساً . وهم ينقسمون الى عدة قبائل اصيلة في البلاد او دخيلة عليها . وبين القبائل الاصيلة قبائل التمني في الشمال وعددها ٤٩٤ الفاً ، وقبائل « المندي » في الجنوب وعلوها ٥٧٩ الفاً. اما القبائل الدخيلة فيأتي في مقدمتها «الفلا» وهم

موزعون في انحاء البلاد .

والفلا مسلمون ، وقد حملوا معهم الدين الاسلامي الى سيراليون ونشروه فيها، فاصبح ٧٥ بالمئة من السكان مسلمين ، والباقون وثنيون ، الا في قسم المستعمرة حيث يعتنق الكريول الدين المسيحي . وتبدي البعثات الاجنبية نشاطاً ظاهراً في الداخلية . ومما يجب ذكره ان معدل الوفيات بين الاطفال كبير جداً ، وقد بلغ في العام الماضي ٢٣ بالمئة !

الادارة — يحكم سيراليون حاكم يعينه ملك انكلترا رأساً ، ويساعده مجلس تنفيذي وآخر تشريعي . ويجري حكم قسم المستعمرة مباشرة ، اما المحميه فانها تقسم ثلاث مقاطعات رئيسية ، وكل مقاطعة تقسم بدورها عدة مناطق ، وفي كل منطقة مفوض انكليزي (ديسي) مهمته الاشراف على المشايخ والزعماء الوطنيين الذين يحكمون في المحمية .

ميزانية الحكومة — تعتمد سيراليون على نفسها في نفقاتها . وبفضل بعض التطور الذي طرأ على البلاد في القرن الاخير ، ارتفعت ارقام الموازنة ارتفاعا محسوساً كما يبدو من الجدول المنشور ادناه ، والقيمة بالليرات الانكليزية :

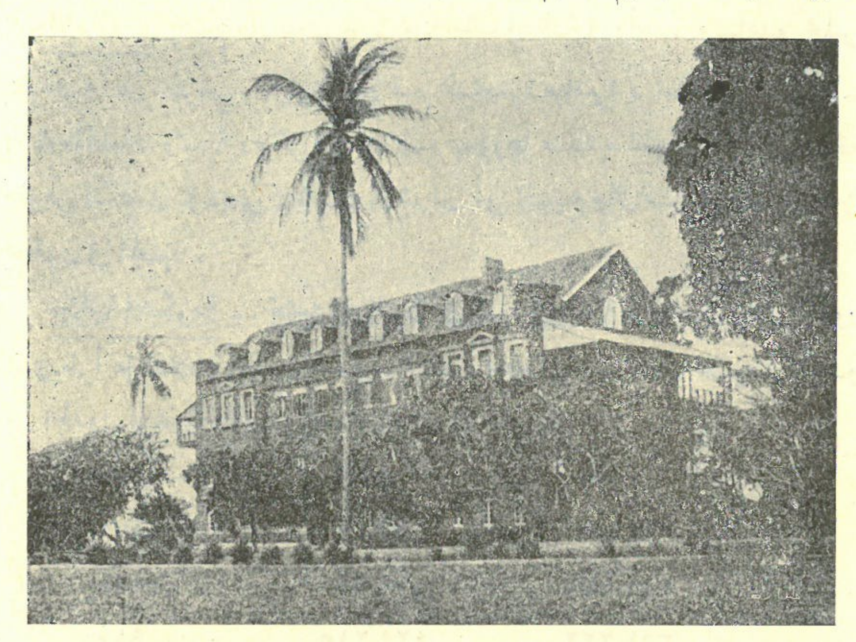
السنة	الدخل	الخرج
١٨٧٠	٦٧ ١٣٥	٦٨ ٠٣٣
١٩٠٠	١٦٨ ٦٦٨	١٥٦ ٤٢١
٩١٠	٤٢٤ ٢١٥	٣٦١ ٢٢٢
٩٢٨	٨٢٦ ٣١٩	٨١٥ ٣٧٤
٩٣٥	٦٧٨ ٩٨٨	٥٨٥ ٥٨٥
٩٣٦-٣٧	٩٦٩ ٦٦٨	٨٧٩ ٣٧٠

ويأتي نصف الدخل تقريباً من رسوم الجمرك . وقد بلغ مجموعها في العام الاسبق ٧٨٧ ٤٩٠ ليرة ، وبلغ دخل الضرائب العقارية ٠٧٣ ١٩٤ ليرة ، والبقية تأتي من

الضرائب التجارية والضريبة السنوية المقطوعة المفروضة على كل زنجي، وكانت ميزانية سكة الحديد تابعة للميزانية العامة ، ولكنها استقلت عنها في اول كانون الثاني ١٩٣٧ .

وتبلغ قيمة الدين العام على سيراليون ٢٥٨ ٧١٨ ١ ليرة ، والاحتياطي الموجود لديها ٦٠١ ٤٧٤ ليرة .

المعارف — يعد قسم المستعمرة من ارقى مناطق افريقيه الغربية ، فالكريول يعتنون عناية خاصة بتعليم ابنائهم ، وقلما تجد « كريولياً » يجهل القراءة والكتابة ،



كلية «فوراه باي» في فريتون المرتبطة بجامعة ديرهام في انكلترا .

الانكليزية طبعاً . وبين الكريول اطباء ومحامون وقضاة واساتذة وقس . وجميع مستخدمي المحلات التجارية والكتبة والموظفون الرسميون هم من الكريول .

وكان عدد المدارس الابتدائية في سيراليون كلها ٢٣٨ مدرسة في سنة ٩٢٩ ، فارتفع في العام الماضي الى ٢٥٠ مدرسة ، منها عدد قليل يخص الحكومة ، والاكثرية الباقية تابعة للبعثات التبشيرية الاجنبية ، ولكن اكثرها يتلقى مساعدات مالية سنوية

من الحكومة . وتوجد كذلك ٢٥ مدرسة ثانوية اكثرها للبعثات .

وانشأت الحكومة عدة مدارس صناعية وفنية . كما انها اسست في فريتون في سنة ١٨٢٧ كلية عالية تدعى كلية « فوراه باي » وهي تمنح درجة بكلوريوس علوم ، وتعد التلامذة للجامعات الكبرى في انكلترا وخاصة لجامعة ديرهام المنتمية اليها .

ويقدر عدد التلامذة في جميع المدارس بعشرين الفاً ، معظمهم في مدارس فريتون وملحقاتها .

الصحف — تصدر الحكومة مجلة رسمية باسم «سيراليون رويال غازيت» ، وتصدر برقيات رويتر ثلاث مرات في الاسبوع بشكل نشرة مطبوعة . وللكريول عدة صحف : منها ما هو يومي مثل «الدايلي مايل» و «الدايلي غارديان» ، ومنها ما هو اسبوعي مثل «اخبار سيراليون الاسبوعية» و «أوت لوك» . وجميع هذه الصحف فقيرة في مادتها وحجمها . ولها عناية خاصة بالرياضة .

القضاء — تنظر المحاكم البيضاء في قضايا البيض . اما قضايا السود فانها تعرض على محاكم الشيوخ الوطنيه . وللشيوخ الحق في اصدار عقوبات السجن الطويل اذا وافق عليها المفوض الانكليزي .

الدفاع — تتألف قوة الدفاع عن المستعمرة من كتيبة واحدة من «حرس حدود افريقيه الغربية» مجهزة ببطارية مدفعية واحدة . وفي البلاد عدة اماكن محصنة تحصيناً قويا للدفاع البحري . ويتمتع الحاكم بمنصب وبمهام نائب اميرال ايضاً .

المحصولات — سيراليون فقيرة بالنسبة لبقية المستعمرات البريطانية ، واقتصادياتها تعتمد على الزراعة وانتاج الغابات . ولولا المعادن التي اكتشفت فيها حديثاً لكانت حالتها سيئة جداً في الوقت الحاضر .

واهم المنتوجات الزراعية هي زيت البالميست والجذور والكولا . وسيراليون ليست غنية بالخشب ، ولا توجد فيها غابات استوائية كثيفة . ومعظم غاباتها من الشجيرات والعليق (بوش) .

ويكثر العبيد من زراعة الارز ، لاسيما في المنخفضات الواقعة قرب الانهر . وهم

يزرعون ايضاً السمسم والدخن والفاصوليا والذره والبطاطا الحلوة . وزراعة الارز حديثة العهد اذ انتشرت في سنة ١٩٣٠ فقط . ولكن الحكومة شجعتها كثيراً لانها الوسيلة الوحيدة لاستثمار اراضي المستنقعات . ويذهب معظم منتوج الارز للاستهلاك الداخلي .

وتنمو في سيراليون جميع انواع الاثمار الافريقية مثل الكولا والموز وجوز الهند والمانغو والاناناس والباباني والكباد (غرايب فروت) والليمون والبرتقال والفلفل . والكولا هي اهم الجميع ، ولكن صادراتها خفت بسبب منافسة كولا شاطىء العاج لها . وقد جرت عدة محاولات لزرع الكاكاو فلم تنجح ، وتزرع القهوة للاستهلاك المحلي وكذلك القطن . وغزل القطن هو من الصناعات الوطنية القليلة .

الماشية — تكثر الاوبئة بين المواشي في المناطق الساحلية والسهلية ، وتحول دون تكاثرها ، بيد ان تربية الماشية شائعة في المناطق الشمالية الجبلية . ويوجد من المواشي البقر والماعز والغنم والخنازير وبعض الخيول .

المعادن — في سنة ١٩٢٨ اكتشف المهندسون مناطق غنية بالحديد (هيماتايت) والذهب والبلاتين والماس . وفي الحال تألفت شركات انكليزية متعددة لاستثمارها . وتقع مناجم الحديد في منطقة «مارمبا» على بعد اربعين ميلا من الشاطىء ، ويعمل فيها الان : كثر من الفي عامل . وقد انشأت شركة استثمار المناجم خطاً حديديا خاصاً لنقل الحديد من المناجم الى الشاطىء ، طوله ٥٠ ميلا . وهو يمر فوق نهر « بورت لوكو » على جسر خاص ، ثم ينتهي على ضفة النهر في مكان يدعى «بابل» ، حيث بنت الشركة جسوراً وابراجا وسقالات حديدية ضخمة لاستقبال المشحون وافراغه في البواخر . وقد صدرت البلاد من الحديد في سنة ١٩٣٥ ما قيمته ٨٤٨ ١٧٨ ليرة انكليزية ، وفي سنة ١٩٣٦ ارتفع الرقم الى ١٤٣ ٢٦٢ ليرة ، وهو في ارتفاع متواصل.

والبلاتين موجود على شواطيء شبه جزيرة سيراليون . وقد بدي ء بتصديره في سنة ١٩٣٠ ، فصدر منه ٤٨٨ اونساً قيمتها ٣ ٦٣١ ليرة . على ان مناجمه ليست غنية . والذهب موجود بكثرة في عدة مناطق ، لاسيما على شواطيء الانهر ، وفي شمال

شرق «ماكبوركا» . وقد ارسلت اول شحنة منه الى الخارج في سنة ١٩٣٠ وكان وزنها ٣٨٤ اونساً وثمنها ١٦١٧ ليرة . اما الآن فالبلاد تصدر ماقيمته ربع مليون ليرة انكليزية . وقد اكتشفوا الماس في سنة ١٩٣٢ ، وتصدر منه البلاد الان بثلاثة ارباع المليون جنيه سنويا . ويمتاز ماس سيراليون بصفاء وبهاء نادرين .

تجارة البلاد — فيما يلي جدول عن الصادر والوارد خلال سنوات مختلفة ، والقيمة بالليرات الانكليزية :

السنة	الوارد	الخارج
١٨٧١	٣٠٥ ٨٤٩	٤٦٧ ٧٥٥
١٩١٣	١ ٧٥٠ ٣٠٣	١ ٧٣١ ٢٥٢
٩٢٧	٢ ١١٢ ٠٢٤	١ ٧٦٧ ٢٥٩
٩٣٢	١ ٢٤٨ ٣٤٦	٩٣٢ ٧٧٣
٩٣٥	١ ٢١٤ ٣١٥	١ ٥٨٣ ٨٣٤
٩٣٦	١ ٣٤٦ ٧١٥	٢ ٣٧٦ ٩٦٥

وفيما يلي تفاصيل الصادرات في سنين مختلفة ، مع وزنها وقيمتها :

	١٩٣٢		١٩٣٥		١٩٣٦	
	الكمية	الثمن بالجنيهات	الكمية	الثمن	الكمية	الثمن بالجنيهات
بزر بالميست (اطنان)	٧٧١٦٢	٦٨٧٤٧٧	٧٨٠١٩	٥٨٣٦٤٥	٨٤٥٧٨	٨١٠٢٣٨
زيت بالميست =	٢٢٠٨	٢٦٩١٤	٢٨٩٢	٣٥٨١٤	١٢٢٣	١٦٣١٣
كولا (١١٢ ليبره)	٤١٧٠٨	٤١٣٧٣	٣٧١٨٣	٣٩٤١٥	٤٦٠١٧	٤١٥٣٩
بياسافا (طن)	٢٨٧٧	٢٣٢٩٠	٣٤٣٨	٣٠٩٩٨	٣٥٥٨	٣٢٧٧٧
انكر (١١٢ ليبره)	٢٧٦٣٩	٢٢٨٧٧	٢٠١٢١	٣٦٩١٨	٣٢٨٣١	٥٨٦٧٣
الذهب (اونس)	١٢٢٤٧	٥٨٩١٧	٣٣٢١٦	٢٢٥٤٢٣	٣٨٨٠٤	٢٥٦١٣٩
الماس (قيراط)	٧٤٨	١٤٩٧	٢٩١٨٣٧	٤٠٢٠٦٧	٦١٦٠٠٠	٧٢٥٢٧٢
البلاتين (اونس)	٤٩٤	٤٤٩٢	٥٥٦	٣٨٧١	٣٧٥	٣١٨٤

واهم الواردات هي البضائع القطنية والاواني المعدنية والتبغ والطحين والمشروبات الروحية ومواد البناء والسيارات . ويتوزع اكثر الصادر والوارد بين الدول كما يلي :

	الوارد	الصادر
انكلترا	٧٠٫٢ بالمئة	٦٨٫١ بالمئة
الولايات المتحدة	٦٫١ =	٢٫٥ =
المانيا	٦٫٢ =	١١٫٣ =
هولندا	٠٫٧ =	٧٫٩ =

البنوك — يوجد لبنك افريقيه الغربيه البريطانية فروع في فريتون وبونثي (شربرو) وغيرها ، وفرع لبنك باركليز في فريتون . وفي ادارة البريد صندوق خاص للتوفير . والعملة هي نفس العملة المستعملة في كل افريقيا الغربية الانكليزية (راجع بند العملة في الفصل الثاني عشر .)

البرق والبريد — في كل سيراليون ٧٥ مكتباً للبريد . ويبلغ طول الخطوط التلغرافية ١١٤٣ ميلا . اما التلفون فانه موجود في فريتون فقط ، وعلى موازاة بعض خطوط السكة الحديدية . وفي فريتون محطتان لاسلكيتان .

المواصلات — وسائل المواصلات فقيرة جداً ،وليس فيها شيء من العناية الموجودة في شاطىء الذهب والمستعمرات الفرنسية . واهمها سكة الحديد التي تمتد من فريتون الى الشرق حتى بلدة «باندمبو» في اقصى الحدود الشرقيه وطولها ٢٢٧ ميلا . وهناك خط آخر يتفرع من محطة «باديا» ويتجه الى الشمال الشرقي حتى بلدة «ماكيني» وطوله ٨٣ ميلا .

والخط ضيق عرضه ٧٥ سنتيمتراً فقط (قدمان ونصف) يسير عليه القطار ببطء . والعربات قديمة العهد والطراز . ولما كانت السكة ملكا للحكومة ، فانها تشق الان طريقاً للسيارات بين فريتون والداخلية خوفاً من منافستها للقطار . وهكذا لا يستطيع الانسان السفر الى الداخلية الشرقية الا بالقطار ، والى الداخلية الشمالية الشرقية الا بالزوورق البخاري في نهر بورت لوكو . ولا يسير القطار يومياً في كل مكان . بل

فوق : فريتون كما تبدو من جهة البحر في الوقت الحاضر
تحت : الشيء نفسه كما كان في سنة ١٧٥٠ . وتبدو وراء المدينة سلسلة الجبال التي توهم البرتغاليون انها تشبه الاسد الرابض .

يتوجه يوما الى بندمبو ويوما الى ماكيني ، وبذلك يترتب على الراكب ان ينتظر عودة القطار مدة ٤٨ ساعة .

وتوجد بين مدن الداخلية شبكة قصيرة من الطرق طولها ٨٢٠ ميلا، كما ان الطرق في قسم المستعمرة مفروشة بالاسفلت ، وطولها ٦٠ ميلا .

اهم المدن والمرافيء — لا يستطيع الانسان ان يحبس اعجابه بروعة الطبيعة عندما تطل الباخرة على فريتون : فهي تدخل اولا خليجاً جميلا ، ثم تنكشف امام الناظر لوحة فنية بديعة ، من البحر الازرق الهاديء ، الى الشاطيء الصخري الاجرد ، وفوق المدينة ووراءها منثورة هنا وهناك سلسلة من جبال سيراليون المكسوة بالاخضرار الدائم .

وتتابع الباخرة تقدمها في هذا النطاق الطبيعي الساحر ، حتى اذا رست في المرفأ زالت كل فتنة ، وبدت فريتون بثوبها الحقير . فالمدينة في حد ذاتها تشبه قرية كبيرة خالية من التنظيم الحديث . هنا بيت ممتاز وبجانبه كوخ خشبي ثم نيلا جميلة ثم حانوت متداع الخ .

والى الجهة الجنوبية تقع تلة الاشارة (سايتل هل) وهي مكسوة بالاشجار الخضراء وقد عنى بها الانكليز عناية خاصة لان منازلهم مبثوثة فيها ، ولها طريق مفروشة بالاسفلت ، ومناظرها الطبيعية بديعة للغاية لاسيما من الجهات التي تطل على الخليج .

وعدد سكان فريتون ٦٢ ٠٠٠ نفس وهي اكبر مرفأ في البلاد ، واحسن مرفأ طبيعي في كل افريقيه الغربية ، ولكنه يحتاج الى اصلاحات هامة حتى يصبح حديثاً صالحاً لرسو البواخر بجانب الرصيف . والمرافيء الاخرى المذكورة هي بونثي (شربرو) وسوليما ومانوساليجا . واهم البلدان في الداخلية : ماكبوراكا وماكيني وبورت لوكو وبو وموياميا الخ .

الفصل الحادي عشر

شاطىء الذهب (افريقية الغربية البريطانية)

اطلق على هذه المستعمرة اسم شاطىء الذهب لان اراضيها غنية بهذا المعدن الثمين . وقد اكتشف الذهب فيها خلال القرن الخامس عشر ، وظل اهم صادراتها حتى سبقته الكاكاوا .

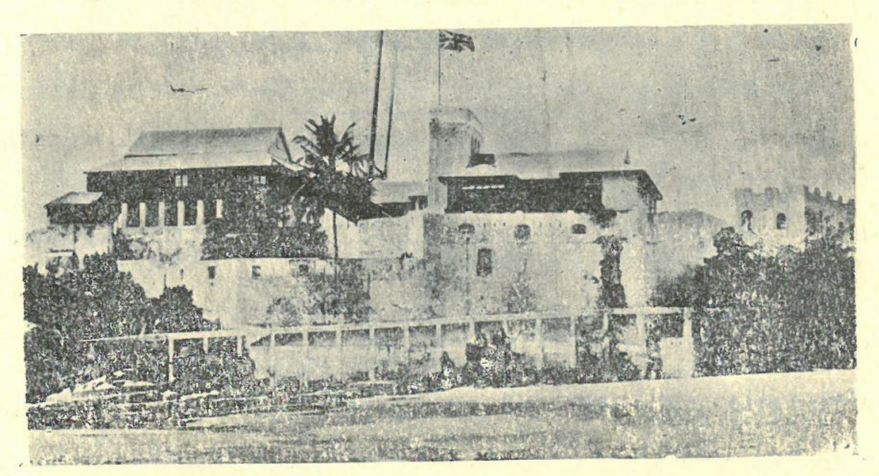
طبيعة البلاد وحدودها — يحد شاطيء الذهب من الجنوب خليج الغينة، ومن الشرق التوغو ، ومن الشمال السودان الفرنسي ، ومن الغرب شاطىء العاج . وتبلغ مساحتها ٢٠٣ ٦٠٠ كيلومتر مربع (٩١ ٦٩٠ ميلا مربعاً) وطول شاطئها ٣٣٤ ميلا . والمنطقة المحاذية للشواطىء رملية منخفضة ، تكثر فيها المستنقعات والبحيرات (لاغون) خاصة في ضواحي كايبا كوست ووينابا وهاف اسيني . واحياناً تنتثر بعض الصخور او التلال من بين الشواطىء .

ووراء المنطقة الساحلية تقع سهول واسعة كثيرة الاعشاب والحشائش ، ثم تتلوها منطقة الامطار الغزيرة والغابات الكبيرة . وبعد ذلك تتلوها منطقة الغابات المنخفضه التي تغطي اكثر البلاد .

وتروي المستعمرة عدة انهر ، اهمها نهر الفولتا وهو يتألف من نهر الفولتا الاسود ونهر الفولتا الابيض اللذين ينبعان في السودان ويتحدان في وسط شاطىء الذهب ، وبعد ان يروي الفولتا المناطق الشمالية وبلاد الاشانتي ، يصب في البحر قرب بحيرة كيتا وأيدا .

وتوجد انهر صغيرة اخرى قريبة من الشاطىء مثل انهر تانو وبراه وانكوبرا . ولهذه الانهر قيمة زراعية لانها تروي حقول الكاكاوا ، وهي لا تصلح الا للملاحة الخفيفة .

المناخ — مناخ المستعمرة حار ورطب مثل بقية المستعمرات المجاورة . وهطول الامطار في المناطق الساحلية اقل منه في المناطق الشرقية والغربية . ويبلغ المعدل



قلعة «كرستيانبورغ» في اكرا التي اصبحت مقراً لحاكم شاطىء الذهب .

السنوي للمطر في اكرا ٢٨ قيراطاً ، سكوندي ٤٠ ، كوماسي ٥٩ ، تامالي ٤٣ ، زافرونغو (نافارو) ٤٥ ، أكسيم ٧٧ .

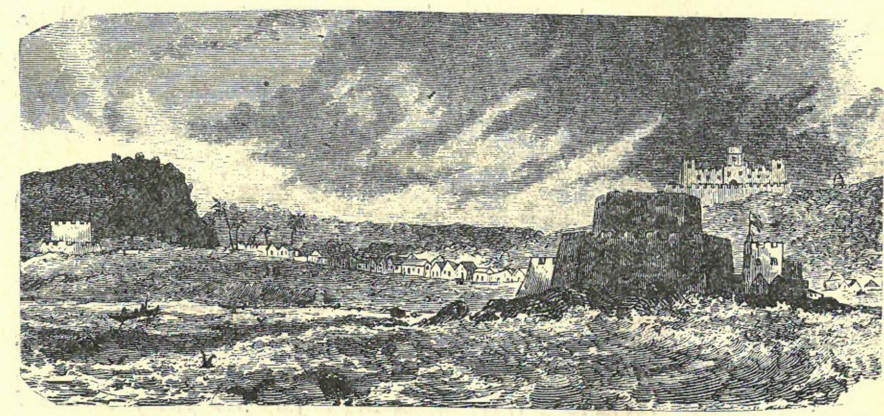
ويبدأ الفصل الماطر في آذار بعواصف شديدة وينتهي في حزيران . وتأتي بعد ذلك مرحلة قصيرة جافة نسبياً ، ثم يعود المطر الى الهطول في اوائل شهر ايلول ويستمر حتى آخر تشرين الاول . اما الفصل الجاف فيدوم من تشرين الثاني حتى آذار . وفي اثنائه يكون النهار حاراً والليل بارداً ، مع تقلب دائم في الاحوال الجوية . وفي المناطق الجبلية يبدأ المطر في ايار ويستمر حتى تشرين الاول .

لمحة تاريخية — يعود الفضل الاول في اكتشاف شاطىء الذهب الى البرتغاليين وهم الذين بنوا حصن القديس جورج والمينا في سنة ١٤٨٢ . ثم جاء بعدهم الانكليز

واستقروا في احدى مناطق الشاطىء في سنة ١٥٥٣ ، ثم الهولنديون ١٥٩٨ ، والاسوجيون ١٦٤٥ ، والالمان ١٦٨٢ . ولا تزال القلاع التي بناها الغزاة المختلفون قائمة حتى الان في مختلف انحاء البلاد ، واهمها قلعة « كرستيانزبورغ » في اكرا ، وقلاع أكسيم والمينا وكايب كوست . بيد ان قلعة « كمدوس فردريكسبورغ » الالمانية قرب « كايب ثري بوينتس » قد تهدمت ولم يبق منها سوى الانقاض .

وكانت التجارة في بادىء العهد مقتصرة على مقايضة العبيد بالذهب والعاج ، ولكن في اواسط القرن السادس عشر بدأ الانكليز والبرتغاليون يتعاطون تجارة الرقيق .

وعلى مر السنين ، نشأت منازعات دامية بين مختلف المستعمرين . اولا بين البرتغاليين والهولنديين ، ثم بين الهولنديين والانكليز . وقد دام النضال طوال القرن



قلعة «المينا» كما كانت تبدو في سنة ١٨٥٠ .

القرن الثامن عشر ، واسفر في النهاية عن فوز الانكليز . فتنازل لهم الهولنديون في سنة ١٨٧١ عن آخر معاقلهم على الشاطىء .

وقد كانت السادة الانكليزية في البدء في يد « الشركة الافريقية للتجار » ، فاستولت عليها الحكومة البريطانية في سنة ١٨٢١ وضمت البلاد الى ممتلكات التاج ، والحقتها اداريا بحكومة سيراليون . ولما بدأت تنشر نفوذها في الداخلية ، اصطدمت

بالسكان ، ونشبت حروب عنيفة دامية بين الانكليز وقبائل « الاشانتي » دامت اكثر من قرن . وقد جردت انكلترا خلال تلك المدة سبع حملات على الاشانتي ، واخيراً تم لها في سنة ١٩٠٢ التغلب عليهم وبسط السيادة البريطانية بصورة نهائية على كل المستعمرة .

السكان — بلغ عدد سكان شاطىء الذهب ٢ ١٠٨ ٢٨٩ نفساً في احصاء ١٩٢١ . وارتفع الى ٢ ٨٤٥ ٢٨٩ في احصاء ١٩٣١ ، ثم الى ٣ ٦١٣ ٨٧٦ في ١٩٣٦ . ولكن هذه الارقام ليست ثابتة لان الوضعية لاتزال مضطربة في الداخلية . وفي كل سنة يفد على شاطىء الذهب ربع مليون شخص من المستعمرات الفرنسية المجاورة للاشتغال خلال فصل الصيف في زراعة الكاكاو ثم يعودون كلهم او جلهم الى بلادهم بعد الموسم . وقد اكدت لي مصادر موثوقة ان عدد سكان المستعمرة لا يقل في الواقع عن الاربعة ملايين والنصف اذا اضفنا المجهولين وغير المسجلين والمهاجرين الهوسا والفلا وغيرهم .

ويقطن المناطق الجنوبية شعوب متعددة تنتمي الى الفانتي والغا والكروبو والايوي الخ . وفي المناطق الوسطى يقطن الاشانتي المشهورون بالقوة وشدة البأس . اما سكان المناطق الشمالية فانهم ينتمون الى فروع متعددة .

وقد بلغ سكان شاطىء الذهب درجة رفيعة في الثروة بفضل زراعة الكاكاو . فالمستعمرة وحدها تنتج الان نصف حاجة العالم من الكاكاو ، وكل ذلك بايدي العبيد وحدهم . وبينهم عدد كبير من المتعلمين الراقين، لاسيا في اكرا وغيرها من المدن.

الادارة — السلطة التنفيذية محصورة في يدي الحاكم المعين من قبل الملك يساعده مجلس تنفيذي واخر اشتراعي . وتقسم البلاد اداريا ثلاثة اقسام ، وكل قسم يقسم بدوره الى مقاطعات صغيرة كما يلي :

١ — مستعمرة شاطىء الذهب : المقاطعة الشرقية ، الوسطى ، الغربية .
٢ — بلاد الاشانتي : المقاطعة الشرقية ، الغربية .
٣ — الاراضي الشمالية : المقاطعة الشمالية ، الجنوبية .

ويحكم الانكليز قسم المستعمرة مباشرة . اما مقاطعات الاشانتي والشمال فيحكمها الملوك والشيوخ والزعماء الوطنيون تحت اشراف مفوضين ومستشارين انكليز . والبلاد كلها مقسومة ٤٢ منطقة ادارية .

الموازنة — حتى سنة ١٩٢٧ – ٢٨ كانت حالة المستعمرة المادية حسنة . ولكن رشاش الازمة العالمية اصابها في تلك السنة ، فهبطت قيمة الصادرات ، وبالتالي هبط دخل الخزينة ودب العجز الى الموازنة ، فاضطرت الحكومة الى الاستنجاد بالمال الاحتياطي . وفي سنة ١٩٣٢ – ٣٣ احدثت وفراً كبيراً في النفقات ، فتوصلت الى ايجاد التوازن المنشود في الموازنة . وفيما يلي تفصيل الموازنة خلال سنوات مختلفة . والقيمة بالليرات الانكليزية :

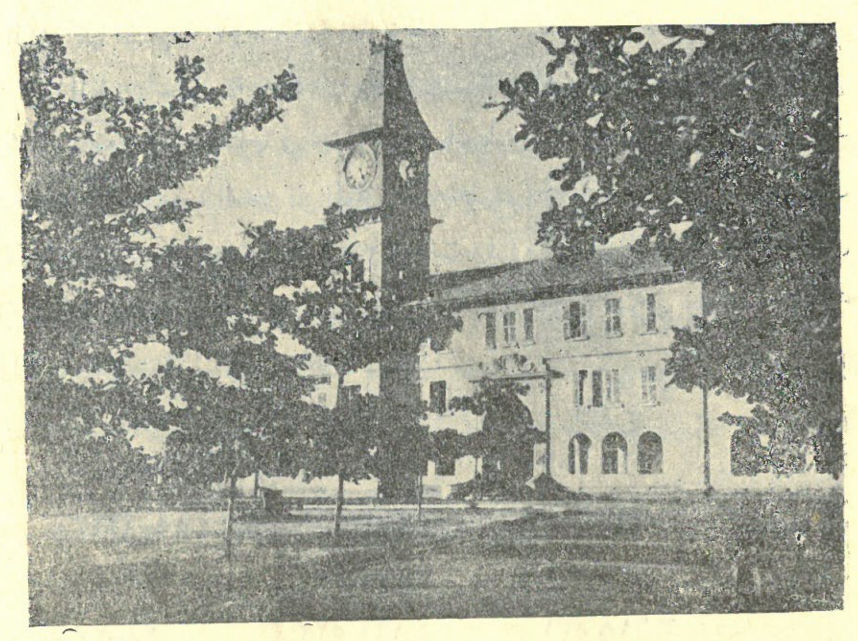
السنة	الدخل	الخرج
١٨٩٥-٩٦	٢٣٠ ٠٧٦	٢٦٥ ٢٨٩
١٩١٣-١٤	١ ٣٠١ ٥٦٦	١ ٣٥٣ ٢٩١
٢٢-٢٣	٣ ٣٥٠ ٠٠٠	٢ ٩٣٥ ٠٠٠
٢٧-٢٨	٤ ١٢١ ٥٢٢	٣ ٦١٨ ٨٣١
٢٨-٢٩	٣ ٩١٣ ٥٢٩	٤ ٦٢٩ ٢٩٤
٣٢-٣٣	٢ ٦٧٠ ٧٨٥	٢ ٦٧٣ ٤٨٢
٣٥-٣٦	٣ ٢٦٨ ٣٧٨	٣ ١٢٨ ٦٠٦

ويأتي ثلاثة ارباع الدخل من الرسوم الجمركية ورسوم تصدير الكاكاو . وكان دخل الجمرك في سنة ١٩٣٢ مليون جنيه ونصف المليون ، فارتفع في ١٩٣٦ الى مليونين وربع ، والى الثلاثة في سنه ١٩٣٧ . وقد كان رسم التصدير على الكاكاو في العام الماضي ليرة وربع للطن الواحد .

وعلى المستعمرة دين عمومي قديم يجري تسديده على اقساط متساوية كل منها ٧٠٠ الف جنيه ، وقد كانت قيمته في العام الماضي ١١ ٤٣٥ ٠٠٠ جنيه .

القضاء — النظام القضائي في الشاطىء الذهبي يشبه النظام المتبع في بقية

المستعمرات الانكليزية . والمنازعات بين السود تحكم فيها محاكم الزعماء والمشايخ الوطنية . وتوجد محاكم بدائية في اكرا وسكوندي وكايت كوست ، ومحاكم سياره في بلاد



بناية الساعة في كلية «اتشيموتا» الكبيرة في ضاحية اكرا

الاشانتي والشمال واليها يجري استئناف المحاكم الوطنية . وارفع محكمة في البلاد هي المحكمة العليا في اكرا .

الدفاع — كان عدد قوة البوليس في سنة ١٩٣٥ يقارب الالفي نفر اسود و ٣٦ ضابطاً انكليزيا ، ولكنه زيد قليلا في العام الماضي . اما القوة العسكرية فانها تتألف من كتيبتين من فرقة حرس حدود افريقيه الغربيه ، مع كتيبة مدفعية خفيفة . وقد انشئت اخيراً فرقة باسم « قوة الدفاع عن شاطىء الذهب » ، وحق التطوع فيها محصور بالاوروبيين .

المعارف — هذه المستعمرة تحتل المرتبة الاولى بين جميع المستعمرات في العلم ، فقد خطا فيها التعليم خطوات واسعة وانتشر انتشاراً عظيما لاسيما في المدن والبلدان

الرئيسية . وتكاد تكون الامية مفقودة بين ابناء الجيل الناشىء .

واول من حمل مشعال العلم الى هذه المستعمرة هو مرسلية « بال » السويسرية ، فقد اسست فرعا لها في اواخر الربع الثالث من القرن التاسع عشر ، وانطلق مبشروها يبثون الدعاية الدينية مرفقة بالعلم . وكان نفوذ الحكومة يومئذ لا يتعدى الشواطىء ، ولكن المرسلية لم تحفل بذلك ووجهت جهودها صوب الشاطىء ، ونفذت الى مناطق كانت مغلقة قبلا في وجه الابيض .

وبعد ذلك لحقتها مرسليات اخرى ، فتأسست مدارس كثيرة في مختلف انحاء البلاد . وظل التعليم في ايدي المبشرين حتى اشتد ساعد الحكومة ، فعمدت هي ايضاً الى تأسيس المدارس ، وانفقت مبالغ طائلة في هذا السبيل . ويبلغ عدد المدارس



زنوج يفرطون الكاكاوا احد موارد شاطىء الذهب الرئيسية .

الحكومية الان ٢٥ مدرسه ابتدائية فيها حسب احصاء العام الماضي ٥١٣٢ تلميذاً . ويوجد ايضاً ٦٤٣ مدرسة للمرسليات ، منها ٣٦٠ مدرسة تتلقى مساعدات سنويه من الحكومة . وهناك ايضاً عدة مدارس اهلية ومحلية . وقلما تخلو قرية من مدرسة او

« كتّاب » . واكثر الكتاتيب اسلامية .

وقد انشأت المرسليات ثلاث مدارس لتخريج المعلمين والمعلمات ، وهي كلية « اكروبونغ » وعدد تلامذتها ٧٥ ، كلية « القديس اوغسطين » وعدد تلامذتها ٧٥ ، كلية « وزلي » وعدد تلامذتها ٧٦ . ومدة الدراسة في كل منها اربع سنوات ، يخرج بعدها التلميذ حاملا الشهادة الثانوية .

وقامت الحكومة ايضاً بعمل جبار في هذه الناحية ، فسست كلية كبرى في « اتشيمونا » واطلقت عليها اسم « كلية برنس اوف ويلز » لان البرنس هو الذي وضع حجرها الاساسي عند زيارته لافريقيه الغربيه في سنة ١٩٢٥ . وكان البرنس يومئذ دوق وندسور اليوم (الملك ادوار الثامن سابقاً) .

وتقع الكلية في بقعة فسيحة جداً تبعد سبعة اميال من اكرا ، وطريقها مفروشة بالاسفلت . وهي مبنية على احدث طراز ، ومنظمة على احسن الاساليب التعليمية والفنية والادارية . وقد زرتها وتجولت فيها طويلا ، فوجدت ان مساحتها تفوق جامعة بيروت الاميركية بثلاثة اضعاف ، ولكن مبانيها اقل عدداً واصغر حجما . وهي بلا ريب اكبر كلية في كل افريقية الغربيه .

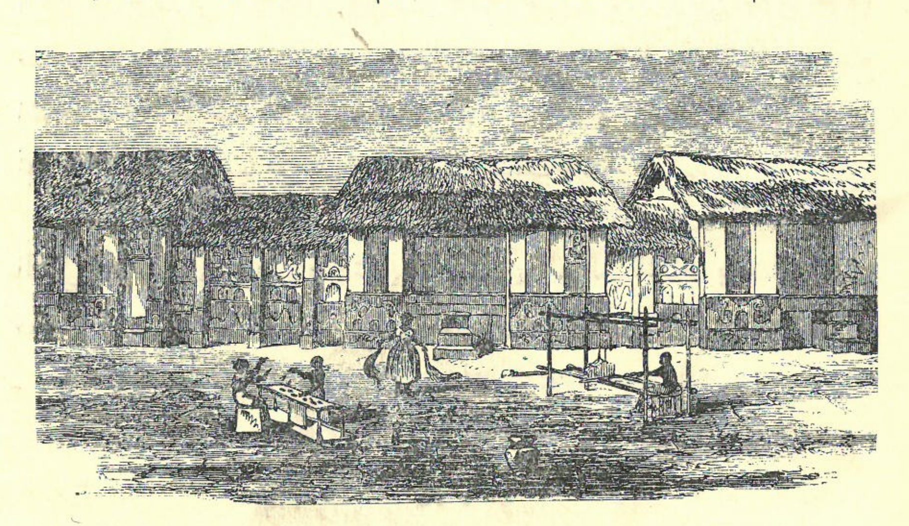
وفي الكلية الان الفروع التالية : قسم الحضانة للاطفال ، القسم الابتدائي ، القسم الثانوي ، دار المعلمين والمعلمات ، القسم التجاري . وبدأت الكلية في العام الماضي تمنح درجة ب.ع. (بكلوريوس علوم) . وفيها ايضاً فرع صناعي ــ زراعي . وكل التعليم يجرى باللغة الانكليزية .

ويبلغ عدد تلامذة الكلية كلها ٦٨١ تلميذاً ، وعدد تلميذاتها ٢٢٥ (احصاء ١٩٣٧) . وتتألف الهيئة التعليمية من ٤١ استاذاً ابيض و٣٦ اسود وهنديين و ٢١ معلمة . وقد تخرج منها حتى الان ١٤٨ معلماً ، واكثر من خمسماية تلميذ في مختلف الدرجات .

وانفقت الحكومة ٧٠٠ الف ليرة انكليزية على بناء هذه الكلية ، ولا تزال تنفق عليها سنويا ٣٦٠٠٠ ليرة ، وتمد المدارس الباقية بمساعدات سنوية قدرها ٢٠٠٠٠٠ ليرة .

ويقبل ابناء البلاد اقبالا غريباً على المدارس طمعاً بالتوظف بعد التخرج منها في المناصب الحكومية او التجارية . وتتراوح اجرة الكاتب العادي بين ٣ و ١٠ جنيهات شهريا ، ولكن هناك موظفين يتلقون رواتب تقارب الخمسين جنيها في الشهر .

وكثيرون هم الاولاد الذين يهربون من عند ذويهم في الداخلية ويستخدمون في المدن



هكذا كانت تبدو شوارع كوماسي سنة ١٨٢٥ ، فاصبحت الان من اجمل مدن افريقيه

لقاء بضع شلنات يدفعونها اجرة التعليم . فهم يواظبون على الدراسة من جهة ، ويقضون اوقات الفراغ في العمل من جهة اخرى .

الصحف ــ تصدر الحكومة « الجريدة الرسمية » اسبوعيا و « مجلة المعلمين » شهريا . ويوجد غيرها الصحف اليومية والاسبوعية التالية : انديبندنت ، فوكس بوبولي ، سبا كتاتور ، افريقان مورننغ بوست ، أكو . وجميع هذه الصحف تخص السود وتصدر في العاصمة « اكرا » . ولكنه تصدر في بلدة كايب كوست جريدة « كايب كوست ليدر » .

المحصولات — تقدمت تجارة شاطيء الذهب خلال السنوات العشرين الاخيرة تقدما مدهشاً ، يدل على الحد الذي يمكن ان تبلغه تجارة المستعمرات الافريقيه . وقد كانت زراعة الكاكاوا سبباً في انتشار الرخاء في هذه المستعمرة. ففي سنة ١٨٩١ صدرت البلاد ٨٠ بونداً من الكاكاوا ، وفي سنة ١٩٠٦ صدرت ٨٠٠٠ طن ، وفي ١٩٢٣ صدرت ٢٢٣ الف طن، وفي ١٩٣٦ صدرت ٣١١ الف طن ، اي ٦٠ بالمئة من مجموع انتاج الكاكاوا في العالم كله . وبينما نجد معظم اراضي افريقيه الغربيه فقيرة بالمعادن ، نجد شاطيء الذهب غنياً غنى فاحشاً بها، ولا سيما بالذهب والماس .

وقد اقتصر التطور الاقتصادي حتى الآن على القسم الجنوبي من البلاد. اما القسم الشمالي فانه لا يزال بكراً ، ينتظر شق الطرق ومد السكك الحديدية فيه ليمثل دوره في زيادة ثروة المستعمرة ، وفيما يلي معلومات تفصيلية عن المحصولات الرئيسية .

الكاكاوا — تطورت اسعار الكاكاوا خلال السنين الاخيرة كما يلي :

سنة			
سنة	١٩٣٢	٢٧ ، ٧٥	ليرة انكيزية ثمن الطن
	٩٣٣	٢٣ ، ٢٥	= =
	٩٣٤	٢١ ، ٧٥	= =
	٩٣٥	٢٣	= =

في سنة ١٩٣٦ – ٣٧ ارتفعت الاسعار ارتفاعا عظيما ، وقارب سعر الطن الخمسين ليرة في آخر الموسم رغم كثرة المحصول ، فعرفت البلاد عهد رخاء لم تعرف له مثيلا قبل ذلك التاريخ ، واستنفد دفع الاثمان جميع النقود الافريقيه المتداولة بين الايدي فاضطرت البنوك الى استجلاب بنكنوت انكليزي لسد الفراغ . ولكن رد الفعل كان شديداً في سنة ١٩٣٧ – ٣٨ اذ هبط السعر الى النصف . وعلى الاثر هاج السكان واتهموا الشركات بانها هي التي خفضت السعر ، فاضربوا عن بيع المحصول اليها ودمروا قسما كبيراً منه . وهكذا ذاقت المستعمرة ازمة تجارية خانقة دامت ثمانية اشهر . وكان اضرابهم هذا اول حركة من نوعه في تاريخ افريقيه الغربيه .

وقد رأت الحكومة بعد انتشار زراعة الكاكاوا ان توجه اهتمام السكان الى

زراعة اخرى خوفا من هبوط اسعار الاولى اذا زادت عن حالتها الحاضرة . وهي تشجعهم الان على زراعة الموز .

البالميست — كان بزر البالميست وزيته يحتلان مركزاً تجاريا هاما في السابق ، ولكن انشغال اكثر العبيد عنهما في زرع الكاكاوا حط بهما . وفيما يلي جدول الصادرات منهما :

سنة					
سنة	١٨٨٤	٣٨ ٧١١	طن بزر	٢٠ ١٣٤	طن زيت
	١٩١٨	٨ ٩٣٣	=	١ ٤٧٧	=
	٩٢٤	٦ ٥٩٢	=	١ ٣٥٠	=
	٩٣٥	٦ ٧١٢	=	٣٩١	=
	٩٣٦	١١ ٣٤٦	=	٤٩٩	=

ويتوقف انتاج البالميست على الكاكاوا ، فكلما اضطربت سوق الكاكاوا عمد العبيد الى جني بزر البالميست وبيعه.

موارد اخرى — كانت المستعمرة تصدر مبالغ كبيرة من الكولا الى المستعمرات الفرنسية المجاورة ، بلغت ١٤٠٠٠ طن في عام ١٩٢٣ ، ثم هبط الرقم الى النصف في ١٩٣٠ وهو الان يقارب الربع . ولن تمر مدة وجيزة حتى يذوب كله لان المستعمرات الفرنسية ونيجيريا تستطيع ان تسد حاجاتها من الكولا بنفسها .

وتوجد على الشاطيء مزارع قليلة من جوز الهند ، وفي الشمال عدد كبير من الاشجار الصالحة لانتاج السمن النباتي ، ولكن استثمارها قليل لانعدام وسائل المواصلات .

وبين المحصولات الزراعية الاخرى : القطن ، الليف ، الفواكه الاستوائية ، كالموز والبرتقال والاناناس والمانغو . وقد جيء بعمال من سيراليون وليبيريا للعناية بزراعة الارز .

الغابات — تغطي الغابات المناطق المحاذيه للانهر ، ومساحتها تقدر بـ١٥ الف ميل مربع في قسم المستعمرة وبلاد الاشانتي . وثلاثة ارباعها صالحة للاستثمار التجاري .

والغابات تخص القبائل لا الحكومة ، ولكن دائرة الغابات الرسمية تشرف عليها وتحدد اجازات القطع . وتصدر البلاد سنويا من الخشب بقيمة مئة الف ليرة .

المعادن — الذهب هو ثروة البلاد التقليدية . وقد كان يستخرج في القديم من الاراضي المجاورة لانهر الجنوب الغربي ، ولكن في سنة ١٨٨٠ اكتشفت حقول غنية به في جوار « تاركوا » و « برستيار » .

وقد انتجت البلاد من سنة ١٩٠٣ الى ١٩٢٧ من الذهب ما وزنه : ٦٧٩١٤٢ اونساً ثمنها ٢٦ ٥٥٠ ٣٣٤ ليرة انكليزية . وقد هبطت كمية الانتاج السنوي في الوقت الحاضر الى نصف ما كانت عليه قبل الحرب ، ولكنها تتزايد قليلا بفضل مناجم



انزال الركاب من الزوارق الى الشاطيء في اكرا على كراسي يحملها العبيد .

الاشانتي الغنيه قرب ابواسي . وقد صدرت البلاد في ١٩٢٨ : ١٧٩ ٣٣٠ اونساً ، في ٩٣٢ : ٢٨٦ ٥٦٨ اونساً ، في ٩٣٦ : ٤٣٤ ٣٩٧ اونساً .

الماس — اكتشف الماس في القسم الشرقي من المستعمرة في سنة ١٩١٩ وبدأ استثماره في الحال فاصبح من اهم صادرات البلاد . وقد صدر منه في سنة ١٩٢٠ : ١٢٠ قيراطاً بلغ ثمنها ٣٦٥ ليرة . اما الان فان وزن الصادر يبلغ ١٤١٤ ٦٧٧ قيراطاً

ثمنها ٥٨٤ ٩٩٧ ليرة . وتوجد في اراضي البلاد معادن ثانوية اخرى .

الصناعة — بسبب غنى البلاد الزراعي لا يحتاج العبد الى الاعمال الصناعية ، او الى الاستخدام ، فهو يشتري جميع حاجاته بالمال الذي تدره عليه زراعته ، لذلك تضطر شركات المناجم الى استجلاب العمال من ليبيريا والمستعمرات الفرنسية المجاورة . وقد استدعت في سنة ١٩٣٥ مايقارب الثمانين الف عامل . اما الاعمال اليدوية العادية كالنجارة والحدادة والخياطة فان العبيد يمارسونها ويجنون منها ارباحا حسنة .

تربية المواشي — توجد المواشي في مناطق الشاطيء السهليه اكثر منها في مناطق الاشانتي المكسوة بالغابات ، وعدد المواشي في كل البلاد كان كما يلي حسب احصاء ١٩٣٣ : ١٥٦ ٥٠٠ رأس غنم ، ٦٨٤ ٢٠٠ رأس ماعز ، ٤ ٣٤٠ حصاناً ، ١٧ ٠٣٠ حمار ، ٨١ ٨١٠ خنازير .

التجارة — فيما يلي جدول الصادرات والواردات خلال بضع سنوات ، والقيمه بالليرات الانكليزيه :

السنه	الوارد	الصادر	المجموع
١٩١٣	٣ ٥١٠ ٠٠٠	٣ ٩٨٠ ٠٠٠	٧ ٤٩٠ ٠٠٠
٩٢٤	٧ ٢٠٦ ٠٠٠	٩ ٦٢٩ ٠٠٠	١٦ ٨٣٥ ٠٠٠
٩٢٨	١٢ ٢٠٠ ٠٤٥	١٣ ٨٢٤ ٨٧٥	٢٦ ٠٢٤ ٩٢٠
٩٣٢	٦ ٦٠٥ ٢١٩	٨ ٣٤٨ ٨٧٩	١٣ ٩٥٤ ٠٩٨
٩٣٣	٥ ٥٤٣ ٣٥٤	٨ ٠٤٨ ٤٨٤	١٣ ٥٠١ ٨٣٨
٩٣٤	٤ ٨٤٨ ٨٠٠	٨ ١١٧ ٤٥٦	١٢ ٩٦٦ ٢٥٦
٩٣٥	٧ ٩٥٦ ٧٨٠	٩ ٩٧١ ٥٣٥	١٧ ٩٢٨ ٣١٣
٩٣٦	١١ ٦٥٦ ٧١٩	١٢ ٦٣٦ ٨٩٩	٢٤ ٢٩٣ ٦١٨

وفيما يلي جدول عن تفاصيل الصادرات في بضع سنوات وعن اثمانها بالليرات الانكليزيه :

	١٩٢٤	٩٢٩	٩٣٢	٩٣٤	٩٣٥	٩٣٦
كاكاو	٧٢٤٩٨٧٨	٩٥٢٨١٧٢	٥٥١١٣٦٠	٣٩٧١٠٣٩	٥٢٠٣٩٥٩	٧٦٥٩٧٤٣
نزوبالميست	١١٠٦٣٢	٨٩٤٣٣	٦٠٢٣٨	١٨٥٩٦	٤٣٢٤٤	١٠٧١٩٦
زيت =	٨٩١٧	٢٨٤٢٣	٣١٥	-	٦٧٦٨	٦١٨٧
كولا	٤٠١٣٩٨	١٢٥٨٤٦	٥٨٥٤٤	-	٣٦٥١	٣٦١٣
الذهب	٨٧٥٠٠٨	٨٦٩٨٦٣	١٢٣٦٥٩١	٢٥١٠٠٩٧	٢٦٣٥٥٢٧	٣٠٤٧٥٤٥
الماس	٨٥٣٦١	٥٨٣٦١٣	٥٣٦٩٤٦	-	٥٤٦٠٩٤	٥٨٤٩٩٧
المانغنيز	٥٢٦٤٠٠	٧٤٨٢٨٦	١٢٣٦٢٧	-	٧١٢١٧٠	٦١٢٩٣٠
الخشب	٢٥٧١٦٩	١٥٩٨٨٤	٣٧٣٨٩	٦٤٥٥٨	١٠٩٧٩٢	١٠٥٦٥٧

واهم الواردات كانت في سنة ١٩٣٧ : مواد غذائية ومشروبات ودخان (مليون ونصف مليون ليرة) ، منسوجات (مليونان ونصف مليون) الخ .

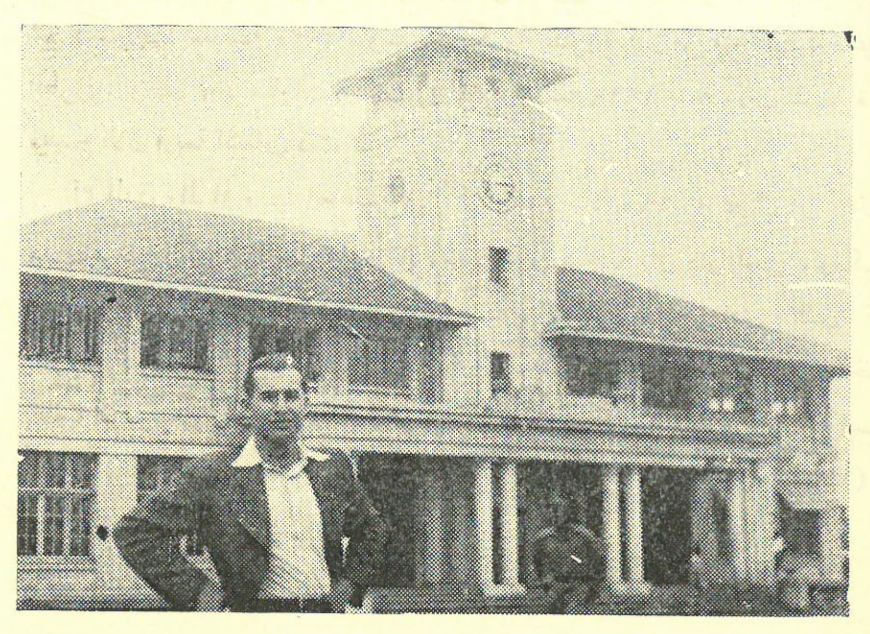
البنوك والعملة — في شاطيء الذهب مصرفان كبيران : اولهما بنك افريقيه الغربية الانكليزية ، وله فروع في : أكرا ، أكسيم ، بكواي ، كايب كوست ، دونكوا ، كيتا ، كوفوريدوا ، كوماسي ، نساوام ، نكاوكاو ، اودا ، سولت بوند سكوندي ، تاكورادي ، تاركوا ، ويناباه .

والثاني هو بنك باركليز وله فروع في : اكرا ، بكواي ، كوفوريدوا ، كوماسي نساوام ، اودا ، سكوندي ، تاكورادي ، ويناابا . وفي دائرة البريد صندوق للتوفير . اما العملة المستعملة فهي نفس عملة افريقيا الغربية البريطانية (راجع بندالعملة في الفصل الثاني عشر) .

البرق والبريد — في سنة ١٩٣٧ كان في البلاد ٢٧٧ مكتباً بريدياً ، بينها ١٧٤ مكتباً مجهزة بالات الاستقبال والارسال التلغرافية . ويبلغ طول الاسلاك التلغرافية الممدودة في شاطيء الذهب ٥٦٦ ١٥ ميلا . وتوجد محطة لاسلكية في اكرا واخرى في تاكورادي . وقد انشئت اخيراً محطة لاذاعة الراديو في اكرا طول موجتها ٤٦ متراً . وهي تكتفي الان باذاعة برنامج قصير كل يوم احد من قبيل

التجربة . وهناك ايضاً مركز لاسلكي يلتقط اذاعات الراديو الخارجية ، وخاصة اذاعة محطة دافنتري ، ويوزعها على المشتركين بواسطة اجهزة خاصة موصولة باسلاك تلفونية .

السكك الحديدية — يبلغ طول الخطوط الحديدية في البلاد ٥٠٠ ميل ، من عرض ثلاثة اقدام ونصف . واهمها خطان ، واحد من تاكورادي الى كوماسي ، والاخر من اكرا الى كوماسي . ويتفرع عن الخط الاول من محطة «وادي هوني»



دار البرق والبريد في تاكورادي ، اهم مرفأ في شاطيء الذهب .

خط آخر يتجه الى «قاضي» وطوله ١٠٠ ميل تقريباً . وهناك خط آخر يتجه من تاركوا الى برستيا في منطقة مناجم الذهب ، وخط بين اكرا ووستيانغ طوله ١٠ اميال . وجميع هذه الخطوط موجودة في المناطق الجنوبية والوسطى . ويوجد مشروع بتمديدها شمالا مسافة ٣٨٠ ميلا من كوماسي الى «نافرونغو» ولكن تنفيذه يحتاج الى اموال ليست متوفرة الان .

والمنافسة شديدة بين سكك الحديد وسيارات الشحن في منطقة الشواطيء وقد استطاعت السيارات بفضل رخص اسعارها الفوز على السكة في نقل الكاكاو الى العاصمة . ومع ذلك فقد بلغ صافي ارباح الشركة في سنة ١٩٣٤ : ٥٧٦ ٢٠٤ ليرة انكليزية .

الطرق المعبدة — لا تستطيع اية مستعمرة في افريقيه الغربية ان تباهي شاطيء الذهب بالطرق المعبدة ، فهو يمتلك شبكة من الطرق المعبدة طولها ٦٢٥٠ ميلا شق اكثرها بعد سنة ١٩٢٠ . وتبذل الحكومة سنويا اكثر من مئة الف ليرة على الطرق . وكان عدد سيارات الركاب والشحن في سنة ١٩٢٩ سبعة آلاف سيارة ، فاصبح الان اربعة اضعاف ذلك .

اهم المدن والمرافيء — العاصمة هي اكرا وعدد سكانها ٦٩ الفاً ،وهي من اجمل مدن افريقيه الغربية واكثرها عمراناً ، وفيها مباني ضخمة مثل دار العدل ، ولكن ليس لها مرفأ حسن . واكبر مرفأ في البلاد هو مرفأ « تاكورادي » الذي تم بناؤه في سنة ١٩٢٨ وكلف ثلاثة ملايين ليرة ونصف، ويمكن ان ترسو فيه البواخر بجانب الرصيف . وهذه اهم المدن والمرافيء الاخرى : كوماسى (٤١٠٠٠) كايب كوست(١٩٠٠٠) سكوندي(٢٠٠٠٠) كوفوريدوا(١٨٠٠٠)تامالي(١٧٠٠٠).



الفصل الثاني عشر

نيجيريا (افريقيه الغربية البريطانية)

تدعى هذه المستعمرة نيجيريا نسبة الى نهر النيجر الذي يخترقها . وهي اكبر واهم الممتلكات الانكليزية في افريقيه الغربية . وتبلغ مساحتها ٨٦٩ ٤٠٠ كيلومتر مربع (٣٢٩ ٣٨٩ ميلا مربعاً) اي اكبر من بريطانيا نفسها بثلاثة اضعاف .

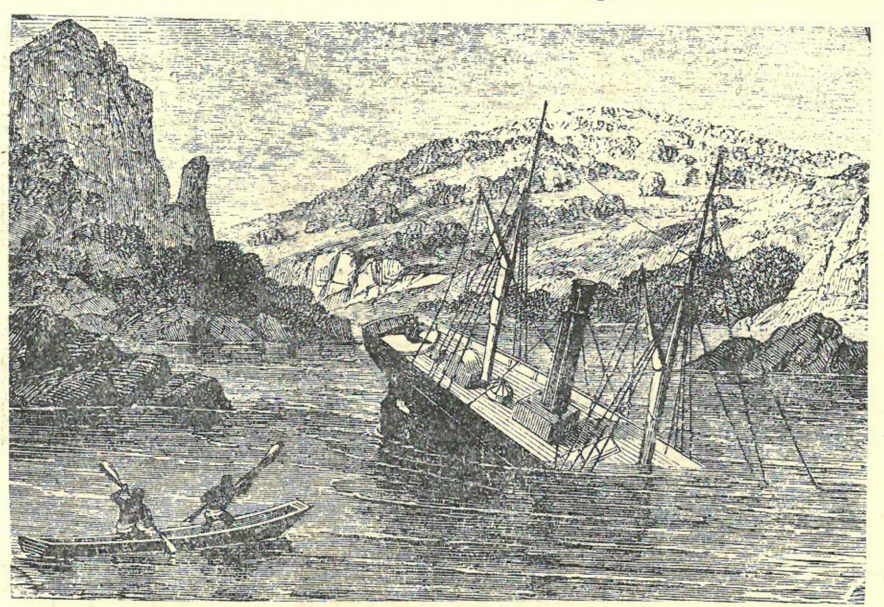
يحدها من الغرب مستعمرة الداهومي الفرنسية ، ومن الشمال مستعمرة النيجر ، ومن الغرب منطقة الكمرون الالماني الموضوعة تحت الانتداب الانكليزي بموجب معاهدة فرساي ومساحتها ٣٤ ٢٣٦ ميلا مربعاً .

الانهر — يشق نيجيريا نهران عظيمان ، نهر النيجر ونهر بانوئي . الاول يأتي من الغرب والثاني من الشرق ، ثم يلتقيان ويتحدان في منتصف البلاد ، ويصبان في خليج الغينه بعد ان تتفرع عنهما عدة فروع . وينبع النيجر من جبال الفوطه في الغينه ويمر في السودان بشكل نصف دائرة ، ثم يهبط جنوبا ويشق مستعمرة نيجيريا . وترتفع مياه النيجر في نيجيريا مرتين في السنة ، المرة الاولى بين تموز وكانون الاول بسبب فصل الامطار ،والمرة الثانية بسبب الفيضان الذي يصيب القسم الاعلى منه قرب منابعه ، فلا يصل اثره الى مجرى النهر الاسفل الا بعد سنة تقريباً ، هكذا يحدث الارتفاع الثاني بين شباط ونيسان .

وينضم الى النيجر ايضاً نهر سوكوتو ونهر كادونا . وليس في البلاد انهر كبيرة غيره . واهم الانهر الصغيرة هي نهر الاوغون ، ايمو ، بوني،ويروي نهر البوني

المناطق الشمالية الشرقية ، ثم يصب في بحيرة تشاد .

طبيعة الارض — المنطقة الساحلية مكسوة بالغابات والمستنقعات (اللاغون) وتمزقها عرضاً وطولا فروع النيجر والسنة البحر . ويتراوح طولها بين ١٥ و ١٠٠



الباخرة « داي سبرنغ » تغرق في النيجر في سنة ١٨٥٨ .

كيلومتر ، وهي مفتاح الداخلية لكثرة ما فيها من مجاري المياه وتعدد مرافئها .

وخلف هذه المنطقة تبدأ منطقة الغابات الاستوائية ، وعرضها يتراوح بين ٨٠ و ١٦٠ كيلومتراً . وهي غنية بالخشب وخاصة الماهوغوني ، وباشجار البالميست التي تؤلف القسم الاكبر من ثروة البلاد .

ووراء هذه المنطقة تبدأ منطقة من الارض المنبسطة المكسوة بالشجيرات والحشائش وتكثر فيها المرتفعات والتلال ، لاسيما في المناطق الغربية الواقعة بين اويو وايلورين حيث تبلغ هضبة اليوربا علواً يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ متر . والقسم الباقي من البلاد هو عبارة عن هضبة مسطحة تبرز منها هنا وهناك مرتفعات من الغرانيت او من الحجر الرملي وهي ترتفع اجمالا الى علو ٦٠٠ متر ، ولكن في جبال البوشي واليولا قمما علوها ٢٠٠٠ متر

المناخ والامطار — في شمال البلاد يبدأ الفصل الجاف في تشرين الاول وينتهي في نيسان . اما في المناطق الجنوبية الساحلية فان مدته اقصر من ذلك . ففي لاغوس يدوم من تشرين الثاني الى اذار فقط . وخلاله تهب على نيجيريا كلها رياح الهارماتان من الشمال الشرقي فتجعل النهار حاراً والليل بارداً . وهكذا ترتفع الحرارة في (كانو) مثلا الى ٤٢ سنتيغراد نهاراً وتهبط الى ٩ درجات ليلا .

ويعلن فصل الشتاء عن نفسه بعواصف وزوابع شديدة ، تعقبها امطار غزيرة . ويدوم حتى شهر تشرين الاول ، مع انقطاع المطر قليلا في اب . وهو ينتهي ايضا بالعواصف . والامطار تكون غزيرة في الجنوب ، ولكن غزارتها تخف بسرعة كلما اتجهنا شمالا ، وفيما يلي معدل المطر السنوي في بعض المراكز الرئيسية :

الشاطىء : كالابار ١٢٥ قيراطاً ، فوركاردوس ١٤٣ ، اوبوبو ١٣٨ ، واري ١٠٨ باثان ٧٨ ، لاغوس ٧١ .

الداخلية : ابيو كوتا ٤٧ ، ايبادان ٥٠ ، يولا ٣٩ ، زاريا ٤٤ ، كانو ٣٤ ، كادونا ٥٣ ، الجص ٥٢ .

لمحة تاريخية — اكتشف البحارة البرتغاليون شواطىء نيجيريا في اواخر القرن الخامس عشر . وبعد بضع سنوات اصبحت مركزاً هاما لتجارة الرقيق ، وظل كذلك ثلاثة قرون .

وكانت في شمال نيجيريا ممالك الهوسا الكبيرة وممالك الفولاني . فلم يشعر الاوروبيون بوجودها الا في اواخر القرن الثامن عشر ، بفضل الرحلات التي قام بها بعض العلماء لاكتشاف مجاري نهر النيجر . وفي مقدمتهم مونغو بارك (١٧٩٦) كلابرتون (١٨٢٢-١٨٢٦) ريشارد لاندر (١٨٢٦-١٨٣٠) الدكتور بارث (١٨٥٠ - ١٨٥٥) . واول باخرة صعدت في نهر النيجر هي الباخرة الانكليزية «داي سبرنغ» في سنة ١٨٥٨ فهاجمها الزنوج واغرقوها وقتلوا ربانها وبحارتها ، ثم حملوا فراشها معهم ودفنوه في غابة مجاورة . وقد عثر المهندسون على الفراش منذ بضع سنوات بينما كانوا يبنون جسر النيجر الكبير ، فنقلوه الى محطة سكة الحديد المجاورة حيث نصبوه على قاعدة خاصة تخليداً

لذكري الباخرة الغريقة .

وفي سنة ١٨٥١ استقر الانكليز لاول مرة في لاغوس ، وبعد ١١ سنة ضموا المدينة وضواحيها الى ممتلكاتهم . وقد فشلت في البدء جميع المحاولات لاستثمار البلاد تجاريا . ولكن التكرار ادى الى نتيجة ايجابية في النهاية . وفي سنة ١٨٧٩ اتحدت جميع الشركات الانكليزية في شركة واحدة وباشرت العمل على الاساس الجديد فنجحت نجاحا باهراً وازدهرت اعمالها . وعندئذ منحتها الحكومة البريطانية امتيازاً رسمياً يعهد اليها ادارة بلاد الهوسا وبورنو، بعد ان اطلقت عليها اسم « شركة النيجر الملكية » .

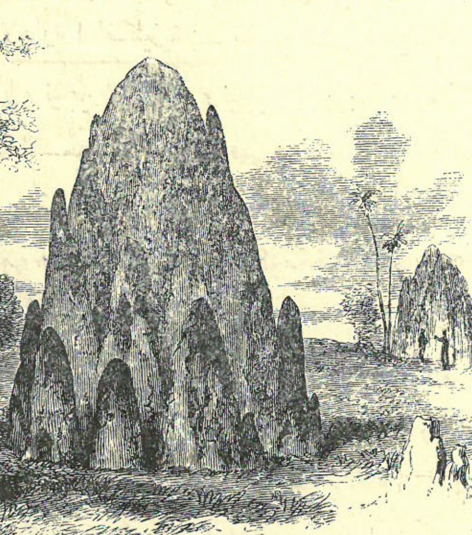
وفي اثناء مؤتمر برلين ١٨٨٥ اعترفت الدول بحماية انكلترا على نيجيريا . وكانت الادارة حتى ذلك التاريخ في يدي شركة النيجر ، فلم تفلح في بسط النفوذ البريطاني على الداخلية . وعندئذ استلمت الحكومة البريطانية الحكم ، واحتلت الداخلية بالقوة بحجة محاربة تجارة الرقيق . وفي سنة ١٨٩٧ سقطت مدينة بانان الهامة ، وعقبها بعد بضع سنوات « كانو » وبقية العواصم الشمالية . وعلى الاثر اطلق الانكليز على القسم الشمالي اسم «محمية نيجيريا الشمالية» وفي سنة ١٩٠٦ ادمجوا الاغوس ونيجيريا

قطعة من « فراش » الباخرة «داي سبرنغ» منصوب في احدى محطات سكة الحديد تذكاراً لغرق الباخرة .

الجنوبية معاً . واخيرا عادوا في سنة ١٩١٤ فوحدوا الشمال والجنوب ، واصبحت البلاد تدعى من ذلك الحين « مستعمرة ومحمية نيجيريا» .

السكان — يتراوح عدد سكان نيجيريا بين ٢٠ و ٢٢ مليوناً . واكثرهم من الزنوج الاصليين ، الا في الشمال حيث يكثر الفلا .

وينتمي اكثر سكان المناطق الساحلية والجنوبية الى قبائل يوروبا وايبو وبني الزنجية . ويتمتع اليوروبا منذ القديم بحكومة منظمة تنظيما حسنا ، واكبر مدن نيجيريا موجودة الان في بلادهم . اما الايبو فهم اقل تمدناً ، ويقطنون الناحية الشرقية من المناطق الجنوبية ولم يفلحوا قط في تأليف دول وامارات كبيرة مثل بقية شعوب نيجيريا ، ولم يحتكوا بالابيض الا منذ عشرين سنة فقط . على ان الارساليات التبشيرية استطاعت التأثير عليهم بسرعة ، فتركوا عاداتهم البربرية واتجهوا نحو المدنية



في نيجيريا يبني نمل « بوكبو » منازل فوق سطح الارض يبلغ علوها الخمسة عشر متراً احياناً كما تري في الصورة .

واما قبائل البني فانها اقل اهمية من الجميع في الوقت الحاضر ، ولكن لها تاريخ هام ، وكانت لها مملكة كبيرة عندما اكتشف البرتغاليون البلاد .

وتسكن نيجيريا الشمالية شعوب الهوسا والفلا . وللهوسا تاريخ مجيد وممالك كبيرة وقد هاجمهم الفلا في القرن الماضي وادخلوهم في الدين الاسلامي ، واصبحوا اسياد الممالك . وتوجد الان عدة ممالك هوسا تتمتع بنظام مدني حسن قائم على اساس الشرع الاسلامي ، واهمها مملكة سوكوتو الكبيرة التي يحمل ملكها لقب «امير المؤمنين» ،

هي اكبر مملكة اسلامية في كل افريقيه الغربية .

وقد دل احصاء ١٩٣١ على ان سكان البلاد يتوزعون كما يلي: الهوسا ٣ ٦٠٤ ٠١٦ نفساً ، الفلا ٢ ٠٢٥ ١٨٩ ، الايبو ٣ ١٧٢ ٧٨٩ ، اليوروبا ٣ ١٦٦ ١٥٤ . والهوسا والفلا مسلمون كما اسلفنا ، ولكن البقية وثنيون . وتبذل الارساليات المسيحية جهوداً كبرى لنشر الدين المسيحي بينهم .

الادارة الانكليزية — تنقسم ادارة نيجيريا الان ثلاثة اقسام رئيسية : مستعمرة نيجيريا ، نيجيريا الشمالية ، نيجيريا الجنوبية . ومساحة قسم المستعمرة صغيرة جداً ، بالنسبة للقسمين الاخيرين ، فهي لا تتعدى حدود مدينة لاغوس وضواحيها .

ومدينة لاغوس هي عاصمة نيجيريا كلها ومركز الحاكم . وهي ايضاً مركز حكومة قسم المستعمرة ، وحكومة قسم نيجيريا الجنوبية . اما حكومة نيجيريا الشمالية فان قاعدتها «كادونا» .

ويحكم البلاد كلها حاكم معين من قبل الملك ، وهو يعين بدوره حاكمين للشمال والجنوب . وله مجلس تنفيذي مؤلف من رؤساء دوائر الحكومة وبعض الاعضاء المعينين . ويوجد ايضاً مجلس تشريعي يرأسه الحاكم نفسه ، وعدد اعضائه ٣٠ شخصاً من الرجال الرسميين وغير الرسميين ، يعين الحاكم بعضهم وتختار غرف التجارة وغرف المناجم البعض الاخر . وينتخب دافعو الضرائب التجارية في لاغوس ثلاثة من اعضائه وفي كالابار واحداً .

ولا تتدخل الحكومة في شؤون الامارات والممالك الشمالية ، تاركة للملوك والامراء الاستقلال الداخلي التام . ولكنه في الواقع لا يتجرأ احد من هؤلاء على الاتيان بحركة دون مشورة المقيم الانكليزي . فهم عملياً ، من الملوك الى مخاتير القرى موظفون لدى حكومة صاحب الجلالة ، يقبضون رواتبهم منها ويتلقون الاوامر من ممثليها .

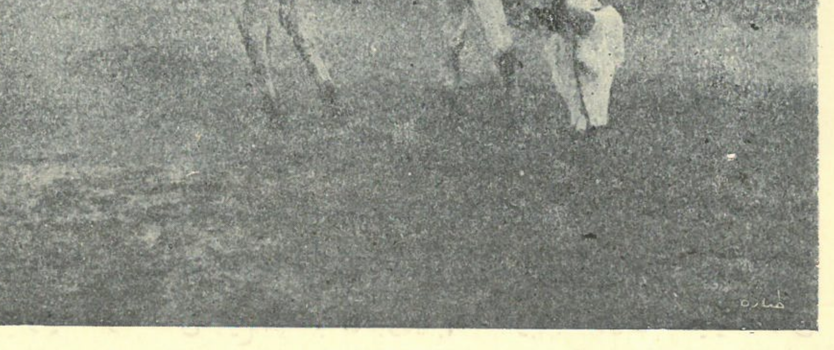
ميزانية الحكومة — حالة الميزانية حسنة ، وصندوق الفائض الاحتياطي يبلغ ٢ ٦٢١ ٣١٥ جنيهاً . وعلى البلاد ديون عمومية تبلغ ٢٥ مليون جنيه ، وقد وفت

منها حتى الان سبعة ملايين جنيه. وفيما يلي جدول لميزانية الحكومة خلال بضع سنوات:

السنة	الدخل	الخرج
١٩٢٥-٢٦	٨ ٢٦٨ ٩٢٨	٦ ٥٨٣ ١٦٧
١٩٣٠-٣١	٧ ٨٤٧ ٥٥٤	٨ ٥٥٥ ٠٢٢
١٩٣٢-٣٣	٦ ٨٩٩ ٥٦٧	٦ ٨٩٨ ٨٠١
١٩٣٦-٣٧	٥ ٩٩٥ ٩٢١	٥ ٧٥٧ ١٨٠

ويتكون الدخل من المصادر الاتية : الجمرك ٤٥ بالمئة ، الضرائب المباشرة ١٢ بالمئة ضرائب المرفأ ٥ بالمئة ، رسوم اخرى ٣٨ بالمئة .

ويتوزع الخرج تقريباً كما يلي : الادارة نصف مليون ليرة، البحرية نصف مليون



نموذج من الثيران في شمالي نيجيريا . لاحظ القرون الطويلة والسنام

الدين العمومي مليون ، البوليس ربع مليون ، البرق والبريد ربع مليون ، الاشغال العامة مليون ، الجيش ثلث مليون ، الرواتب ثلث مليون ، المعارف ثلث مليون الخ .

القضاء — محكمة القضاء العليا في لاغوس هي ارفع محكمة ، وتتألف من القاضي الاول في البلاد واربعة اعضاء . وهي محكمة الاستئناف لمحاكم المقاطعات . وهناك محاكم بدائية وصلحية في المدن الكبرى .

وتنظر المحاكم الوطنية — محاكم الزعماء والشيوخ والملوك — في القضايا الوطنية . والقضاء منظم في الامارات الاسلامية على اساس الشريعة الاسلامية . وقد انشأت الحكومة منذ بضع سنوات مدرسة خاصة لتخريج القضاء المسلمين . وسيأتي الحديث عنها في هذا الفصل .

المعارف — كان عدد المدارس الابتدائية المسجلة في جنوب نيجيريا ٢٦٦٨ مدرسة في سنة ١٩٣٥ ، فارتفع الى ٣٢٤٠ في سنة ١٩٣٦ ، عدد تلامذتها ٢٢٥ الفاً . ومن هذه الارقام توجد ٣٧ مدرسة فقط تابعة للحكومة عدد تلامذتها ٧٣٢٣ . اما البقية فانها مدارس اهلية او مدارس مرسليات مسيحية ، وتمنح الحكومة مساعدات سنوية الى ثلاثمائة مدرسة تبشيرية .

اما في المقاطعات الشمالية فانه توجد مئة مدرسة حكوميه و ١٥٩ مدرسة مرسلية او اهلية ، و ٣٧٠٠٠ مدرسة اسلامية عدد تلامذتها ٢٠٧٠٠٠ تلميذ .

وتوجد في لاغوس مدرسة ثانوية للبنين باسم «كلية الملك» بادارة معلمين اوروبيين وعدد تلامذتها ٢٠٠ ، وفيها ايضاً كلية للبنات . وفي الداخلية توجد مدرسة ثانوية في «ايبادان» واخرى في «اوموواهايا» والذين يتخرجون من هذه المدارس يحق لهم الامتحان بالكلية العالية التي انشأتها الحكومه اخيراً في «يابا» في ضاحية لاغوس .

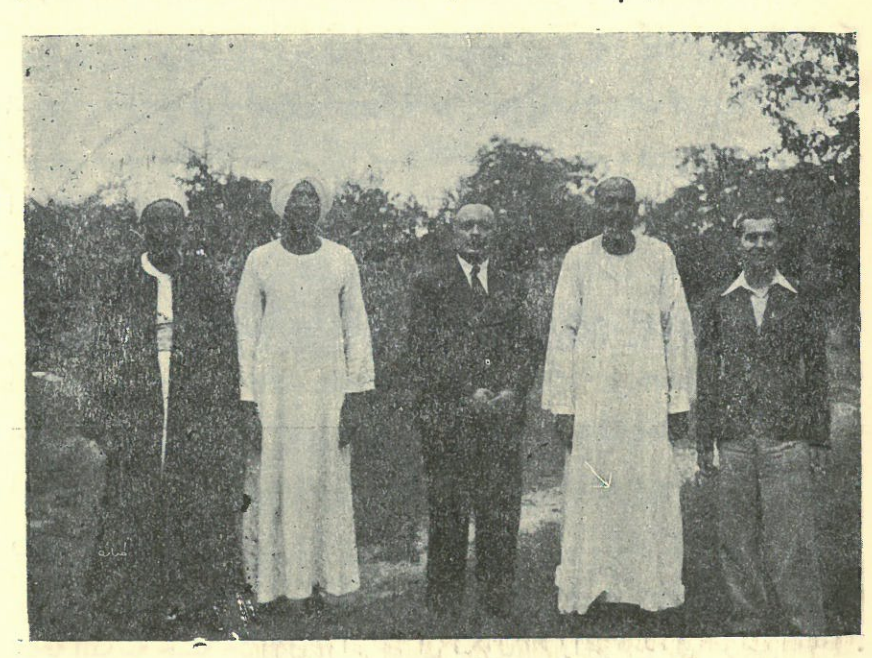
ويصطدم التعليم في الجنوب بعقبة تعدد اللغات المحلية وكثرة لهجاتها . اما في الشمال فانه اسهل لان لغة الهوسا هي السائدة . ويكتب الهوسا لغتهم بالاحرف العربية الكوفية . ولكن جميع الكتب المطبوعة بها مكتوبة بالاحرف اللاتينية ، وعلى كل حال فان اللغة الانكليزية هي الاولى في كل المدارس ، وتأتي بعدها اللغة المحلية .

وقد خصصت الحكومة للتعليم في ميزانية العام الاسبق ٢٤٥٠٠٠ ليرة .

مدرسة القضاء الشرعي الاسلامي في كانو — رأت حكومة نيجيريا الشماليه انه

يستحيل تنظيم القضاء الشرعي الاسلامي ما لم يتم تنظيم القضاة انفسهم اولا . ولم تر سبيلا لازالة الفوضى الا بانشاء مدرسة قضائية . وفي سنه ١٩٣٤ تحققت الفكرة واستعارت الحكومه من حكومه السودان ثلاثة اساتذة سودانيين من خريجي كلية القضاء الشرعي في جامعة غوردون في الخرطوم، يتقنون العربية والانكليزية، ويتمتعون بخبرة كافية في القضاء .

فتحت المدرسة ابوابها سنه ١٩٣٤ في مدينه كانو عاصمة احدى الامارات الشمالية



اساتذة مدرسة القضاء الشرعي في كانو ، وبينهم السيد رشيد بيضون والمؤلف .

وعلى الاثر اوفد اليها الامراء البعثات المختارة . والعادة ان يتولى الامير اختيار التلامذة الذين يود ارسالهم — بعد موافقة المقيم الانكليزي طبعاً . وتقضي التقاليد بان يقع الاختيار على ابناء العائلات العريقه في العلم والقضاء ، لان القضاء محصور في البلاد في عائلات معينة ، تتوارث «عمة» القضاء ابا عن جد . والعامة لا تحترم القاضي الذي لا ينتمي الى

احدى تلك العائلات ولا تحتكم اليه مهما كان حاذقا ٠

وكانت مدرسة كانو تابعه في البدء لدائرة المعارف ، فارادت ادارة هـذه الدائرة الغاء عادة القضاء بالوراثة ، وجعل الاهلية الشخصيه والذكاء شرط دخول المدرسه ٠ ولكن الدائرة السياسيه عارضت في هذا الاصلاح باعتبار انه يغضب الامراء والاهلين في آن واحد ، ويثير على الحكومة ضجة هي في غنى عنهـا ٠ وعنـدئذ نفضت دائرة المعارف يدها من المدرسة ، فاصبحت تابعة للدائرة السياسية وحدها ٠

ولا شك ان هذا الاسلوب في اختيار التلامذة يحرم الاذكياء من تعلم القضاء كما ان توزيع المناصب في لبنان على اساس الطائفية يحرم الاكفاء من الوصول اليها ٠ وقد نجم عن هـذه الحـالة تفاوت في اعمـار التلامذة واهليتهم ٠ وحـدث مرة ان بعث احد الامراء الى المدرسة « تلميذاً » عمره ٦٥ ، لانه لم يكـن يوجـد اصغر منه في عائلته !

والمـدرسة مؤلفة من اربعة صفوف ، وتلقى فيهـا جميع الدروس باللغة العربيـة الفصحى ٠ والعادة ان يكون عند التلميذ الجديد المـام باللغة العربية ، فيتولى اساتذة المدرسة زيادة معارفه حتى يصبح قادراً على تفهم الدروس والتحدث بلغة الضاد بطلاقة٠
اما علوم المدرسة فهي في الدرجـة الاولى علوم الفقه واللغة ، ثم بعض علوم الجغرافيا والتاريخ والحساب ٠

وقد زرت اساتذة المدرسة الافاضل وتحدثت اليهم ملياً عن سير التعليم ، فقالوا ان نتيجة المدرسة حسنة حتى الان ، والمرجو ان تكون اهم واعم فائدة في القريب العاجل٠ ثم تناول الحديث قضية اللغة العربية في نيجـيريا ، فقيل لي ان الهوسا يقدرون لغتنا ويهوونها ، ويلم الكثيرون منهم بهـا ، كما ان جميع المسلمين يحفظون الشيء الكثير من القرآن الكريم ٠

الصحف ــ تصدر الحكومة اسبوعياً مجلة « نيجيريا غازيت » الرسمية ، مع ملحق تجاري شهري ٠ وتصدر في العاصمة الصحف التالية : الدايلي تايمس ، الدايلي نيوز ، وست افريكان بيلوت ، وست افريكان ستار ٠ وتصدر اسبوعياً : اكيدي أكو ،

كوميت ، اكبا (في ابيو كوتا) ٠ وتصدر في بعض المدن الكبيرة صحف صغيرة اخرى ٠

تاريخ التطور الاقتصادي ــ تقدمت التجـارة في نيجيريا خـلال الجيل الاخير تقدما جباراً ٠ فمنذ نصف قرن كانت التجارة مقتصرة على المقايضة البسيطة على الشواطىء وضفاف الانهر ٠ اما الان فقد اصبحت التجارة تعم البلاد كلها ٠

وقد طرأ التبديل المهم على الحالة في اوائل القرن الحالي عندما شرعت الحكومة تنشىء المحطات التجارية في الداخلية وتمد سكك الحديد وتشق الطرق ٠ وبفضل هذه المشاريع العمرانية ارتفعت صادرات البلاد من ٨٨٣ ٨٨٦ ١ ليرة في سنة ١٩٠٠ الى ٣٧٧ ٤٥٢ ٧ في سنة ١٩١٣ ٠

ولما انفجرت الحرب العظمى اصيبت تجارة البلاد بضربة قاصمة لان المـانيا كانت تستهلك ٤٤ بالمئة من صادرات نيجيريا وترسل ١٤ بالمئة من وارداتهـا ٠ وبعد الحرب عادت تجارة البلاد الى الارتفاع شأن جميع بلدان العالم٠ ثم جاء رد الفعل والهبوط ٠ وعقبت ذلك نهضة اخرى بسبب زيادة انتاج البالميست والكاكاو ، ثم تجـدد الهبوط بسبب ازمة ١٩٢٩ العالمية ٠ ومنذ ١٩٣١ عادت الاحوال الى التحسن حتى بلغت في ١٩٣٦ درجة لا مثيل لها في تاريخ التجارة الافريقية ٠ على ان السنة التاليـة كانت بعكس سابقتها تماماً ٠ ويرى القارىء في مكان آخر من هذا الفصل جدولا عن التجارة خلال عشر سنين ، يمكن ان يتبين منه سير التطور الاقتصادي العام ٠

الزراعة ــ نيجيريا بلاد زراعيـة ، يكثر فيها صغار المزارعين ٠ وتبذل دائرة الزراعة جهوداً كبيرة لنشر الاساليب الزراعية الحديثة ، ولكـن الفلاح لا يزال يفضل فدانه القديم على كل شيء ٠ ولا شك ان الاسـاليب الحديثة تستطيع ان تضاعف محصول نيجيريا الزراعي عدة اضعاف ٠ واذا امكـن تحسين وسائل النقل وتخفيض اسعارها فان تجارة البلاد تستفيد كثيراً ٠

وللحكومة عدة مزارع لاجراء التجارب في ايبادان ، باتان ، اوماهيا ، ايلورين زاريا ، كانو ٠ والغرض الاساسي منها وضع الاسس اللازمة لادخال اساليب الزراعة

الحديثة في البلاد • ويزرع الفلاحون في الداخلية الذرة البيضاء والصفراء والجذور والفاصوليا والبطاطا الحلوة والفلفل ، ومعظمها للاستهلاك المحلي •

المحصولات المهمة — كان زيت البالميست ولا يزال اهم عنصر في تجارة نيجيريا • فاشجار البالميست كثيرة جداً ، وخصوصاً في الجنوب الشرقي من مقاطعة كالابار • على ان الانتاج محدود بسبب قلة اليد العاملة ، كما ان صادرات الزيت من جزيرة سومطرا (جزر الهند الهولندية الشرقية) تزاحم صادرات نيجيريا •

الكاكاوا — زراعة الكاكاوا حديثة في نيجيريا • وكانت البلاد تصدر منها ثلاثة آلاف طن فقط في سنة ١٩١٣ فاصبحت تصدر ٤٥ الفاً في ١٩٢٥ • وتشجع الحكومة هذه المادة تشجيعاً كبيراً • ولن تمر مدة طويلة حتى تصبح نيجيريا المنافسة الاولى لجارتها شاطىء الذهب بفضل سعة اراضيها وخصبها •

وقد هبطت اسعار الكاكاوا هبوطاً كبيراً منذ سنة ١٩٢٩ • كان سعر الطن في لاغوس يومئذ ٣٦ ليرة انكليزية ، فهبط الى نصفه في ١٩٣٣ • وكان سعره في سنة ١٩٣٦ - ٣٧ يتراوح بين ١٨ و ٢٣ ليرة •

فستق العبيد — تسير زراعة الفستق سيراً ممتازاً • وهو يزرع الان بكثرة في المناطق الشمالية • وخاصة في جوار كانو • وكان الصادر منه في سنة ١٩١٣ : ٢٠ الف طن فقط ، فارتفع في ١٨٢٥ الى ١٢٨ الفاً ، وبلغ في العام الاسبق ٢١٨ الفاً • وقد هبطت اسعار الفستق ايضاً الى النصف منذ ١٩٢٩ • وكان معدل سعر الطن في ١٩٣٦ سبع ليرات انكليزية و ١٦ شلناً •

القطن — بدأت زراعة القطن في ١٩١٦ ببذور اميركية • وفي ١٩٢٥ كان الصادر منه تسعة آلاف طن ، ثم هبط في العام التالي الى ٣٧٤٨ ، وعاد الى الارتفاع الى ٥٨٦٥ طناً في سنة ١٩٢٩ ، ثم الى ٨٠٠٨ في ١٩٣٠ • وفي ١٩٣٦ بلغ احد عشر الفاً • وسيكون لزراعة القطن دور كبير في المستقبل لاسيما في الشمال قرب كانو وسوكوتا •

ومن المحصولات الزراعية الاخرى السمن الشجري والكولا الخ •

المواشي — المواشي قليلة في الجنوب بسبب انتشار ذبابة « تسي تسي » الفتاكة ولكنها موجودة بكثرة في الشمال • وتجري تربية المواشي على الطريقة القديمة ، بحيث تترك الماشية حرة في التناسل كالنشاء ، دون اختيار الصالح والاصلح منها • وقد جرت عدة محاولات حكومية لادخال عناصر المواشي الاجنبية الممتازة في النسل الحالي • وفي الفصل الجاف يموت عادة عدد كبير من المواشي بسبب خزن كميات غير كافية من الطعام لها ، كما ان الامراض متفشية بكثرة بينها •



سكرتيرية الحكومة في لاغوس عاصمة نيجيريا •

وتقدر المواشي في كل البلاد كما يلي : ١ ٨٨٣ ٠٠٠ رأس غنم ، ٤ ٩٩٥ ٠٠٠ رأس ماعز ، ٥٢٩ ٠٠٠ حمار ، ٢ ٢٠٠ جمل ، ٢٠٠ ٠٠٠ رأس خيل ، ٥١ ٠٠٠ خنزير • وتصدر البلاد سنويا مواشي بقيمة نصف مليون ليرة تقريباً • ويوجد قطار خاص للمواشي ينقلها اسبوعياً من الشمال الى لاغوس للذبح والتصدير •

الخشب — تبلغ مساحة الغابات في نيجيريا ٦٠٠ ٠٠٠ كيلومتر مربع ، اكثرها صالح للخشب ، خصوصاً في المقاطعات الجنوبية • ويجري قطع الخشب تحت مراقبة الحكومة واهم انواعه الهوغوني •

المعادن — ارض نيجيريا غنية بالمعادن ، ولكن استثمارها لا يزال ضئيلا •

والمستثمر حالياً الفحم الحجري والقصدير . فالاول يكثر في مقاطعة اردتوغو على بعد ١٥٠ ميلا من بورت هار كورت . وقد بلغ انتاجه في العام الاسبق ٢٩٢ الف طن، ذهب قسم منه للاستهلاك في سكة حديد نيجيريا ، والباقي صدر الى شاطىء الذهب . اما القصدير فانه موجود في هضبة ، البوشي شمال نهر بانو بي ، وفي مقاطعات ايلورين وزاريا وكانو . ويوجد الذهب ايضاً بكميات قليله . وقد صدر منه في سنه ١٩٣٣ ما وزنه ٣٣٠٠ اونز ، وثمنهُ ٢٣٤ الف ليرة انكليزية .

العمل — لما كان معظم الاهلين يشتغلون في الزراعة ، فان عدد العمال بينهم قليل جداً . ويوجد الان ٢٢٠٠٠ عامل في مناجم القصدير في بوشي ، وعدد كبير في غابات بانان حيث يشتغل في قطع الاشجار . وتحتاج الحكومه الى عمال كثيرين لسكك الحديد والمرافىء والاشغال العامة .

التجارة — فيما يلي جدول الواردات والصادرات خلال سنوات عديدة ، والقيمة بالليرات الانكليزية :

	الوارد	الصادر
١٩٠٠	١ ٧٣٥ ٢٤٤	١ ٨٨٦ ٨٨٣
٩١٣	٧ ٢٠١ ١٨٩	٧ ٤٥٢ ٣٧٧
٩٢٤	١٢ ٩٢١ ٣٣٧	١٥ ٠٣٨ ٠٧٧
٩٢٩	١٣ ٤٠٤ ٤٤٧	١٧ ٩٢٢ ٥٠١
٩٣١	٦ ٧٤٤ ١٩٩	١٠ ٦٤٤ ٥١٩
٩٣٢	٧ ٢٤٣ ١٤٣	٩ ٦٢٨ ٩٤٤
٩٣٣	٦ ٦٤٥ ٢٦٨	٩ ٠٦٧ ١٤٣
٩٣٦	١٠ ٨٢٩ ٦٠٩	١٥ ٠٧٦ ٩٤٦

وهذه تفاصيل الصادرات واوزانها واثمانها خلال سنة ١٩٣٦ :

بزر البالميست	٣٨٦ ١٤٥	طناً	ثمنها ٣ ٦٣٧ ٣٩٦	ليرة انكليزية
زيت البالميست	١٦٢ ٧٧٨	=	= ٢ ٠٧٨ ٨٣٩	=

فستق عبيد	٢١٨ ٣٨٩	=	= ٢ ٨٤٧ ٤١٤	=
كاكاوا	٨٠ ٥٥٣	=	= ١ ٩٩٧ ٤١٨	=
جلود	–		٧٦١ ٨٥٣	=
قطن	١١ ١٠٩	=	= ٥٥٣ ٥٨١	=
قصدير	١٢ ٠٠٠	=	= ١ ٧٦٣ ٠٥٦	=
كاوتشوك	–		٩٠ ١٣٧	=

واهم الواردات هي البضائع القطنية ، الملابس ، التبغ والدخان ، الالات ، الادوات الحديديه ، السيارات ، الاواني المعدنيه ، المشروبات الكحولية ، البترول ، المواد الغذائية ، الطحين الخ .

وقد توزع الوارد في سنة ١٩٣٧ بين الدول كما يلي : انكلترا ٢ ، ٦٤ بالمئة ، المانيا ٥ ، ٧ ، الولايات المتحدة ٧ ، ٤ ، هولندا ٤ ، ١ .

ويتوزع الصادر كما يلي : انكلترا ٤٣،٩ ، المانيا ٢١،٩ ، الولايات المتحدة ٧،٢ ، هولندا ٨،٧ .

وتوجد في نيجيريا اربع غرف تجارية في لاغوس ، كادونا ، بورت هاركورت ، كانو .

الجمرك — يتقاضى الجمرك رسوماً على اكثر البضائع ، بعضها بنسبة معينة ، وبعضها بنسبة اجمالية قدرها ١٥ بالمئة . وهناك بضائع تدخل بدون جمرك بتاتاً مثل الطحين والبسكوت والزبدة والحلويات والسكر والشاي والارز وادوات السفر والملابس الخاصة والسيارات والادوات الزراعية . ويتبع الجمرك نظام الحصص في تجارة الاستيراد من البلدان الاجنبية .

البنوك — في نيجيريا بنك افريقيه الغربيه البريطانيه ، وبنك باركليز . للاول فروع في : لاغوس ، كالابار ، واري ، اونيتشاه ، بورت هاركورت ، ابيوكوتا ، ايبادان ، كادونا ، الجص ، كانو ، مايدوغورو ، اوشوغبو ، ميناء سابيلي لوكوجا ، اينوغو ، ابا .

وللثاني فروع في : لاغوس، ايبوتي ، ميتا ، ايبادان ، زاريا ، بورت هار كورت، الجص ، بوروتو ، كانو ، ايجيبو ، اودي ، فكتوريا .

العملة — حتي سنة ١٩١٢ كانت العملة الانكليزية هي المتداولة في كل المستعمرات الانكليزية . وفي تلك السنة اسست الحكومة « مكتب النقد في افريقيه الغربيه » وعهدت اليه تنظيم احوال العملة . وعلى الأثر اصدر اوراقا مالية باسمه، وهي المتداولة في الوقت الحاضر في نيجيريا وشاطىء الذهب وسيراليون وغامبيا .

وقد اصدر البنك في البدء بنكنوت بقيمة ٥ ليرات وليرة ونصف ليرة (١٠ شلنات) . ثم سحب تدريجياً ورقة الخمس ليرات من الاسواق فلم تبق سوى ورقة الليرة وهي حمراء الطبعة ، وورقة نصف الليرة وهي خضراء الطبعة . وقد طبعت قيمة كل ورقة على صفحة من الورقة مع الزينة العادية . اما الصفحة الثانية فانها بيضاء الا من قيمة الورقة بالاحرف العربية .

اما القطع المعدنية المتداولة فانهاتقسم ثلاثة انواع :

اولاً — قطع انكليزية ذهبية وفضيه وبرونزية . وتحاول الحكومة سحبها واستبدالها بقطع افريقية .

ثانياً — قطع افريقية فضية وبرونزية بقيمة فلورين (شلنين) وشلن واحد و ٦ بنسات و ٣ بنسات .

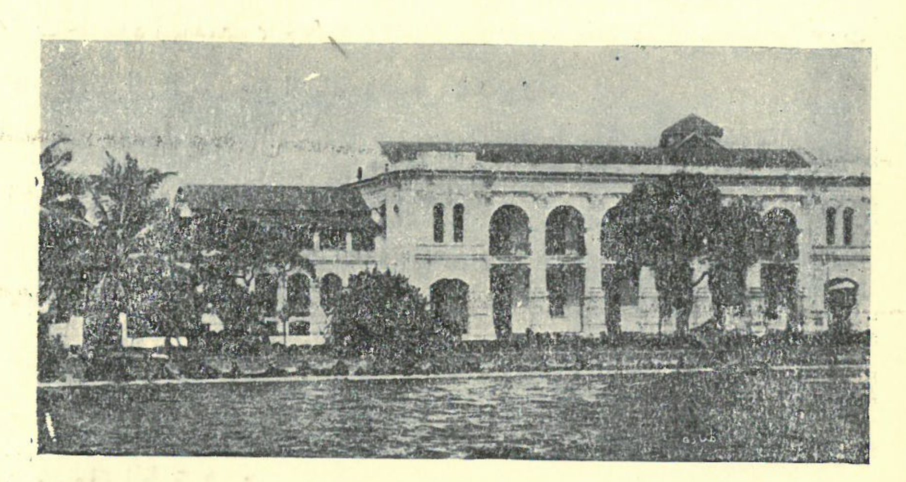
ثالثاً — قطع نيجيرية برونزية بقيمة بني ونصف بني وعشر بني .

وقد قلت القطع الفضية الافريقيه ايضاً لان البنك يسحبها من التعامل ، تاركا القطع البرونزية وحدها بين الايدي . وتجد القطع رواجا في الداخلية ، لان اكثر البيع والمشترى يجري بقيمات صغيرة تقل عن قيمة الليره الورقية . ولم يقبل العبد على التعامل بالنقد الورقي عند صدوره قديماً ، بل كان يبيع الورقة بخسارة بضعة شلنات مفضلا عليها العملة المعدنية . وقد اثرى بعضهم من المتاجرة مع العبيد بهذه التجارة المضمونة الربح .

وجرت محاولات عديدة لتزييف البنكنوت الافريقي لاسيما في شاطىء الذهب ،

فاكتشفها البوليس وعاقب المزيفين عقابا شديداً .

البرق والبريد — في نيجيريا الان ١٥٧ مكتب بريد ، منها ١١٢ مكتباً مجهزاً بالالات التلغرافية . والتلغراف موجود على موازاة الخطوط الحديدية ، بين المدن الكبرى . وطول شبكته ١٤٠٠٠ ميل . وتوجد عدة محطات لاسلكية . والتلفون



دار البريد في شارع مارينا في لاغوس ، وهو اجمل شوارع المدينة .

موجود في لاغوس ، كالابار ، ايتو ، واري ، بورت هاركورت ، ايبادان ، فور كادوس ، اوبوبو ، كادونا ، كانو ، ، الجص ، زاريا ، وغيرها من البلدان الكبيرة .

السكك الحديدية — تملك الحكومة كل الخطوط الحديدية . ولا تزال البلاد بحاجة الى خطوط كثيرة جديدة ، خاصة في الشمال الغربي والشرق والشمال الشرقي . وكل الخطوط الحالية هي من عرض ثلاثة اقدام ونصف ، ما عدا خط زاريا ـ الجص فانه من عرض قدمين ونصف .

واهم خط هو الذي يربط لاغوس بمدينة كانو في الشمال ، وطوله ٧٠٥ اميال ، ويمر على البلدان المهمة التالية : ابيو كوتا ، ايبادان ، اوشوغبو ، ايلورين ، جبّا ، زونغيرو ، مينا ، كادونا ، زاريا . ومن مينا يتفرع خط طوله ١١١ ميلا الى بارو على

نهر النيجر ، ومن زاريا يتفرع خط الى الجص طوله ١٣٣ . وقد جرى اخيراً تمديد الخط من كانو الى نغورو على مسافة ١٤٤ ميلا ، ومن زاريا الى كورا ناموادا على مسافة ١٣٧ ميلا .

اما الخط الغربي فانه يذهب من ايفو على بعد ٢٧ ميلا من لاغوس الى ايدوغو قرب حدود الداهومي ، وطوله ٢٤ ميلا . ويوجد خط شرقي يذهب من بورت هاركورت الى الشمال حتى اينوغو وطوله ١٥١ ميلا .

ومن ماكوردي الى كادونا يوجد خط طوله ٥٦٩ ميلا . وبين قفاشان الى الجص خط طوله ٦٣ ميلا .

وكان مجموع طول الخطوط الحديدية حتى العام الماضي : ١٩٠٠ ميل بلغت نفقاتها ٢٣ مليون ليرة انكليزية . وهناك مشاريع عديدة بانشاء خطوط اخرى في اماكن مختلفه . ويبلغ دخل السكة السنوي ٢ ٣٠٠ ٠٠٠ ليرة ، والخرج ١ ٠٨٠ ٠٠٠ ليرة.

الطرق المعبدة — في البلاد ٣ ٧٠٠ ميل من الطرق المعبدة ، وهي في ازدياد دائم . واهم الطرق هي :

من لاغوس الى - ابيوكوتا (٦٣ ميلا) ايبادان (١١٢) اويو (١٤٥) اوغبوموشو (١٧٧) ايلورين (٢١٤) جبا (٢٨٢) تاغينا (٤١٣) فونتوا (٥٧٣) كانو (٦٦٧) . كانو - كاتسينا ١٠٧ اميال .

كانو - بوتيسكوم ١٨٤ ، الى مايلو وغاري ٣٣٠ .

زاريا - سوقوطه ٢٥٠ . كادونا - الجص ١٧٢ .

الجص - بوشي ٨٠ ، بوتيسكوم ٢١٠ .

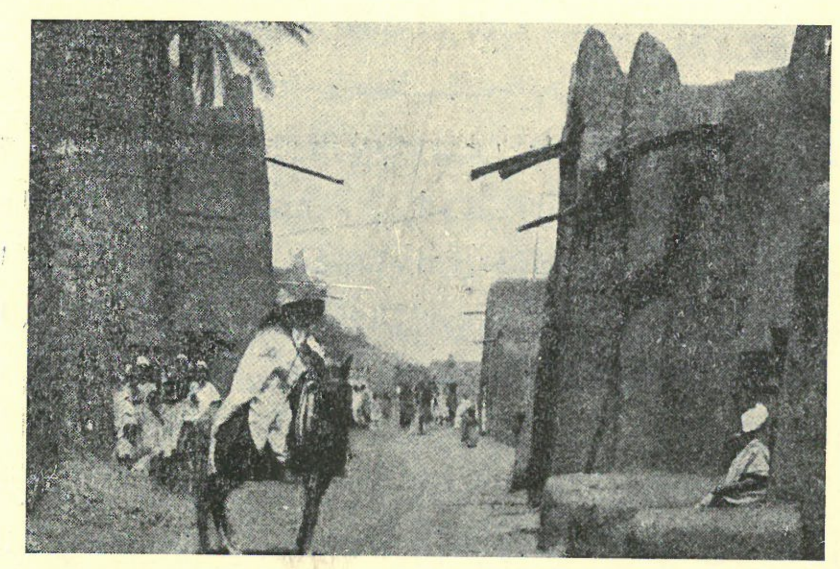
من ايبادان الى - اكوري (١٢٧) اوواو (١٥٧) بانان (٢٣٤) اونيتشا (٣٢٠) اونوغو (٣٨٧) اباكالي (٤٣٨) .

من اونيتشا الى - واري ٦١ ، ابا ١٠١ ، اورون ١٩١ .

المواصلات النهرية — يمكن الملاحة على نهر النيجر وبانوئي في فصول الفيضان وكذلك على البحيرات والمجاري الكثيرة الموجودة في منطقة الشاطىء . ويمكن

السفر بالزوورق البخاوي من بورتو نوفو في الداهومي حتى لاغوس ، ومنها الى اوبوبو ، وكالابار وريو دل ري في فصل الامطار . ويوجد خط بريدي الان على هذه المجاري ، وكذلك على نهر الصليب بين كالابار وايتو.

اهم المدن والمرافىء — مرفأ العاصمة لاغوس من اهم مرافىء افريقية الغربيه ، وترسو فيه البواخر الكبيرة بجانب الرصيف ، ويساعده الان مرفأ اپاپا الواقع تجاهه.



شارع في بلدة كانو في شمال نيجيريا والبلدة شبيهة ببعض القرى السورية.

واهم المرافىء الاخرى هي : بورت هاركورت ، فر كادوس ، بوروتو ، واري ، سابيلي ، كوكو ، كالابار .

اما من حيث المدن فان لاغوس هي اكثر المدن عمراناً ، وفيها احياء جميلة جداً لاسيما احياء السكن الاجنبية . وعدد سكانها ١٣٠ ٠٠٠ . وهناك ايضاً : ايبادان ٣٨٧ ٠٠٠ (رقم يحتمل الزيادة الى اكثر من نصف مليون) اوغبوموشو ٨٧ ٠٠٠ ايلورين ٤٧ ٠٠٠ ، اشوغبو ٥١ ٠٠٠ ، اوواو ٥٧ ٠٠٠ ، ايدي ٥٢ ٠٠٠ ، كانو ٨٩ ٠٠٠ ، ابيوكوتا ٤٦ ٠٠٠ .

الفصل الثالث عشر

الغينه البرتغالية

تبلغ مساحة الغينه البرتغالية ٣٦ ٦٣٠ كيلومتراً مربعاً . تحدها شمالا منطقة «الكازامنس» التابعة للسنغال ، وشرقا وجنوبا الغينه الفرنسية ، وغربا المحيط الاتلنتيكي . ومعظم اراضيها منخفضة ، الا في الجنوب الشرقي حيث ترتفع الارض الى علو مئتي متر . وتجري فيها عدة انهر ثانوية اهمها انهر: كاشو ، غيبا ، ريوغراندي وتؤلف جزر «بيساغوس» القريبة من الشاطيء جزءاً من المستعمرة .

المناخ والامطار ــ مناخ الغينه استوائي . يدوم الفصل الجاف من تشرين الثاني الى ايار . وفي ايار او حزيران تهطل الامطار وتغزر في اب وايلول . ومعدل هطول المطر في المناطق الساحلية ٨٨ قيراطاً ، يهطل منها ٢٥ قيراطاً في شهر آب وحده . وفي الداخلية يقارب المعدل السنوى ٦٤ قيراطاً .

لمحة تاريخية ــ الغينه البرتغالية هي القطعة الوحيدة الباقية للبرتغال من ممتلكاتها الواسعة في الغينه . فقد كانت الغينه كلها خاصة للبرتغال ، فانتزعها الهولنديون منهم في القرن السابع عشر ، ثم تنازل عنها هؤلاء بدورهم الى الفرنسيين .

وقد اكتشفت الغينه في اواسط القرن الخامس عشر ، واصبحت مركزاً لتجارة الرقيق ، قاعدته (بيسّاو) . ثم تطورت احوالها على مرور الزمن حتى الغي الرقيق في القرن الماضي ، فبدأت البرتغال تستثمرها اقتصاديا . وكانت الغينه في القديم تابعة اداريا لحكومة جزر الرأس الاخضر (كابوفاردي) البرتغالية ، ولكنها اصبحت منذ

١٨٧٩ مستعمرة مستقلة مرتبطة بوزارة المستعمرات البرتغالية رأساً .

السكان ــ دل احصاء ١٩٣٧ على ان عدد السكان ٤٢٠ الف نفس بمعدل ١١،٥ نفس لكل كيلومتر مربع . ومعظم سكان الداخلية ينتمون الى قبائل البالانتي (١٠٠ الف) والفلا (٧٥ الفاً) . اما سكان الشواطيء فانهم خليط من قبائل زنجية منوعة .

الادارة والموازنة ــ تقسم البلاد ١١ مقاطعة . ويحكمها حاكم معين من قبل وزارة المستعمرات البرتغاليه بمساعدة مجلس استشاري . وعاصمتها «بولاما» الواقعة على جزيرة صغيرة تحمل الاسم نفسه ، غير ان «بيساو» هي العاصمة التجارية . وفيما يلي موازنة حكومة الغينه خلال بضع سنوات ، والقيمة بالاسكودوس :

	١٩٣٣-٣٤	٩٣٤ -٣٥	١٩٣٥-٣٦ (١٨شهراً)
الدخل	٠٠٠ ٩٣٢ ٢٠	٠٠٠ ٨٨٩ ٢١	٠٠٠ ٢٢٤ ٣٧
الخرج	٠٠٠ ٤٥٩ ١٨	٠٠٠ ٩٦٢ ١٨	٠٠٠ ٢٦١ ٢٨

المحصولات ــ فستق العبيد هو اهم محصولات البلاد . وقد ازدادت زراعته كثيراً خلال السنوات الاخيرة . ويأتي بعده زيت البالميست وبزره . وقد انشئت معصرتان لعصر البزر في بوباكي وجزيرة زوكا .

وبين المحصولات الاخرى الكاوتشوك والشمع ولكن صادراتها هبطت في السنين الاخيرة . وفي سنة ١٩٢٨ زرعت شركة فرنسية-بلجيكية مزارع واسعة بالقطن . وهناك محصولات ثانوية مثل الارز والذره والكولا والكاكاوا والقهوة وقصب السكر والتبغ والموز والمانغو .

المواشي ــ تربية المواشي عامة ، والبلاد تصدر كمية لا بأس بها من الجلود . والخيول والحمير موجودة في مقاطعتي بافاتا وفاريم في الداخلية . اما الغنم والماعز والخنازير فانها موجودة في كل مكان . وقد دل تعداد ١٩٣٦ على وجود : ٣٤٣ حصاناً ، ٢٩٣٩ حماراً ، ٢٧ الف رأس غنم ، ٨١ ٠٠٠ رأس ماعز ، ٥٧ ٣٥٥ خنزير .

الخشب ــ الغابات الصالحة لانتاج الخشب موجودة في الجزر في المناطق الساحلية

والمجاورة للانهر . على انها تتناقص رويداً رويداً لان السكان يحرقونها ليستعملو الارض لزراعة الفستق والارز والقطن .

تجارة البلاد — فيما يلي جدول الواردات والصادرات خلال بضع سنوات، والقيمة بالاسكودوس :

	الوارد	الصادر
١٩٢٩	٤٠ ٨٢٧ ٠٠٠	٤٥ ٣٧٧ ٠٠٠
٩٣٢	٢٦ ٢٤٧ ٠٠٠	٣٦ ٠٢٤ ٠٠٠
٩٣٣	٢٩ ٢٨٢ ٠٠٠	٢٦ ٧٤١ ٠٠٠
٩٣٥	٢٦ ٠٦٧ ٠٠٠	٢٨ ٩٢٥ ٠٠٠
٩٣٧	٣٣ ٣١٤ ٠٠٠	٣٨ ٩٢٠ ٠٠٠

وفيما يلي جدول باهم الصادرات ووزنها وقيمتها خلال سنة ١٩٣٦ :

فستق العبيد	٢٥ ٢٣٩ طناً	قيمتها	٢٢ ٣١٩ ٠٠٠	اسكودوس
بزر الباليست	١٢ ٦٠٢ 〃	〃	١٠ ٦٣٠ ٠٠٠	«
زيت الباليست	٧٤١ 〃	〃	١ ٠٥١ ٠٠٠	«
الارز	٣ ٩٣٢ 〃	〃	٢ ٣٦٠ ٠٠٠	«
الجلود	١٤٥ 〃	〃	٧٢٨ ٠٠٠	«
الشمع	١١٣ 〃	〃	٥٦٧ ٠٠٠	«

واهم الواردات الى البلاد هي البضائع القطنية والمواد الغذائية ومواد البناء والسيارات والكولا والتبغ . وتتوزع نسبة التجارة بين الدول كما يلي : البرتغال ٣١،٢ بالمئة ، اليابان ١٨،١ ، انكلترا ١٦،٧ ، المانيا ٦ ، فرنسا ٢،٧ ، هولندا ١،٩ .

المواصلات التلغرافية — يبلغ طول شبكة الخطوط التلغرافية في كل الغينه البرتغالية ٦٨٥ كيلومتراً . وتوجد فيها ١٣ محطة تلغرافية وثلاث محطات لاسلكية ومحطتان للتلغراف البحري (كابل) .

المواصلات — المواصلات في الانهر والبحر سهلة في المناطق الساحلية . اما في الداخلية فانه يوجد شبكة من الطرق المعبدة طولها ٣٠٠٠ كيلومتر . وهي تربط

المستعمرة بالمستعمرات المجاورة . ولا توجد في الغينه سكك حديدية ، ولكن هناك طريقاً معبدة تربط مدينة بيساو بمدينة تامبا كوندا في السنغال طولها ٢٣٠ ميلا ولما كانت تامبا كوندا واقعة على سكة حديد كار السودان فان الراكب يذهب منها في القطار حيث يشاء .

اهم المرافيء — اهم مرفأ هو «بيساو» ويقع على مصب نهر الغيبا . وعمق المياه فيه ٣٦ قدما ولا تستطيع البواخر الرسو بجانب الرصيف ، بل ترسو في عرض البحر وتستقبل منها البضاعة سقالة داخلة في البحر مسافة ٢٠٠ مترونيفاً اما بقية المرافيء فهي : بولاما كاشو ، بوباكي . وقد زارت كل هذه المرافيء في سنة ١٩٣٦ : ٨٣ باخرة ، منها ٣٨ برتغالية و٣٢ المانية ، والبقية مختلفة

مشهد طبيعي جميل في احدى جزر بيساغوس

الفصل الرابع عشر

جمهورية ليبيريا المستقلة

تقع ليبيريا بين سيراليون وشاطيء العاج، ويحدها شمالا الغينه الفرنسية • ومساحتها ١٠٠ ٠٠٠ كيلومتر مربع ، وطول شاطئها ٥٠٠ كيلومتر تقريباً • واهم انهارها : مانوح ، سان بول ، كافالي •

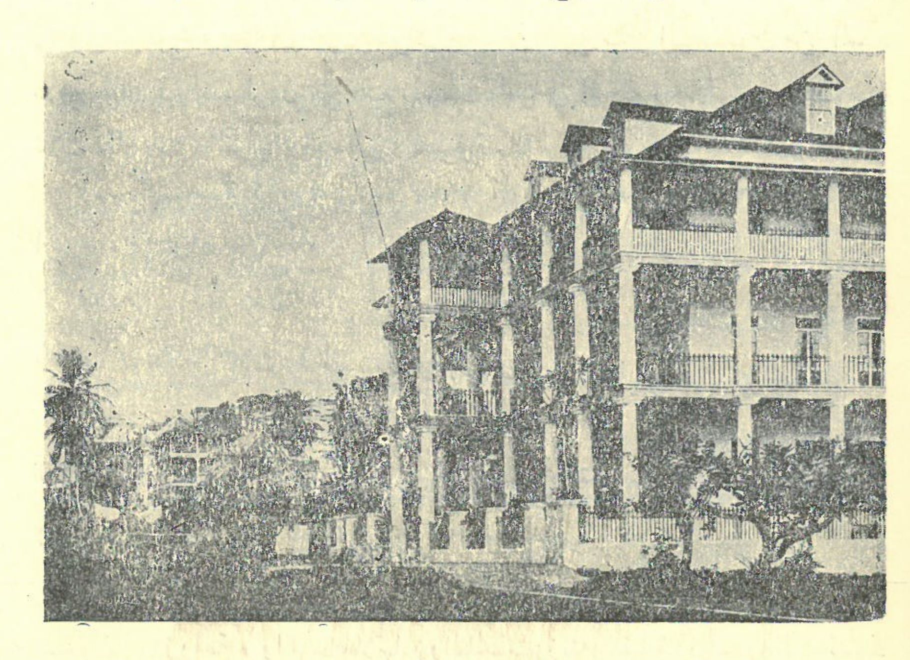
المناخ — المناخ حار رطب ، لا يصلح للاوروبيين • وتغزر الامطار من حزيران الى ايلول •

لمحة تاريخية — على اثر الغاء الرقيق في الولايات المتحدة ، رأت عدة جمعيات خيرية اميركية ان تعيد العبيد الزنوج الى افريقيه الغربية وطنهم الاصلي • وعلى الاثر اختارت بالاتفاق مع انكلترا وفرنسا البقعة المعروفة اليوم باسم ليبيريا ، وبدأت منذ سنة ١٨٢٢ ترسل العبيد اليها • وكانت الحكومة الاميركية تشرف على هذه العملية وتتولى ادارة البلاد في حالتها الجديدة • وفي سنة ١٨٤٧ منحت هؤلاء العبيد استقلالهم الكامل ، وتأسست على الاثر جمهورية ليبيريا الحاضرة •

وقد ثار السكان الاصليون في ليبيريا على العبيد الدخلاء ووقعت حروب دامية بين الطرفين • وظلت سلطة الجمهورية مقتصرة على الشواطيء فقط • على انها في السنين الاخيرة وسعت نطاق نفوذها الى الداخلية ، فاصبح يشمل اكثر البلاد تقريباً •

ويجب الاعتراف بفشل هذه التجربة الاستقلالية، اذ لولا الخبراء الاميركيين

المشرفون على ادارة البلاد في الوقت الحاضر، ولولا الشركات الاميركية التي تستثمرها لعادت البلاد الى حالة الفوضى القديمة • ويقول كثير من النقاد ان ليبيريا ليست جمهورية مستقلة ، بل هي في الواقع مستعمرة اميركية في افريقية • وهم يستدلون من



قصر رئيس الجمهورية في مونروفيا عاصمة جمهورية ليبيريا •

احوال ليبيريا على عجز السود عن ادارة شؤونهم بانفسهم والاستغناء عن مساعدة الابيض •

السكان — يبلغ عدد السكان العبيد الذي جيء باجدادهم من اميركا ١٢ الف نفس ، وعدد سكان البلاد الاصليين ١ ٥٠٠ ٠٠٠ • ويتضاءل عدد الاول تضاؤلا مستمراً ، وهم جميعاً يعتنقون الدين المسيحى • اما السكان الاصليون فانهم وثنيون ، ولكن الاسلام انتشر بينهم في المدة الاخيرة •

الادارة والموازنة — ليبيريا جهورية مستقلة يرأسها رئيس جمهورية ، يعاد انتخابه مرة كل اربع سنوات . وهو صاحب السلطة التنفيذية كما هي الحالة في الولايات المتحدة ويعين الوزراء وكبار القضاة والممثلين الدبلوماسيين . و في البلاد مجلس نواب ومجلس شيوخ ، على ان حق عضويتها محصور بالليبيريين المتحدرين من العبيد الاميركيين فهم مسيطرون على جميع المناصب العليا في الدولة . والجمهورية مقسومة ثلاث مقاطعات : الغربية والوسطى والشرقية .

وقد كانت موازنة الدولة في سنة ١٩٣٧ كما يلي : الدخل ٦٣٢ ٣٨٦ دولاراً . الخرج ٥١٥ ٦٥٠ دولاراً .

الدفاع — يبلغ عدد الجيش الليبيري ٤٠٠٠ نفر . والى جانبه قوة خاصة بالحدود مؤلفة من ثلاث كتائب ، وقوة بوليس .

المعارف — في العام الماضي كان في ليبيريا ٥١ مدرسة حكومية و ١٢١ مدرسة للبعثات التبشيرية و ١٠ مدارس خصوصية . ومجموع التلامذة يقارب السبعة آلاف . وفي منروفيا «كلية ليبيريا العليا» وعدد تلامذتها ٨٨ .

المحصولات — اراضي البلاد خصبة صالحة للزراعة ، ومعظم سكانها الاصليين يشتغلون في الزراعة . واهم حاصلاتها بزر البالميست وزيته والقهوة والجذور والكاوتشوك والقطن .

تجارة البلاد — فيما يلي جدول عن تجارة ليبيريا خلال بضع سنوات . والقيمة بالدولارات :

السنة	الوارد	الصادر
١٩٢٨	٤ ٠٢٩ ٠٠٠	١ ٤٦٦ ٠٠٠
١٩٢٩	٢ ٠٦٤ ٠٠٠	١ ٤٧٥ ٠٠٠
٩٣٠	١ ٦١٥ ٠٠٠	٨٦٧ ٠٠٠
٩٣١	٨٥٩ ٠٠٠	٤٤٥ ٠٠٠
٩٣٣	٦٩٣ ٠٠٠	٦٠٣ ٠٠٠
٩٣٤	٨٥٦ ٠٠٠	٥٤٦ ٠٠٠
٩٣٥	١ ٢٩٥ ٠٠٠	٧٤٢ ٠٠٠
٩٣٦	١ ٦٧٤ ٠٠٠	١ ٣١٢ ٠٠٠

وهذه اهم الصادرات في العام الماضي : القهوة ٩٩ ٣٤٦ دولاراً ، بزر البالميست ٣٤٦ ٠٠٤ ، زيت البالميست ٣٩ ٨٤٥ ، الجذور (بياسافيا) ١٢٩ ٢٥٩ ، الكاوتشوك ٥٤٧ ٤٦٣ ، الكاكاوا ٥٣ ٧٧٠ ، الذهب ٥٥ ٧٥٠ .

العملة — العملة الرسمية هي الدولار الليبيري ، وقيمته مماثلة لقيمة الدولار الاميركي . على انه لا توجد منه سوى قطع فضية ونحاسية . والنقد الانكليزي الفضي والذهبي متداول ايضاً بكثرة .

المواصلات — طرق المواصلات قليلة في ليبيريا ، فالسكك الحديدية معدومة في البلاد كلها ، وطول الطرق المعبدة لا يتجاوز المئتي كيلومتر .

المدن والمرافيء — العاصمة هي مونروفيا ، الواقعة على مصب نهر سان بول . وهي اكبر مرفأ في البلاد ، ولكن مرفأها خال من كل الاصلاحات الضرورية . وعدد سكانها ٦ ٠٠٠ نفس . وهناك غيرها : كايب بالماس (١٦٠٠) ، كايب مونت ، غراند باسا ، سينوي ، مارشال الخ .



الفصل الخامس عشر

التوغو (تحت الانتداب الفرنسي — الانكليزي)

كانت « التوغو » مستعمرة المانية قبل الحرب العظمى. وبموجب معاهده فرساي انتزعت من المانيا ، ووضعت انتداب فرنسا وانكلترا من درجة C . ومتى علم القارىء ان سوريا ولبنان كانا تحت الانتداب من الدرجة الاولى A ادرك ما هو الانتداب من الدرجة الثالثة C . . .

وقد نالت انكلترا القسم الغربي من التوغو ومساحته ٣٤٠٠٠ كيـلومتر مربع (١٣٠٤٠ ميـلا مربعاً) وضمتـه اداريا الى مستعمرة شاطىء الذهب . اما القسم الشرقي فقد اعطي الى فرنسا ، ومساحته ٥١٠٠٠ كيلومتر مربع . وكان يحكمه في البدء مفوض سام فرنسي حكماً اداريا مستقلا عن بقية المستعمرات ، ولكنه في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٤ اصدرت الحكومة الفرنسية مرسوما بضم التوغو اداريا الى مستعمرة الداهومي ، ومنحت حاكم الداهومي مهام المفوض السامي للتوغو .

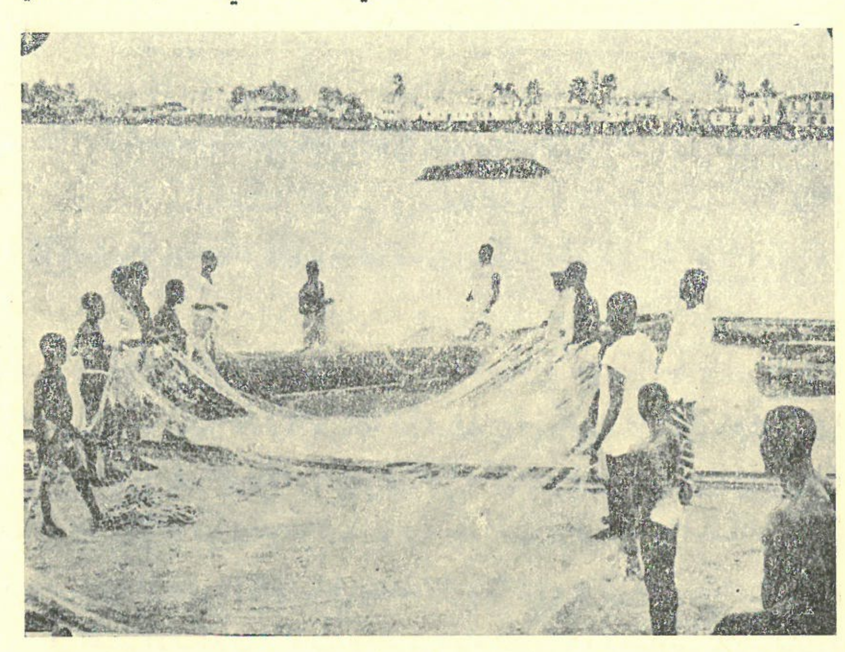
المناخ والامطار — مناخ التوغو استوائي ، اي حار ورطب ولاسيما في المنـاطق الساحلية. اما في اقاصي الداخلية فان مناخه يصبح شبيهاً بمناخ السودان. وتهطل الامطار على الشـاطىء من آذار الى حزيران ، ثم في تشرين الاول وتشرين الثـاني ، اما في الداخلية فان المطر يهطل بين نيسان وتشرين الاول ، وبقية الاشهر جافة .

والامطار في المنطقة الساحلية قليلة . فالمعدل السنوي في «لوميه» مثلا ٢٧ قيراطاً ،

وفي كل الشواطىء يتراوح بين ٢٨ و ٣٢ قيراطاً . ثم يرتفع في اواسط البلاد حتى يبلغ السبعين قيراطاً . ولكنه يهبط في اقاصي الشمال .

لمحة تاريخية — في سنة ١٨٨٤ رفع الرحالة الالماني الدكتور ناختيغال العلم الالماني على شاطىء التوغو ، واعلن وضع البلاد تحت الحماية الالمـانية . وفي السنوات التالية جرى توسيع المنطقة الالمانية حتى اقاصي الداخليـة . وفي سنة ١٨٩٧ عقدت المانيـا معاهدة مع فرنسا وانكلترا لتعيين حدود التوغو نهائياً .

وكانت البلاد معرضة قديماً لهجمات « الاشانتي » من شاطىء الذهب والداهوميين



الزنوج يصطادون السمك في بحيرة انيشو في التوغو .

من الشرق ، فوضع الالمان حداً لهذه الهجمات ، ثم بدأوا يستثمرون البلاد . ولما وقعت الحرب العظمى هاجم الانكليز والفرنسيون المستعمرة ، فاحتلوهـا في آخر آب من سنة ١٩١٤ لعدم وجود قوى عسكرية تدافع عنهـا . وبعد الحـرب وضعت تحت الانتداب كما اسلفنا .

السكان — عدد سكان البلاد ١٧٩ ١١٢ ١ نفساً ، منهم ٠٠٠ ٢٧٥ تحت الانتداب الانكليزي ، والباقون تحت الانتداب الفرنسي .واقوى عنصر فيها عنصر الأيوي . وسكان السواحل من الوثنيين ، والشمال من المسلمين . ويقدر عدد المسلمين بـ ٧٥ بالمئة من مجموع السكان . ويبذل البشرون جهودا كبرى لتحويل الوثنيين الى الدين المسيحي . وقد نجحوا حتى الان في تحويل اربعين الف شخص .

الادارة والميزانية — عاصمة القسم الفرنسي هي بلدة « لوميه » ويحكمه المفوض السامي بمساعدة مجلس ادارة .وهومقسوم ستدوائر ادارية : لوميه ، انيشو ، كلونو ، اتا كبامي ، سو كودي ، مانغو . وعدد البوليس في القسم الفرنسي ٤٢٠ نفراً .

اما القسم الانكليزي فانه يعد جزءاً من مستعمرة شاطىء الذهب . ويقسم منطقة شمالية واخرى جنوبية،في الاولى اربع دوائر ، وفي الثانية دائرتان .

وقد كانت ميزانية القسم الفرنسي في سنة ١٩٣٧ كما يلي : ٠٠٠ ٧٣٠ ٢٦ فرنك، الخرج ٠٠٠ ٧٤٩ ٢٥ فرنك . وكان دخل السكك الحديدية والمرافىء ٦٢١٤٠٠٠ فرنك ، والخرج ٠٠٠ ٤٦٥ ٥ فرنك .

وليس للقسم الانكليزي ميزانية خاصة لانه تابع لميزانية شاطىء الذهب . ولكن الدخل منه في سنة ١٩٣٦ كان ٤٩١ ٤٩ ليرة انكليزية والخرج ٨٤١٨٩ ليرة.

المعارف — في القسم الفرنسي : في العاصمة لوميه مدرسة عالية ، وفي بقية انحاء البلاد ٤٤ مدرسة فيها ٧٣٨ ٣ تلميذاً و ٩٥ معلماً منهم ٨ اوروبيين(احصاءات١٩٣٧) ويوجد ايضاً ٢٩ مدرسة للارساليات عدد تلامذتها ٠٧٨ ٥ تلميذاً .

في القسم الانكليزي : كانت توجد في العام الماضي ١٠٦ مدارس للارساليات فيها ٢٢١ معلماً و ٣٩٨ ٦ تلميذاً .

الحالة الاقتصادية والتجارية — فيما يلي احصاءات عن احوال البلاد ، في عهد كل من الدول الحاكمة ، ومنها يستطيع القارىء ان يكوّن فكرة عن الحالة .

في العهد الالماني : كان الوارد في سنة ١٩١٣ كما يلي : ٤٢٨ ١١ ماركا ، والصادر ٩٥٩ ٩ ماركا . وكانت اهم الصادرات : بزر البالميست (٣٣٧٩ ماركا) زيت البالميست

(١٤١٢) ذره صفراء (٢٣١) قطن (٥١٤) كاكاوا (٢٤٣) كاوتشوك (٩٧٥) .

في القسم الفرنسي : كان الوارد في العام الماضي : ٠٠٠ ١٠٠ ٤٧ فرنك، والصادر ٤٤٨٠٠٠٠٠ فرنك . وكانت اهم الواردات:المواد القطنية والمنسوجات(١٧٥٠٠٠٠٠ فرنك) مشروبات (٠٠٠ ٦٠٠ ٢) بترول (٠٠٠ ٠٠٠ ٢) الخ . وكانت اهم الصادرات : كاكاوا (٠٠٠ ١٩٨ ١٠) بزر البالميست (٠٠٠ ٥٠٥ ٢١) ذره صفراء (٠٠٠ ٨٠٧ ٧) الخ .

في القسم الانكليزي : كان الوارد في العام الماضي : ١٣٥ ١٠ ليرة انكليزية ، والصادر ٥٢٣ ١٩١ ليرة . واهم الصادرات : كاكاوا (٦٦٣ ١٨٠ ليرة) بزر البالميست (٩٧٤) الخ .

البنوك — في القسم الفرنسي فروع لبنك افريقيه الغربيه ، والبنك التجاري الافريقي والبنك الفرنسي الافريقي .

البرق والبريد — في القسم الفرنسي ٨ مكاتب بريدية منها ٤ مجهزة بالالات التلغرافية . وفي الانكليزي اربعة مكاتب .

اهم المدن والمرافىء — في القسم الفرنسي : العاصمة لوميه هي المرفأ الوحيد وعدد سكانها ٤٠٠ ١٠ نفس . وتأتي بعدها اتا كبامي (٢٠٠٠) باليمه الخ .

القسم الانكليزي : انيشو (٠٠٠ ٣) باساري (٠٠٠ ٩) هو ، هوهي ، كراتشي بندي .

السكك الحديدية — جميع الخطوط الحديدية موجودة في القسم الفرنسي من التوغو وهي :

خط لوميه ـ باليميه ، وطوله ١٩٩ كيلومتراً .
لوميه ـ اتا كبامي ـ بليتا ٢٧٦ 〃
لوميه ـ انيشو ٤٤ 〃

الطرق المعبدة — في البلاد كلها ٢٠٠ ٣ كيلومتر من الطرق المعبدة ، منها ٦٦٠ ١ كيلومتراً من الطراز الحسن .

الفصل السادس عشر

المواصلات البحرية والجوية والبرية

بين افريقيه الغربية واوروبا وبلادنا

ليست افريقيه الغربيه معزولة عن بقية اجزاء العالم ، فهي مرتبطة بها بعدة خطوط بحرية وجوية وبرية . والسفر اليها من بلادنا يجري اما عن طريق فرنسا او ايطاليا بحراً ، واما عن طريق مصر او فرنسا جواً .

يغادر الراكب بيروت على باخرة ايطالية تقله الى جنوى رأساً ، او الى تريستا اولا ومنها يسافر بالقطار الى جنوى ومن جنوى يركب احدى البواخر الايطالية الى دكار .

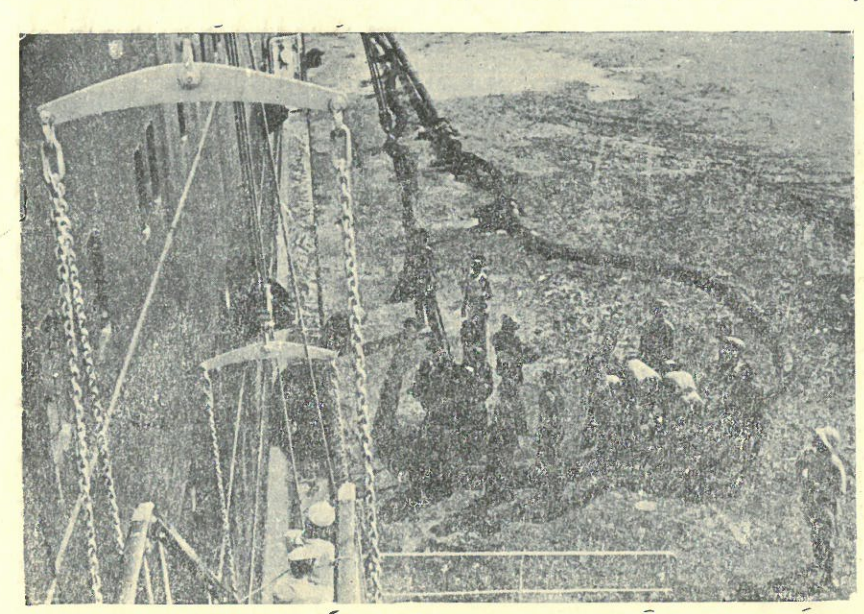
اما اذا ذهب عن طريق مرسيليا فانه يجد عدة بواخر تسافر بانتظام بين مرسيليا وافريقيه الغربيه . وهناك بواخر المانية وهولندية تمر على بعض المرافيء الفرنسية في طريقها الى افريقيه الغربيه ، كما انه توجد بواخر انكليزية عديدة تسافر بانتظام بين ليفربول والثغور الافريقية .

١ — خطوط المواصلات البحرية

فيما يلي جدول عام للشركات البحرية المختلفة التي تسير بواخرها بين اوروبا وافريقية الغربية :

١ — شركة الشاحنين المتحدين الفرنسية Chargeurs Réunis — تغادر

بواخرها الهافر او بوردو ، وتمر على المرافيء الافريقية التالية : دكار ، كوناكري ، تابو اوساساندرا ، بور بويه ، لوميه ، كوتونو ، واحياناً اكرا في الاياب . وللشركة



تموين البواخر الراسية في مرفأ دكار بالمازوت والماء .

خط آخر يسافر بين فرنسا واميركا الجنوبية ويمر على دكار في الاياب فقط .

٢ — الشركة الفرنسية للملاحة بالبخار ، اي شركة فابر Fabre — تغادر بواخرها مرسيليا وتمر على: دكار ، كوناكري ، فريتون ، بور بويه ، اكرا ، لوميه ، كوتونو ، لاغوس (في الاياب فقط) .

٣ — الشركة المرسيلية للملاحة بالبخار ، اي شركة فرسنيه Fraissenet — تغادر بواخرها مرسيليا وتمر على المرافيء التالية: دكار ، كوناكري ، بور بويه ، اكرا ، لوميه ، كوتونو ، لاغوس (في الذهاب فقط) . واحياناً تمر على بعض المرافيء الثانوية .

٤ — شركة باكيه للملاحة الفرنسية Paquet — تسير بواخرها بين مرسيليا

ودكار فقط .

٥ ــ الشركة العامة للنقليات البحرية البخارية Transports Maritimes ــ تسير بواخرها بين مرسيليا ودكار فقط .

٦ ــ شركة النقليات في افريقية الغربية ــ هي شركة تملك بضعة بواخر صغيرة خاصة بنقل الموز من الغينه الفرنسية وشاطيء العاج ، ولكن لكل باخرة منها الحق بنقل ١٢ راكباً . ووكيل هذه الشركة هو شركة الشاحنين المتحدين وبواخرها تمر على دكار وبعض مرافيء الغينه وشاطيء العاج وفقاً لبرامج خاصة دورية .

٧ ــ شركة فورمن لاين الالمانية Woermann Linie ــ تغادر بواخرها هامبورغ وتمر على المرافيء الاوروبية التالية : بريمن (المانيا) روتردام (هولندا) بولوني (فرنسا) اوسوثمبتون (انكلترا) . ثم تتجه الى افريقية فتمر على : فريتون ، تاكورادي ، اكرا ، لاغوس ، فكتوريا ، دوالا ، بوانت نوار . واحياناً تزور بور بويه .

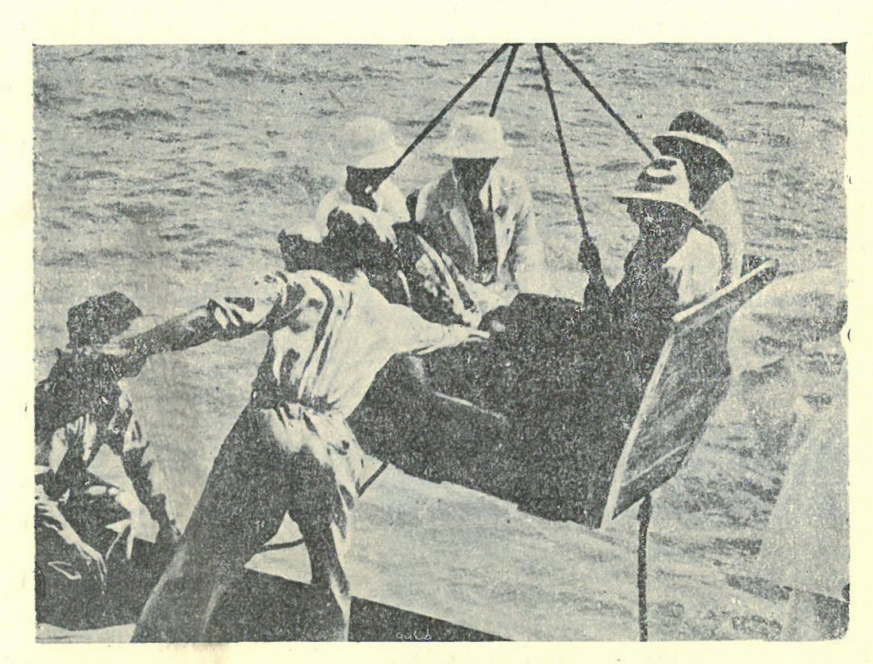
٨ ــ شركة خط افريقية الغربية الهولندية : Holland W. Afrika Lijn تغادر بواخرها هامبورغ في المانيا وتمر على امستردام وبوردو ثم تزور في افريقية ما يلي : دكار فريتون ، مونروفيا ، بورت بويه تاكورادي ، اكرا ، لوميه ، كوتونو ، لاغوس ــ ابابا الخ .

٩ ــ شركة ألدر دمبستر الانكليزية : Elder -Dempester Line

الحمار وسيلة مواصلات في افريقيه ايضاً !

تغادر بواخرها ليفربول الى : بأترست ، فريتون ، مونروفيا (احياناً) ، تاكورادي ، اكرا ، لاغوس ، بورت هاركورت ، كالابار .

١٠ ــ شركة « ايطاليا » المتحدة Italia ــ تغادر بواخرها جنوى الى



حيث لا ترسو البواخر بجانب الرصيف في المرافيء الافريقية ، تتولى الآلات الرافعة وضع وانزال الركاب الى الزوارق في الاراجيح الخشبية ، كما ترى في الصورة

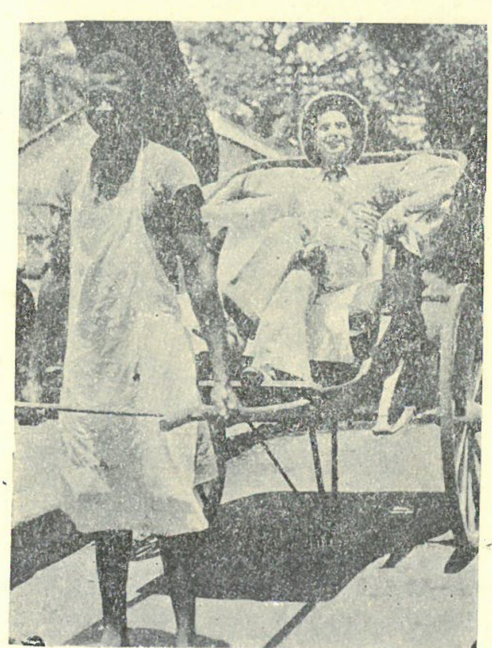
اميركا الجنوبية او افريقية الجنوبيــة ، فتمر في الخط الاول على دكار احياناً ، وفي الخط الثاني على دكار ولاغوس احياناً .

١١ ــ شركة « خط افريقية الغربية » الاميركية ــ تسير بواخرها بين نيويورك : دكار ، فريتون ، مونروفيا او مارشال ، ساساندرا ، بورت بويه ، تاكورادي ، كايب كوست ، وينباه ، اكرا لوميه ، كوتونو ، لاغوس ــ ابابا . وفي الاياب تعود الى فريتون وتسافر منها الى اميركا رأساً .

والى جانب الشركات المذكورة اعلاه شركات ثانوية للشحن ، كما ان بواخر الشركات المذكورة قد تزور مرافيء لم يرد ذكرها • وفي كل افريقيه الغربية ثلاثة مرافيء كبيرة يمكن ان ترسو فيها البواخر بجانب الرصيف ، وهي دكار (السنغال) تاكورادي (شاطيء الذهب) لاغوس (نيجيريا) • وما عدا ذلك ترسو البواخر في عرض البحر ، ويجري نقل البضائع والركاب الى الشاطيء او الى السقالات بواسطة الزوارق •

٢ ــ خطوط المواصلات الجوية

تتقدم المواصلات الجوية بين افريقيه الغربية واوروبا تقدما سريعاً • ولن تمر سنوات معدودة حتى تعم القارة السوداء كما عمت قبلها اوروبا . وهذه هي اهم الخطوط الجوية :

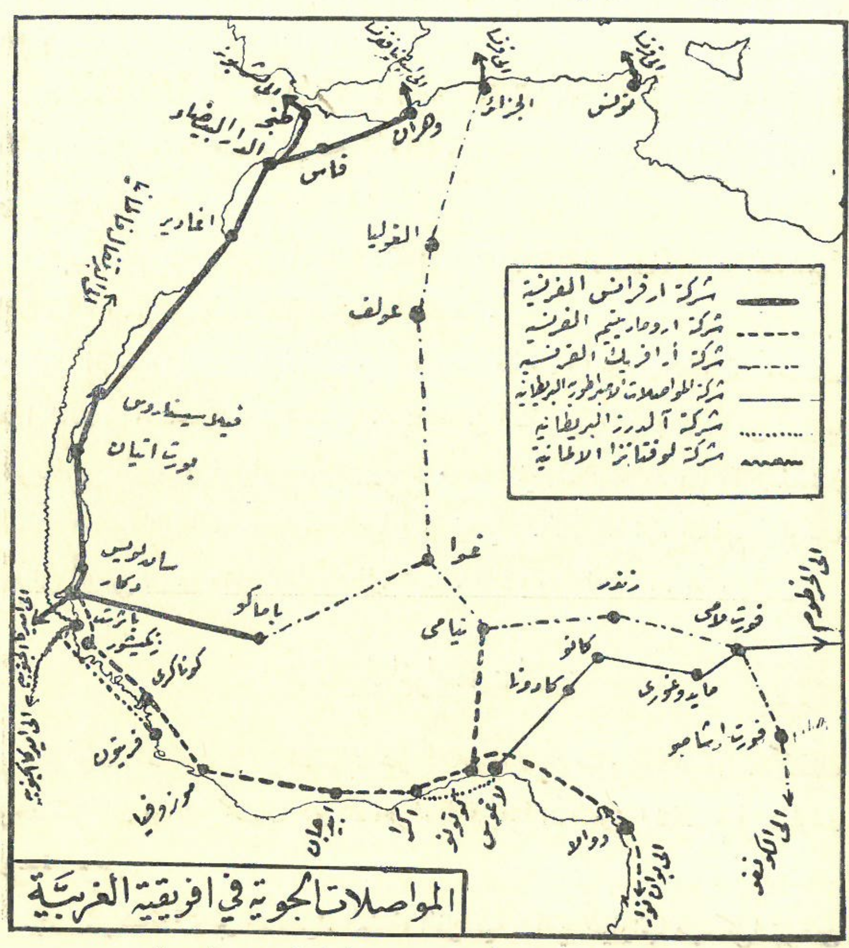


« البوس بوس » : عربة يجرها زنجي • وهي من وسائل المواصلات داخل « كوناكري »

١ ــ شركة « ايرفرانس » الفرنسية : تغادر طائراتها تولوز ومرسيليا مرتين في الاسبوع ، فتمر على بعض القواعد الاسبانية والمراكشية ، ثم تحط في : الدار البيضاء ، اغادير ، فيلاسيسناروس (ريودورو الاسبانية) بور اتيان ، سان لويس دكار والعكس بالعكس •

٢ ــ شركة « ايروماريتيم » الفرنسية ، تغادر طائراتها دكار مرة في الاسبوع ، وتمر على زينكيشور ، كوناكري مونروفيا ، ابيدجان ، تاكورادي ، كوتونو ، دوالا • ويوجد في كوتونو خط آخر تابع للشركة نفسها ، يربطها بخط شركة سابينا في نيامي •

٣ ــ شركة الريجي الفرنسية الجوية الافريقية وشركة سابينا البلجيكية



خريطة المواصلات الجوية في جميع انحاء افريقيه الغربية •

تغادر طائراتها وهران والجزائر مرة في الاسبوع ، وتمر على الغوليا ، عولف ، غو (السودان الفرنسي) نيامي وزندر (النيجر) ومنها الى الكمرون والكونغو • ويوجد خط فرعي بين غوا وباماكو للشركة نفسها •

٤ — شركة المواصلات الجوية الامبراطورية الانكليزية : تغادر طائراتها الاسكندرية مرة في الاسبوع الى: القاهرة ، الاقصر ، وادي حلفا ، الخرطوم، العبيد الجنينة ، فورت لامي ، مادوغيري ، كانو ، كادونا ، لاغوس . ومدة الرحلة ثلاثة ايام .

٥ — شركة «ألدرز» الانكليزية : تسير طائراتها بين لاغوس واكرا مرتين في الاسبوع ، في يومين متتابعين ذهابا وايابا . ولها خط اسبوعي آخر بين فريتون وباترست .

٦ — شركة لوفتانزا الالمانية : تغادر طائراتها شتتغارت في المانيا قاصدة اميركا الجنوبية ، فتمر على باترست (غامبيا) اسبوعياً .

وفي افريقيه الغربية الفرنسية ٣٠٠ مطار ومحطة صالحة لنزول الطائرات ، ونصف هذا العدد في المستعمرات الانكليزية . ويمكن السفر جواً من بلادنا الى افريقيه الغربية عن طريق فرنسا او فلسطين ومصر . وكثيرون هم المهاجرون الذين يفضلون السفر بالطائرة على الباخرة ، خاصة مهاجري نيجيريا ، لان الطائرة تحملهم في اربعة ايام الى الوطن ، بينما تحتاج الباخرة الى شهر ، والنفقات واحدة تقريباً .

٣ — خطوط المواصلات البرية

كما توجد شركات تؤمن النقليات عبر الصحراء بين سوريا والعراق ، كذلك توجد شركات تؤمن النقليات عبر الصحراء الافريقية الكبرى بانتظام في سيارات مريحة . وهي :

١ — شركة «عبر الصحراء العامة» الفرنسية : تسير سياراتها مرة كل اسبوعين بين الجزائر والسودان الفرنسي ، تبدأ رحلتها من « كولومب بيشار» في الجزائر ، ومنها تذهب الى غوا ونيامي وباماكو .

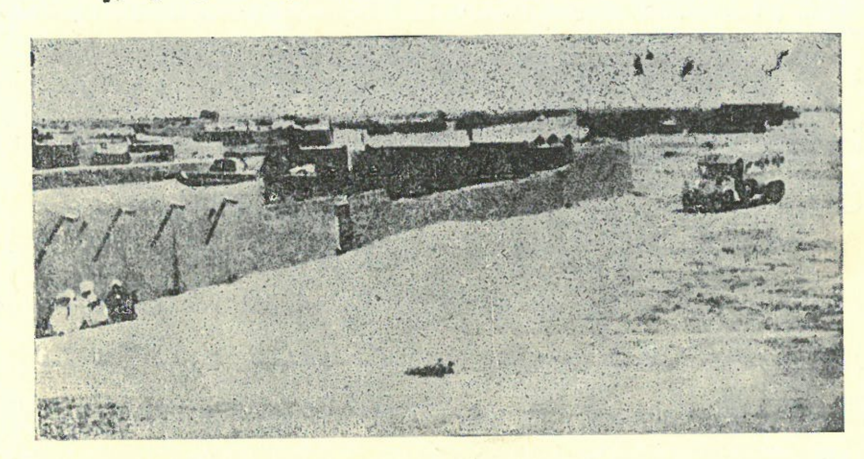
٢ — الشركة الجزائرية للنقليات الاستوائية : تسير سياراتها اسبوعياً من الجزائر الى زندر في مستعمرة النيجر . ومن هناك توجد طريق الى كانو (نيجيريا) .

٣ — يمكن السفر بالسيارات من كانو الى مصر عن طريق بحيرة تشاد والسودان المصري .

٤ — البريد بين بلادنا وافريقيه الغربية

جميع البواخر والطائرات والسيارات المذكورة سابقاً تنقل البريد من افريقيا واليها . والرسائل العادية من بلادنا تذهب اولا بالبواخر الى مرسيليا ، وهناك يجري توزيعها على البواخر المسافرة الى افريقيه . والعادة ان تصل الرسائل من بيروت الى دكار في ١٥ يوما ، والى بقية المستعمرات في مدة تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ يوما ، حسب توفر البواخر .

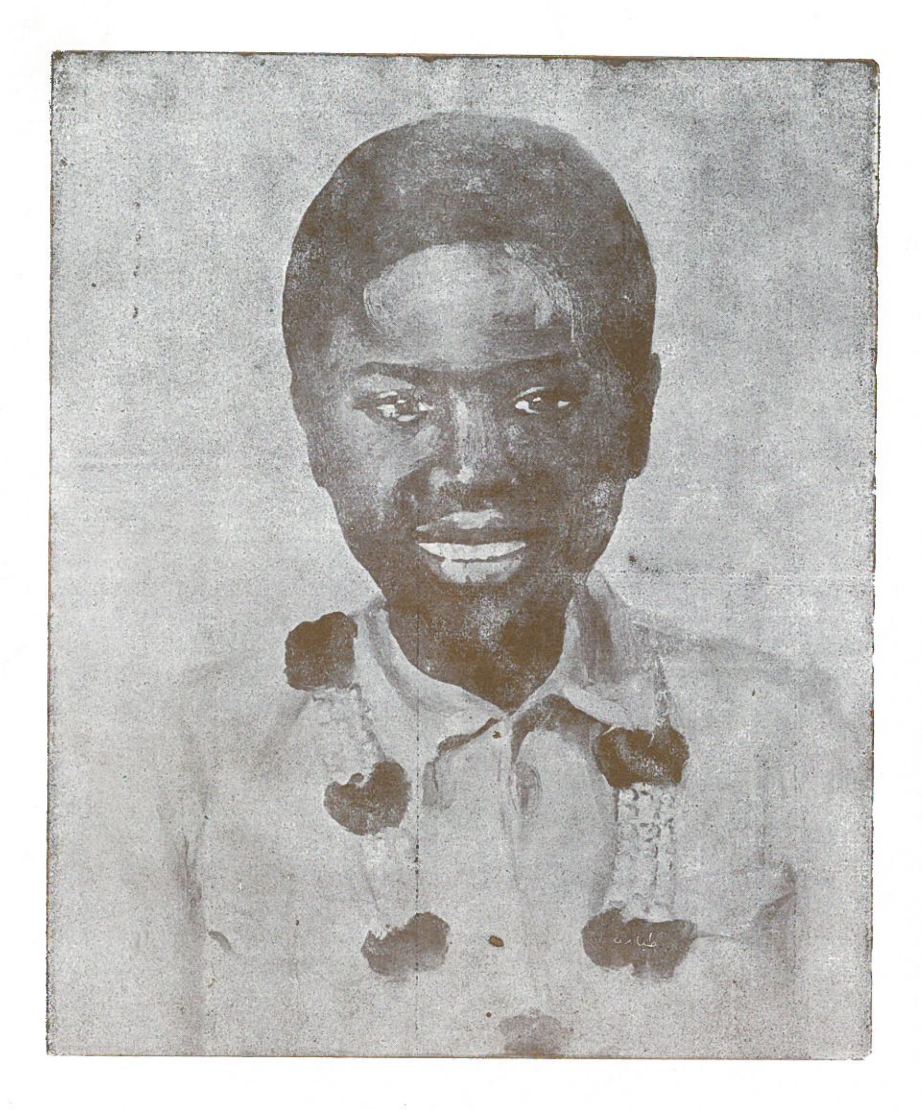
اما البريد الجوي فان له طريقين : طريق فرنسي وآخر انكليزي . فاذا كان اتجاه الرسالة نحو المستعمرات الفرنسية ، فان طائرات «اير فرانس» هي التي تحملها



سيارة عبر الصحراء عند وصولها الى «غوا» في السودان الفرنسي .

وتوصلها الى مكانها في مدة تتراوح بين اربعة وستة ايام ، وهذا الخط يقبل ايضاً الرسائل المرسلة الى ليبيريا وشاطيء الذهب وينقلها بنفس المدة .

اما اذا كان اتجاه الرسالة نيجيريا او شاطيء الذهب ، فانه يجب ارسالها بواسطة طائرات شركة المواصلات الجوية الامبراطورية الانكليزية ، عن طريق مصر ، فتصل في اربعة او خمسة ايام .



وجوه افريقيه

حيث « الرشمة » تصبح قلادة ...

بريشة قيصر الجميل

الفصل السابع عشر

مستقبل المدنية في افريقيه الغربية

كانت تجارة الرقيق التجارة الوحيدة الرائجة في افريقيه الغربية ، في اول عهد الاستعمار الاوروبي . وكان الاوروبيون يطلقون يومئذ على شاطىء افريقيه الغربية لقب «شاطيء الرقيق» . ولا تزال الحصون والمستودعات المبنية في الثغور الكبيرة من سان لويس حتى لاغوس ، شاهدا على الدور الرهيب الذي لعبته تجارة الرقيق في تاريخ الاستعمار الاوروبي .

وفي اواخر القرن الثامن عشر بدأ الاتجاه يتحول نحو ثروة افريقيه التجارية ، فتألفت شركات اجنبية عديدة لاستثمارها ، وكانت هذه الشركات مقدمة لاستقرار الاستعمار الاوروبي السياسي . ثم اخذ الاستعمار يتوسع ويتسرب من الشواطيء الى الداخلية بواسطة المبشرين والمغامرين ، فيكشف عن كنوز البلاد الطبيعية ويغري البيض على اقتحامها . وحتى آخر القرن التاسع عشر لم يكن يحلم احد بان افريقيه ستصبح عنصراً رئيسياً في تجارة المواد الاولية العالمية ، تتنازع عليها الدول وتتناحر .

في سنة ١٨٢٦ الف البارون روجيه حاكم السنغال كتابا عن فريقيه الغربية باسم « كيليدور » تنبأ فيه عن الدور الكبير الذي ستلعبه هذه البلاد في مستقبل العالم المتمدن . وقد وصفت الصحف الكتاب يومئذ بانه « كتاب خيالي منمق» . ومن يعرف احوال افريقيه في عهد البارون روجيه ، ويقابلها باحوالها الحاضرة ، يجد

إن نبوءة الكتاب «الخيالي المنمق» بدأت تتحقق كما تحققت قبلها نبوءة جول فرن في الطائرات والغواصات .

وحتى الان يلعب العنصر الابيض وحده الدور الرئيسي في رفع مستوى افريقيه الغربية ونشر المدنية فيها ، اي ان المدنية التي أخذت تنتشر فيها ليست مدنية جديدة ناشئة من قلب البلاد ، بل هي مدنية مستعارة من اوروبا . ولكن هل يمكن ان تدوم هذه الحالة ؟

لا اعتقد ذلك ، ولا اعتقد ان العنصر الابيض سيستأثر بالبلاد في المستقبل ، ويؤسس فيها موطناً جديداً له ويطرد السود ، كما فعل قبلا بالهنود الحمر في اميركا . ذلك ان سكان افريقيه الغربيه متصلون بالابيض قبل الفتح الاوروبي ، ولا شك ان تطورات العالم الابيض في شمال افريقيا كانت ترسل من آن الى آخر شعاعا من النور على القارة السوداء ينير بصائر العبيد ، كما ان انتشار الاسلام بينهم كان عاملا آخر في اتصالهم بالبيض ، وتسهيل دخولهم في المدنية الاوروبية الجديدة .

ثم ان العلم الذي حمله معه الاوروبي بدأ يترك أثره في الشعوب السوداء . فالمدارس اليوم تنقل الاسود دفعة واحدة من عهد الفطرة الى القرن العشرين ، فتقضي على صفات الانحطاط والخمول فيه وتهيئه ليساهم في ترقية بلاده .

في سنة ١٨١٦ كتب الماجور غراي في «التيمس» عن تلامذة سيراليون السود ما يلي : « ان النجاح الباهر الذي احرزه التلامذة السود في مدارس سيراليون، ولاسيما في الحساب والجغرافيا والتاريخ ، يثبت ان الاسود يتمتع باهلية عقلية ارفع مما كنا نتوهم ، ويدل على ان العلم قادر على جعل الزنوج اعضاء مفيدين في جسم المجتمع الانساني» ويكفي ان نطبق كلام الماجور غراي على حالة بعض الزنوج اليوم لنجد ان الكثيرين منهم اصبحوا بفضل العلم اعضاء مفيدين في جسم المجتمع . وبعد ان كان الابيض الكل في الكل في افريقيه الغربية ، اصبح اليوم الرأس فقط . وسيتضاءل دوره كلما ازداد انتشار العلم بين الزنوج .

ولا انكر ان تطور عقلية العبدحتى اليوم هو ظاهري اكثر منه باطنياً . لان المدارس تلقنه العلم السطحي فقط ولا تنشىء فيه ثقافة عالية . وكيف السبيل الى بث الثقافة ما دام محيط التلميذ منحطاً ؟ قد يبدّل العبدلغته وثيابه ، وقد يهتف للجمهورية او لصاحب الجلالة او للحرية ، ولكنه لا يستطيع ان ينفى دفعة واحدة تقاليد محيطه القديم واثر الاجيال فيه . فترى احياناً عبيداً يحملون شهادات عالية، وعقليتهم لا تختلف عن عقلية ابناء الغاب . بيد ان هذه الحالة ليست ابدية ، فكل جيل سيكون اصلح من الجيل السابق ، ولن يمر جيلان او ثلاثة حتى يصلح العلم عقلية افسدتها آلاف السنين . ومن يقابل بين حالة العبد المتعلم وحالة العبد الجاهل يمكنه ان يلمس أثر العلم ونتائجه الهامة .

وهناك عنصر ثالث يؤمن للسود المستقبل السعيد ، وهو العنصر الاقتصادي . فالابيض اليوم يشتري المحصولات من العبد ويبيعه بضائعه . ولكن العبد هو الذي يزرع ، وهو الذي يحصد ويجني ، فهو اذن الاداة الرئيسية في الاستثمار . واذا كانت الفائدة من عمله تعود الان في الدرجة الاولى على المستعمر ، فانه سيصبح بفضل العلم قادراً على الحلول محل الابيض في التجارة .

وليس باستطاعة الابيض ان يتحمل مصاعب الحياة الافريقية وينافس الاسود في الزراعة والانتاج . فهذا السلاح موجود في يد الاسود وحده وسيظل بيده . وكلما تطور واثرى هزّه في وجه الابيض ، كما فعل مثلا عبيد شاطىء الذهب عندما اضربوا في سنة ١٩٣٧-٣٨ عن بيع محصول الكاكاوا للشركات الاجنبية .

ولا بد من الملاحظة بان عهد التمدن الصحيح اشرق على افريقيا بعد الحرب فقط وبدأت مرحلته التمهيدية خلال السنوات العشر الاخيرة. ففي هذه المدة الوجيزة تجلت في افريقيا مظاهر مدنية لم ينشأ مثلها في عشرات القرون . واذا تابعت المدنية تقدمها بنفس النسبة التي تتقدم فيها اليوم، فان النهضة السوداء ستكون اقرب بكثير مما نتصور. تسير المدنية في بقية اجزاء العالم سيراً وئيداً . اما في افريقيه الغربية فانها تركض وتقفز ، والجنس البشري يركض ويقفز معها ، وشعاره دائماً : الى الامام!

الفصل الثامن عشر

الحس الوطني عند الشعوب السوداء

لم يكن الاسود قبل الفتح الاوروبي يفقه معنى الوطن والوطنية . كانت الرابطة الوحيدة التي تجمع بين الكتل الزنجية المختلفة تستمد قوتها من العصبيات القبائلية او العائلية او المحلية ، واحياناً الدينية . ثم جاء الاوروبي الى افريقيه ، وبقدومه دخلت كلمة الوطنية لاول مرة الى المجتمع الاسود ، فادرك الزنجي ان الناس يستطيعون تأليف كتل كبيرة تعيش بسلام واخاء ، بدون حروب دائمة .

دخول الفكرة الوطنية وتطورها — قبل الابيض كانت كل قرية او كل قبيلة تؤلف دولة مستقلة بنفسها ، هدفها الاوحد محاربة جيرانها بلا مبرر . ولكن الابيض وضع حداً لتلك الحروب ، فعقبتها في القرن الاخير مرحلة هدوء وصفاء ، استطاعت خلالها بعض القبائل ان تتفاهم وتكتشف عما بينها من صلات القربى والدم .

وظل الاسود بمعزل عن حمى الوطنية حتى وقعت الحرب العظمى ، واشتبكت الوطنيات الاوروبية في اكبر نضال عرفه التاريخ. وعندئذ استنجدت بعض الدول بالشعوب السوداء لمساعدتها ، فسيق الاسود الى الاشتراك في ميدان التطاحن الوطني ، وحارب بجانب الابيض للدفاع عن مبدأ الوطنية . وعندئذ فهم الدور الرئيسي الذي تلعبه كلمة الوطنية في حياة الشعوب .

وكان ينقص السود ميادين معينة او نطاقات محدودة يمكن ان تنمو فيها فكرة الوطنية ، اي كان ينقصهم وطن . ولكن الابيض سد هذا النقص من حيث لا يدري

اذ قسم افريقيه الغربيه الى مستعمرات محدودة وفقاً لمصالحه الخاصة . وفي خلال عملية توزيع الاراضي ووضع الحدود انقسمت القبيلة الواحدة قسمين بين هذه المستعمرة وتلك ، او اضطرت قبيلتان متنافستان الى المعيشة ضمن حدود واحدة . ولم تمر مدة وجيزة حتى اصبحت كل مستعمرة وطناً لسكانها ، ومهداً لوطنية جديدة . فالعبد الفولاني القاطن في الغينه مثلا وجد ان مصالحه هي اكثر ارتباطاً بعبد السوسو المقيم معه في الغينه منها بالفولاني القاطن في سيراليون او السودان . ومن هنا نشأ الاساس الذي تقوم عليه الوطنيات في افريقيه الغربية اليوم .

في السنغال مثلا كان زنجي الولف منذ خمسين سنة يعتبر زنجي السريري او الكايور او الباول المقيم معه في السنغال عدواً طبيعياً له . اما اليوم فقد تحول العداء الى تحفظ بسيط بفضل العلم والتطور المدني . واذا سمعت ولفاً يقول « السنغال للسنغاليين » فانه لا يعني ان السنغال للولف وحدهم ، بل لكل العبيد الساكنين معه في السنغال ، سواء كانوا من السريري او من الباول ام من غيرهم .

نظرة المساواة — لا ينظر الابيض المستعمر الى الاسود نظرته الى مثيله لاسباب تبررها فروق الثقافة والعقلية والمحيط . وقد يقبل العبد غير المتعلم بهذه النظرة او لا يشعر بها . اما العبد المتعلم فانه يغتاظ منها اذ يعتبر نفسه مساويا للاوروبي ، ويغضب اذا ابعده الابيض عن مجتمع ما لانه اسود اللون فقط ، ويرفض العطف والشفقة والرحمة من الابيض اذا لم تكن مرفقة بشعور المساواة المطلقة . وهذا الشعور قوي جداً في العواصم ولاسيما في دكار وفريتون واكرا ولاغوس . ولا اذكر ليبيريا التي يتمتع العبيد فيها بالاستقلال التام . وقد طبقت السلطات الفرنسية في العام الماضي على العبيد نفس القوانين الاجتماعية المطبقة على عمال فرنسا . فكان ذلك سبباً في زيادة تمسك العبيد بمبدأ المساواة مع الابيض . ثم دل اضراب عمال سكة الحديد في السنغال في تشرين الاول ١٩٣٨ وسقوط ستة قتلى منهم اثناء اشتباكهم مع الجند على ان الاسود يريد ان يقف والابيض على قدم واحدة من المساواة .

والفت الانظار الى ان النهضة الوطنية لا تزال مقتصرة على المناطق الساحلية

نماذج من طوابع البريد في افريقية الغربية

السنغال « البريد الجوي »

نيجيريا

السنغال

شاطئ العاج

النيجر

الغينية الفرنسية

التوغو

الداهومي

السودان الفرنسي

سيراليون

الغينية البرتغالية

شاطئ الذهب

وحدها . وقد كانت داخلية أفريقية الغربية ميدان الممالك السوداء القديمة ، ولكن دخول الابيض الى الشواطيء اولا ادى الى نشر المدنية بسرعة بين سكان السواحل . وقد يمر وقت طويل قبل ان تتسرب النهضة الى اعماق الغابات والصحاري .

مؤتمر بروكسل الاسود — في سنة ١٩٢١ انعقد في بروكسل مؤتمر حضره ممثلون لجميع الشعوب السوداء . وقد طالعت ابحاث المؤتمر ومقرراته ، فوجدت انها ترمي الى المطالبة بشيء واحد ، هو قبول الاسود في المجتمع الانساني بلا قيد ولا شرط ، وتناسي كل الفروق التي تميز بين الابيض والاسود .

واستطيع القول ان هذه النفسية مسيطرة اليوم على كل المتنورين السود في افريقية الغربية . وللعلم ، كما ذكرت في الفصل السابق ، الفضل الاكبر في ذلك ، لانه فتح عيون العبيد على ميزات القرن العشرين ، واهمها الحرية والاستقلال ومبادىء ولسن في حق الشعوب في تقرير مصائرها .

حركات سياسية سوداء — ولم ينتظم الشعور الوطني الاسود بعد في احزاب منظمة تناضل في سبيل الحرية . ومع ذلك فان الشبيبة المتعلمة في كل مستعمرة هي نواة لمثل تلك الاحزاب . هذه السنغال مثلا فيها حركة الشبيبة السنغالية . وقد منحتها فرنسا حقوقا سياسية ممتازة ، ففي سنة ١٨٧٩ منحت حكومة باريس سكان مقاطعات غوريه ودكار وروفيسك وسان لويس حق انتخاب نائب اسود يمثلهم في المجلس النيابي الفرنسي ، وفي سنة ١٩١٦ ثبّتت هذا الحق لاولادهم واحفادهم الى الابد . وقد لاحظت ان العبيد يمارسون هذا الحق بكثير من الفخر الوطني .

في سنة ١٩١٧ عهد المسيو كلمنصو الى نائب السنغال الاسود القيام بجولة في كل افريقيه الغربية الفرنسية ليحث الناس على التطوع في الجيش الفرنسي . وعند عودته من رحلته كتب مقالا جاء فيه : « لقد وجدت في كل المناطق التي زرتها شعوراً وطنياً يستيقظ رويداً رويداً على غرار ماحدث في السنغال » . وقد ثبت لي اثناء رحلتي الطويلة ان النائب لم يخطىء فيما ذهب اليه . ففي شاطىء الذهب مثلا ، لاسيما في اكرا ، يجد الانسان يقظة وطنية ظاهرة ، فالاكراوي المتعلم يأبى ان تخاطبه بكلمة

اسود او زنجي او عبد ، ويطلب اليك ان تدعوه « افريقياً » ، كما تقول اوروبياً او اميركياً . وفي سنة ١٩٢٠ انعقد في اكرا «مؤتمر وطني» طالب بمنح المستعمرة استقلالا دستوريا داخلياً . وقد رفضت الحكومة البريطانية هذا الطلب رغماً عن ان حزب العمال ايده ، ولكنها اضطرت الى ادخال اصلاحات مهمة في ادارة البلاد . وكان اضراب العبيد في سنة ١٩٣٨ عن بيع الكاكاوا للشركات ومثابرتهم عليه دليلا آخر على يقظة ذات مغزى .

وفي سيراليون ايضاً طالب « الكريول » بالاستقلال الداخلي للمستعمرة وما زالوا يطالبون به حتى الان بحجة انهم اهل له . أليس كل موظفي دوائر الحكومة هم من الكريول ما عدا بضعة افراد بيض ؟ أليست الادارة الحكومية بايديهم في المقاطعات ؟ غير ان الانكليز يرفضون هذا الطلب ، ويجيبون الكريول بانهم حقا راقون متمدنون واهلا للاستقلال ، ولكنهم دخلاء على سيراليون ، وليسوا سكانها الاصليين ولولا ذلك لنالوا ما يشتهون .

وفي نيجيريا ايضاً حركة قوية للشباب النيجيري ، وقد حدثني احدهم في لاغوس عن وجود حركة تستهدف توحيد الشعوب السوداء التي تحكمها بريطانيا في دولة واحدة تكون مستقلة استقلالا داخلياً على اساس الدومينيون . وربما كان ذلك صحيحاً ، لان الحكم الذاتي هو المرحلة الثانية في الاستعمار البريطاني .

وقد لاحظت اثناء رحلتي ان العبيد يعلقون صورة النجاشي في حوانيتهم ومنازلهم ، وينتصرون للحبشة على ايطاليا . ورغم انتهاء هذه القضية فانهم لا يزالون يبدون عطفهم على «اخوانهم» الاحباش ويتمنون لهم استعادة استقلالهم المسلوب . وفي هذا الشعور دليل آخر على اليقظة السوداء .

زعماء من ابناء الشعب — جميع قواد الحركات السياسية المذكورة سابقا هم من ابناء الشعب ، لان الزعماء والمشايخ والملوك يوالون الاستعمار ويترفعون عن الاشتراك في الحركات الشعبية . وجميع اولادهم يدرسون في مدارس خاصة انشأتها لهم حكومات المستعمرات . فرؤساء الحركات الوطنية ليسوا من النخبة الاجتماعية ، بل من النخبة المثقفة ، اي من الذين تعلموا واحترفوا مهناً حرة وقطعوا صلاتهم بالماضي القديم .

وفي هذه النقطة ايضاً نجد اثراً آخر للمدنية الاوروبية في افريقية . فقد كان الفرد الافريقي غائصاً في خيط الاهمال قانعاً بمعيشته في الغاب او في الصحراء . فلما تعلم نبذ محيطه الاجتماعي الاول ، واندفع يغامر في معترك الحياة ويحطم الحواجز الاجتماعية ساعياً دائماً وراء الرفعة . وهكذا نجد الان ان الزعيم الاسود الفلاني كان طفلا ضائعاً في الغاب ، اشفق عليه المرسلون فربوه وعلموه ، وان الزعيم الآخر كان مستخدماً لدى احدى الشركات ، وقس على ذلك .

ماذا يكون المستقبل — جميع الحركات الوطنية التي حدثت القارىء عنها لاتزال في اول عهدها ولا تؤلف اي خطر مباشر على الابيض في الوقت الحاضر . بيد ان حوادث التاريخ القديم والحديث علمتنا ان اليقظة هي نقطة الابتداء في الحركات التحريرية ، سواء أعقبتها النهضة عاجلا او آجلا .

ويعتقد الكثيرون ان الاسود سيستأثر ببلاده عندما يبلغ اشده سياسياً . وهذه نظرية ترتكز على عدة براهين ، ولكنني لا اعتقد بامكان تحقيقها قبل عدة اجيال ، لان حياة افريقية الاقتصادية مرتبطة الان ارتباطاً وثيقاً باوروبا ، وليس باستطاعة الاسود قبل عدة اجيال ان يبني في بلاده حياة اقتصادية مستقلة صناعياً وزراعياً عن اوروبا . بيد ان التطور الوطني السياسي يسبق عادة التطور الاقتصادي ، فكيف السبيل اذن الى التوفيق بين اماني الاسود العتيدة وبين الابيض .

ليس من الصعب الوصول الى حل معقول على نور التجارب السابقة في افريقية الشمالية والجنوبية ، خصوصاً اذا تولت الدول الحاكمة تمهيد السبيل امام العبد واخذت بيده لتحول بينه وبين الطفرة .

ومهما يكن من الامر ، فان مستقبل افريقيه الغربية ليس للابيض وحده كما كانت الحالة في اميركا ، بل لابن البلاد الاصلي ، او له وللابيض معاً . وسواء كان لهذا او لذاك فان القارة السوداء تتمخض عن مدنية جديدة يستفيد منها الجنس البشري كله .

الباب الثاني

ما يجب ان نعرفه عن الهجرة وتطورها ، وعن احوال الجالية اللبنانية السورية في كل مستعمرة

الفصل التاسع عشر

تاريخ الهجرة من بلادنا واخر موجاتها

ليس باستطاعتي ان اقدم للقارىء معلومات دقيقة عن التاريخ الذي تفشى فيه مرض الهجرة في بلادنا ، فان انعدام السجلات الرسمية ودفاتر الاحصاء والصحف في ذلك العهد ، يجعل البحث مستحيلا للوصول الى الارقام الصحيحة مهما اكثر الباحث من الاستقصاء . ولكن الشائع على السنة الناس ، والظاهر من سن مهاجرينا وسن اولادهم في بعض الديار الاميركية ، ان الهجرة بدأت في منتصف القرن التاسع عشر او قبيله ، وكانت تشتد وتخف بنسبة اشتداد الارهاب التركي وخفته ، ولاسيما في جبل لبنان .

وكانت الاقطار العربية المجاورة في البدء محط انظار المهاجرين ، وفي مقدمتها مصر . ثم ولوا وجوههم شطر الولايات المتحدة . ولعلهم سمعوا بذكر اميركا لاول مرة من البعثات التبشيرية الاميركية التي وفدت على بلادنا في ذلك العهد .

ولم يكن هنالك ما يحول دون استمرار الهجرة ، فالحكومة التركية لم تكن تهتم بحالة البلاد ، والدول الاجنبية لم تكن تعطف على لبنان ولا تعنى بأموره الا حرصاً على مصالحها ، لذلك ظلت الاحوال تسير من سيء الى اسوأ وبقيت الاضطرابات الدامية متواصلة . ولم ينشأ في البلاد عنصر واحد يدعو شبابها الى التمسك بها . وقد قيل لي ان الاتراك حاولوا منع الهجرة عندما استفحل امرها ، وكان الراغب في الهجرة يعتمد على « قبضايات » بيروت ليركب البحر ، او يستعمل الرشوة ليجتاز المرفأ بلا

معارضة رسمية . ولكن متى عرفنا ان اربعماية ألف لبناني سوري هاجروا خلال العهد التركي ، ادركنا ان تدابير المنع كانت واهية .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان بعض المهاجرين افلحوا في اعمالهم واثروا ، فكان ذلك مدعاة لتشجيع الشباب على الهجرة ، وحافزاً لهم على المغامرة والحذو حذو سابقيهم . وكان الجهل يومئذ سائداً في بلادنا وظروف المعيشة فيها ضيقة جداً بحيث لا يجد الشاب الطموح افاقا واسعة تروي ظمأ طموحه ، لذلك ظلت الابصار مصوبة نحو المهجر ، تتوسم فيه الغنى وتضع فيه آمالا لم تذهب في كثير من الاحيان سدى . واستمرت الهجرة في تدفقها ، تبتلع شبابنا وتستأثر بنشاطهم وجهودهم حتى انفجرت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ، فوضعت حداً لكل شيء غير التخريب والتقتيل .

وعقب الحرب طغت على بلادنا موجة من الرخاء كانت رد فعل للكارثة ، وقويت حركة الاعمال بعد تعطيل طويل ، فكثرت الارباح واصاب رشاشها الجميع فنسوا المهجر . وكانت الحرب قد قطعت مساعدات المهاجرين عن ذويهم ، فلما عاد السلام بعد غياب اربع سنوات عادت المساعدات الى الورود بغزارة . على ان هذا الرخاء لم يكن طبيعياً ، ولم يكن يرتكز على قواعد اقتصادية تؤمن استمراره ، لذلك لم تمر مدة وجيزة عليه حتى تحول المد المالي الى جزر ، ولاسيما في المناطق الزراعية والجبلية الفقيرة ، فعاد الناس الى التفكير بالهجرة .

لقد كان الامل الباسم يملأ النفوس بعد الحرب ، وكان التفاؤل كبيراً بالعهد الجديد . ولكن التجارب لم تلبث ان اثبتت انه حلقة جديدة من سلسلة المحن التي تعاقبت على البلاد خلال القرون الاخيرة . وهكذا دب اليأس الى النفوس ، وطغا على العقول . ومن خلاله كانت اشعة الثروة تلمع من وراء البحار فتجتذب انظار الشباب الى المهجر . وبعد قليل من التردد ، انقطع حبل الرجاء وفرغ الصبر ، فاندفع الناس صوب المهجر في موجات ضخمة متتالية .

كتب الكبتن «ديكروك» في العدد ٤٥٥ من مجلة « مراسلات الشرق » الصادر في تموز ١٩٢٧ : « ساعد نجاح المهاجرين بعد الحرب على ازدياد الهجرة . فبين ١٩٠٧

و ١٩٢٧ اضطر ١٣٠ الف لبناني و ٢٢٠ الف سوري الى الهجرة ، اما لان ارض بلادهم لم تكن تكفي لتأمين طعامهم ، أو لان املاكهم وارواحهم لم تكن في امن » .

وقد يكون الكاتب على صواب من حيث عدد المهاجرين . ولكنني لا اعتقد ان الجوع هو الذي دعاهم الى النزوح ، ولا الخوف على املاكهم وارواحهم ، بل ضيق ميدان الربح والاثراء السريع في بلادنا اولاً ، ونجاح المهاجرين السابقين ثانياً . بل لا اغالي اذا اعتبرت السبب الثاني السبب الرئيسي في بلاد عرف اهلوها بالغيرة وحب التقليد .

وتضاءلت الهجرة في سنة ١٩٣١ – ٣٢ بسبب الازمة العالمية التي فتكت بالمهاجر ايضاً . ولكن هذا الهدوء كان نذير العاصفة ، فلم تمر سنتان حتى عادت الهجرة الى الفوران . وخلال تلك المدة ، بل منذ وقف الرخاء الذي عقب الحرب العظمى ، والازمة الاقتصادية تشتد في بلادنا ، وحكوماتنا المتعاقبة لاهية بما لا يجهله احد ، فكان من الطبيعي ان لا يرى ابناء البلاد بصيص الامل في غير الهجرة .

وظلت الهجرة متتابعة بمعدل ٥٠٠ — ١٠٠٠ شخص تقريباً كل سنة . ولكنها بلغت الذروة في سنة ١٩٣٦ – ٣٧ اذ غادر البلاد خلالها ثلاثة او اربعة آلاف شخص . ذلك ان مواسم ١٩٣٦ – ٣٧ كانت ممتازة في افريقية الغربية ، فنال مهاجرونا ارباحا عظيمة لم ينالوا مثلها منذ سنوات . واراد بعض الاغنياء منهم — او الميسورون — ان يتنعموا بارباحهم ويشركوا بلادهم شيء منها ، فعاد الى الوطن خمسون مهاجراً مثريا من مختلف المستعمرات الافريقية ، لقضاء بضعة اشهر فيه .

وكانت حالة البلاد عدما يومئذ ، والفلاحون بصورة خاصة يتخبطون في ازمة اقتصادية خانقة . فلما جاءت قافلة المهاجرين في تلك السنة تنفق عن سعة وتبذر المال يميناً وشمالا ، فغر شبابنا البائسون افواههم دهشة وطمعاً ، وطغت العاطفة على العقل ولم تعد ابصارهم ترى غير الذهب الوهاج المتوفر بين ايدي نفر قليل من المهاجرين العائدين ، متعامية عن وهدة الضيق التي تتردى فيها الاكثرية الساحقة من مهاجرينا ، في صحاري القارة السوداء وغاباتها .

« فلان كان زميلي في الحقل ، او جاري في القرية . كان معدوما لا يملك الدرهم فاصبح الان مثريا يملأ جيوبه وجيوب غيره ، ويشتري السيارات ويتزوج بمن يشاء ، فلم لا أثري مثله اذا هاجرت ؟ »

هذا المنطق الاعوج اعمى البصائر ، فكانت ساعة يأس ، اعقبتها مغامرة . وبين عشية وضحاها اخذ الفلاح يبيع طنجرته وفدانه ، والملاك ارضه وبستانه ، ومن لا يملك يستدين ، والكل يتسابقون على الهجرة الى ارض الميعاد الجديدة ، ارض « كلونديك » الذهبية . وفي اقل من سنة فقدت بلادنا بضعة آلاف شاب من زهرة شبابها ، وتضخمت مرة اخرى قائمة ابناء الوطن المفقودين .

تلك هي آخر موجة من موجات الهجرة من بلادنا ، وساحدث القراء في مكان آخر عن مصير اكثرية الذين جرفتهم ، وكيف تلاشت احلامهم الذهبية على عتبات مكاتب الهجرة او ذابت تحت الشمس الافريقية او ضاعت في قفارها . ولعل هذه الموجة القت علينا دوساً قاسياً ، يحول دون تجددها بعد اليوم باي شكل كان .



الفصل العشرون

انحراف الهجرة الى افريقية الغربية وحالتها الحاضرة

كان تيار الهجرة يجرف مهاجرينا في البدء الى العالم الجديد ، الى اميركا الشمالية ثم الى اميركا الجنوبية . وكانت مرسيليا المرحلة الاولى في الطريق اليها . وفيها على الارجح سمع مهاجرونا لاول مرة ببلاد جديدة تدعى افريقية الغربية ، فغير انفار معدودون منهم مجرى الطريق واتجهوا اليها بدلا من متابعة السفر الى الديار الاميركية ، اما لعجزهم عن دفع اجرة السفر الباهظة من مرسيليا الى العالم الجديد او لان حالتهم الجسدية لم تكن تطابق الشروط الصحية القاسية المفروضة في اميركا على المهاجرين الجدد . وروى لي بعضهم ان اول مهاجرينا الى افريقية سيقوا اليها سوقا اذ ركبوا احدى بواخر الشحن على امل ان توصلهم الى اميركا ، فاذا بها تلقيهم في سان لويس . وليس هناك ما يويد هذه الرواية .

وليس بالاستطاعة تعيين التاريخ الذي بدأت فيه الهجرة نحو افريقية ، ولكن يمكن تحديده بصورة تقريبية حول سنة ١٨٨٠ . وقد ظل عدد المهاجرين الى افريقية في ذلك العهد ضئيلا جداً ، ولم يأخذ شكل هجرة كبيرة الا منذ سنة ١٨٩٧ اذ بدأ مهاجرونا يقصدون الى افريقية بالعشرات والمئات .

وقد بذلت جهوداً كبرى لمعرفة اسم المهاجر اللبناني الاول الى افريقيه الغربية فلم افلح ، كما انه ليس بالاستطاعة تحديد المستعمرة الاولى التي استقبلته . ولكن لدينا من المعلومات ما يثبت ان السنغال هي اول مستعمرة وطأتها اقدام مهاجرينا في المستعمرات الفرنسية ، وسيراليون في المستعمرات الانكليزية . واذا قابلنا بين ظروف الاثنتين ،

وجدنا ان السنغال يجب ان تكون الاولى ، لانها عتبة افريقيه .

وقد قام المؤلف الفرنسي المسيو « دوبورد » ببحث دقيق عن تاريخ الهجرة الى السنغال ، خرج منه انه في اوائل سنة ١٨٩٢ وصل الى شواطىء افريقيه الغربية اربعة او خمسة مهاجرين لبنانيين ، تتراوح اعمارهم بين ٢٠ و٢٢ سنة ، وتوزعوا بين سان لويس وكوناكري . وكانوا يرتدون الملابس الشرقية (الشروال وتوابعه) يعرضون الخرز وغيره من البضائع الزجاجية الحقيرة في الساحات العامة .

وكانت الحركة التجارية قوية يومئذ في هاتين البلدتين بسبب تردد زنوج الداخلية عليها فصادفت بضاعة المهاجرن الجدد اقبالا حسناً . وقد استطاع احدهم الحصول على مساعدة من احدى الشركات التجارية الاجنبية ، فساعد بدوره رفاقه وتحسنت حالتهم جميعاً .

وبعد قليل وصلت الاخبار الى مرسيليا بنجاح هؤلاء المغامرين الابطال . وصلت وفيها كثير من المبالغة ، فقد قال لي احد مهاجرينا المتقدمين في السن ان الاشاعات التي انتشرت يومئذ كانت تزعم ان الذهب يتدفق كالمطر على المهاجرين الاول . وكان لهذه الاخبار تأثيرها السريع ، فعدل كثيرون عن متابعة السفر الى اميركا ، واتجهوا صوب افريقيه الغربية على بواخر الشحن .

وقد بلغ عدد مهاجرينا في كل المستعمرات في سنة ١٩٠٠ اربعماية مهاجر تقريباً ، منهم ٢٧٦ مهاجراً في السنغال والغينه الفرنسية والسودان الفرنسي . ثم اخذ عددهم يتزايد رويداً حتى اصبح اليوم يتجاوز العشرة آلاف رجالا ونساء واطفالا . وكانوا يتوزعون في آخر سنة ١٩٣٨ على الشكل التقديرى التالي :

المستعمرات الفرنسية :	دكار	١٦٠٠	شاطىء العاج	٧٠٠
	السنغال	٢٨٠٠	الداهومي	٤٠
	السودان	٤٠٠	النيجر	١٠
	الغينه	١٦٠٠	الموريتانيا	٢٠
المجموع :				٧١٧٠

المستعمرات الانكليزية : غامبيا	٣٥٠	
سيراليون	١٠٠٠	
شاطىء الذهب	١٠٠٠	
نيجيريا	٧٠٠	
المجموع :		٣٠٥٠
في المناطق الاخرى : الغينه البرتغالية :	٤٠٠	
ليبيريا	١٠٠	
التوغو	٨٠	
المجموع :		٥/٠
المجموع العام :		١٠٨٠٠

والارقام المذكورة تقديرية ، اي انها قد تكون اكثر من الواقع ببضعة اشخاص او اقل . وقد حصلت من الدوائر الرسمية على بعض ارقام مضبوطة تماما ، يراها القارىء مذكورة في حديثي عن الجالية في كل مستعمرة في الفصول التالية . ولكنني الفت الانظار سلفاً الى ان هذه الارقام تحتمل الاخذ والرد ، لان الدوائر الرسمية في المستعمرات لا تحصى عدد السكان الا مرة كل خمس سنوات ، فلا يمكنها معرفة عدد مهاجرينا الصحيح الا في سنة الاحصاء . اما خلال المدة الواقعة بين الاحصاءين فانها تعتمد على ارقام الداخلين والخارجين الى المرافىء الرئيسيه ، دون ان تحصر تمام الحصر عدد المواليد والوفيات . وهذا لا يعطي النتيجة الدقيقة المرغوبة اذ ليس كل داخل الى المرافىء مهاجراً ، وليس كل خارج منه عائداً . وعلى كل حال ، استطيع التأكيد ان الارقام المنشورة في هذا الكتاب هي اقرب الممكن الى الحقيقة ، ولا نزيد عنها او تنقصها الا بالقليل الضئيل .

وينتمي معظم مهاجرينا الى المناطق التالية مرتبة حسب كثرتهم : اولا المتن ، ثم صور ، بيروت ، البقاع ، جزين ، صيدا ، الشوف ، كسروان ، البترون ، طرابلس ، مرجعيون ونواحيها ، عكار . ومهاجرو بيت شباب هم الاكثر عدداً في كل افريقيه

الغربية ، اذ يقاربون الالف . ويأتي بعدهم صور ٨٠٠ ، بيروت ٦٠٠ ، قب الياس ٤٠٠ ، طرابلس ٤٠٠ ، جويا ٣٥٠ ، بينو عكار ٣٠٠ ، حمص وحماه ٢٥٠ ، دمشق ٢٥٠ ، كفر حونه ٢٠٠ ، بكفيا ٢٠٠ ، الزرارية ٢٠٠ . ويتراوح عدد السوريين في كل افريقيه الغربية بين ٧٠٠ و ٨٠٠ معظمهم من حمص وحماه ودمشق وحلب .
وسأحدث القارىء في الفصول التالية عن حالة الجالية اللبنانية السورية في كل مستعمرة .



الفصل الواحد والعشرون

الجالية اللبنانية السورية في السنغال

عدد البيض في السنغال ١٤ الفاً ، منهم سبعة آلاف في دكار وحدها، وبين البيض ٤٥٠٠ لبناني سوري ، منهم ١٦٠٠ في العاصمة دكار والباقون موزعون في «البرور». وتأتي بعدهم الجالية البرتغالية ، وعددها ٣٥٠٠ نفس. معظمهم جاؤوا من جزر الرأس الاخضر (كابوفاردي) المجاورة للسنغال ، وهم ليسوا من البيض تماما لان اكثرهم سمر او «ميلاطيون» او سود تقريباً ، واكثرهم يشتغلون في الاستخدام، ولاسيما نساؤهم .

اما بقية الاجانب، ما عدا الموظفين المدنيين والعسكريين ، فان عددهم في السنغال كله ٣٣٥١ نفساً حسب احصاء ١٩٣٦ ، منهم ١٢٦٩ في دكار . وفي السنغال عدد وافر من ابناء العرب غير اللبنانيين والسوريين ، كالمغاربة .

والجالية اللبنانية السورية في السنغال هي اكبر جالية في كل المستعمرات الافريقية، كما ان جاليتنا في دكار هي اكبر جالية مجتمعة في مدينة افريقية . ويتوزع مهاجرونا في بقية المدن والقرى على النسبة التقديرية التالية : كولخ ٢٠٠ ، زينكيشور ١٥٠ ، دوربل ١٠٠ ، لوغا وتوابعها ١٠٠ ، تياس ١٠٠ ، مبكي ١٠٠ ، ندولو ٥٠ ، خمبل ٣٠-٤٠ ، بامبي مثلها الخ . واكثرهم ينتمون الى القرى التالية في الوطن : قب الياس قانا ، الزرارية ، صور الخ.

<u>تاريخ الهجرة الى السنغال</u> — قلت في الفصل السابق ان السنغال هي اول بقعة وطأها مهاجرونا في افريقيه الغربية ، وذلك في المدة الواقعة بين ١٨٨٠—١٨٨٥

ولا يذكر احد اسماء مهاجري الفوج الاول ، ولم تذكر السجلات الرسمية شيئاً عن مهاجرينا الا في سنة ١٨٩٢ اذ تشير الى قدوم اربعة او خمسة منهم ، وتوزعهم بين سان لويس و كوناكري .

وفي سنة ١٨٩٧ بلغ عدد مهاجرينا عشرة ، بينهم واحد جاء من الارجنتين في سنة ١٨٩٦ ، ثم سافر الى كوناكري واستقر فيها . وقد ضاع مهاجرونا في البدء بين المهاجرين المغاربة واليونانيين والايطاليين والمالطيين ، ولكن تكاثر عددهم لم يلبث حتى لفت اليهم الانظار ، فعرفهم العبيد بانهم «سيريان» . وكانوا يشتغلون في البدء ببيع «الكشة» ، واول محل لبناني تأسس في كل السنغال هو محل السيد نجيب ابو عكر في سان لويس في سنة ١٨٩٧ .

وفي سنة ١٩٠٠ بلغ عدد مهاجرينا ٩٩ نفساً ، فضلا عن مئتي مهاجر مروا بالسنغال وتوزعوا بين السودان والغينه . ويمكن القاريء ان يتبين تطور الهجرة من الجدول المنشور على الصفحة المقابلة . واكبر «دفعة» من المهاجرين وفدت على السنغال في سنة ١٩٣٦-٣٧ فدخل ٨٨٦ مهاجراً جديداً توزعوا بين دكار وقرى الداخلية . ولكنه رجع منهم ما يقارب الثلاثمائة ، وانتقل بعضهم الى المستعمرات الاخرى .

اشغال مهاجرينا — يشتغل ٩٥ بالمئة من مهاجرينا في التجارة والمحصول . وبينهم افراد قلائل يمارسون مهناً مختلفة تتطلبها كثرة عدد مهاجرينا . ولا يزيد عدد المشتغلين بالزراعة عن العشرة .

وفي دكار ٢٥ تاجراً تقريباً يستوردون البضائع بالجملة من الخارج ، ويزودون تجار المفرق بها ، ولكن الشركات هي التي تقدم القسم الاوفر من البضائع . ويشتغل ٨٠ بالمئة من تجار الداخلية بالمحصول : يشترون الفستق والدخن من العبيد ويبيعونهم البضائع .

ويملك مهاجرونا ٧٥ بالمئة من المحلات التجارية في دكار . و٩٥ بالمئة من محلات الداخلية . وهناك مدن يكاد يكون كل تجارها من ابناء العرب ، مثل كرلخ ودوربل وندولو الخ . وفي الوقت نفسه يملكون ١٠ بالمئة من مباني دكار بالنسبة للمدينة كلها

تطور الهجرة في دكار والسنغال منذ سنة ١٩٠٠ حتى اليوم :

	دكار				السنغال			
	المجموع	رجال	نساء	اطفال	المجموع	رجال	نساء	اطفال
١٩٠٠					٩٩	٧٣	١٨	٨
١٩٠٤					١٠١(مع دكار)			
١٩٠٨	١٠٩	٥٩	٣٣	١٧	١٧٢			
١٩٠٩	١٧٣	١٣١	٢٧	١٥	٢١١			
١٩١٠	١٥٩	١٢٧	٢١	١١				
١٩١٣	٦٦٨	٣١٧	٢٠١	١٥	٣٤٨			
١٩١٤	٥٤٠	٢٢٥	١٨٥	١٣٠				
١٩١٨	٧٥٧	٤٢٣	٢٣٧	٩٧				
١٩٢١	٦٦٧	٣٦٧	١٩٨	١٠٢	٦٥٠	٣٧٨	٥٩	١٢٣
١٩٢٢	٦٤٦	٣٥٤	١٩٢	١٠٠	١٠٣٥	٦١٧	٢١٩	١٩٩
١٩٢٣	٥٧٨	٣١٢	١٧١	٩٥	٦٥١	٣٦٠	١٢٠	١٧١
١٩٢٤	٥٨٧				١٥٨٥	٧٦٦	٣٩٦	٤٢٣
١٩٢٦	٧٠٩	٣٠١	١٩٢	٢١٦	١٢٥٣			
١٩٢٨					٢٥٧٥	١٦٧٠	٦٤٠	٢٦٥
١٩٢٩					٢٠٨٨	١٢١٠	٥٢٣	٣٥٥
١٩٣٠	١٣٨٩	٧٨٥	٣٨٤	٢٢٠	١٥٩٩	٧٧٠	٥٠٥	٣٢٣
١٩٣١	١١٣٠	٦٨٣	٢٤٦	٢٠١	٢٠٠٢			
١٩٣٢	١٤٠٠				١٩٣٨	١١٧٣	٤٣٥	٣٠
١٩٣٣	١٨٣٦	٨٩٢	٣٩٥	٥٤٩	٢٠٦٤			
١٩٣٥	١٢٧٢	٥١٦	٢٤٦	٥١٠	٢٧١٤	١٤٨٤	٢٥٧	٥٧٣
١٩٣٦	١٢٦٩	٥١٦	٢٤٦	٥٠٧	٢٥٦٠	١٣٢٣	٥٨٥	٦٥٢
١٩٣٨	١٦٠٠				٢٨٠٠			

و ٣٠ ـ ٤٠ بالمئة بالنسبة لاملاك البيض . ولهم ٥٠ بالمئة من كل مباني الداخلية .

ويحتكر مهاجرونا تجارة الكولا ، ويستوردون اكثر حاجاتهم من شاطيء العاج ، وعند الامكان من سيراليون وغامبيا .

ولم يتجه مهاجرونا نحو الزراعة لان ارض السنغال رملية حارة ، تحتاج الى مياه غزيرة ليست متوفرة ، وتتطلب عناية متواصلة تكلف غالياً . ومع ذلك فقد غرس بعضهم بساتين قليلة ، ففي «بوت» القريبة من دكار بستانان ، وفي «سابو كوتان» اربعة وفي سان لويس ثلاثة ، ومعظم اشجارها هي البرتقال وما اشبه من الاثمار . وفي ضاحية دكار غرس احد مهاجرينا مزرعة من الورود .

وفي دكار عدة مطاعم وفنادق خاصة بمهاجرينا . وفيها ايضاً ثلاثة معامل للسكاكر والحلويات وآخر لصنع الحقائب . وفي كولخ مصنع للدباغة . وفي دكار اربعة اطباء لبنانيين للصحة ، واثنان للاسنان .

ثروة مهاجرينا ـــ وجدت صعوبة شديدة في الحصول على ارقام نسبية عن ثروات مهاجرينا ، فقد كان الجميع يجيبونني : « هنا تستحيل معرفة الثروات ، لان المال المتداول بين الايدي كثير والديون اكثر ، وقد يظهر غني بمظهر فقير ، وفقير بمظهر غني دون ان يتمكن احد من التمييز بينهما . »

وقد استخرجت من الارقام المتباينة التي حصلت عليها معدلا يدل على ان اكبر ثروة فردية تتراوح بين ٥ و ٧ ملايين فرنك ، وصاحبها مقيم في بلدة زينكيشور في مقاطعة الكازامانس . وهناك مئتا شخص يملكون ثروات تتراوح بين مليونين ونصف مليون فرنك ، بينهم كثير من الشباب . ويبدأ المهاجر هنا بتكوين ثروته عندما يتجاوز رأس ماله المئة الف فرنك .

حالة مهاجرينا الاجتماعية ـــ عندما يتجول الانسان في شوارع دكار ، تدهشه كثرة عدد مهاجرينا . فهم منتشرون في كل مكان بلا استثناء ، بل هناك شوارع تكاد تكون خاصة بهم مثل شوارع تياس وماجينو ووليم بونتي وغامبتا وساندا كا وجوري غيباري الخ .

وليس بالاستطاعة الحكم على مهاجرينا كمجموع ، لان كثرة عددهم قضت بوجود طبقات اجتماعية متعددة ، فترى المتعلمين والعصاميين والبلديين والقرويين ، فيهم ما في كل محيط كبير من حسنات وعيوب . ولكن بينهم فئة صغيرة لا تزال متأثرة بالمحيط الاجتماعي القروي الذي كانت تعيش فيه قديماً ، ولا تزال تعيش الان على اساسه وهذه الفئة تسوّد الى حد ما صحيفة مهاجرينا الاجتماعية بسبب معيشتها ومظهرها . وقد سمعت بعض مهاجرينا يشكون شكوى مرة من هذه الفئة ، ولكنني لم ار اية محاولة عملية لاصلاح ما يجب اصلاحه ، مع انه يمكن عمل شيء مثمر في هذا السبيل .

وحالة المرأة اللبنانية السورية في دكار ليست على ما يرام . ولا تزال النساء اللواتي كن متحجبات في الوطن ، متحجبات هنا ، بل ان القرويات اللواتي كن يسفرن هناك اصبحن يتحجبن هنا ، فترى اعين الاجانب والعبيد ترافق الحجاب بنظرات الدهشة والفضول ، واحياناً باكثر من ذلك .

ولا ادري ما هي الاسباب التي ادت الى التضييق في قضية الحجاب هنا ، بينما عالجها مهاجرونا في سيراليون وشاطيء الذهب ونيجيريا بكثير من الحكمة والتوافق مع حاجات المحيط . واعتقد انه بالامكان حل هذه العقدة بشيء من التساهل ، لان الشريعة الاسلامية السمحاء لا تحرم السفور عن الوجه ضمن حدود الكمال واللياقة ، وهذا كل ما يتطلبه المحيط من سيداتنا في دكار وغير دكار !

في الداخلية ـــ يعيش مهاجرونا في داخلية السنغال عيشة اجتماعية صعبة جداً ، يزيد في صعوبتها قلة اسباب الرفاهية والغلاء وسوء احوال المحيط وشدة الحرارة . في بلادنا عندما تبلغ درجة الحرارة الاربعين يقولون ان العليل قارب الفراق . ولقد شاهدت في صحارى السنغال بعض مهاجرينا يعيشون ويعملون في اكواخ صغيرة من التوتيا ، في حرارة تتجاوز الاربعين بين اشعة الشمس ولهيب الرمال ، ومع هذا يتحملون كل ذلك بصبر ، متناسين انفسهم ورفاهيتهم تناسياً قد يعجز عنه متقشفو الهند !

الجمعيات — يؤسفني القول ان التضامن الوطني مفقود في السنغال . ففي دكار تبدو منذ النظرة الاولى سلسلة من الحزبيات المختلفة تمزق صفوف الجالية الى اجزاء متناحرة . ومن يتعمق في درس الوضعية يجد ان الحزازات الشخصية هي المسؤولة عن تشتيت الجالية وتفريق كلمتها مع ان محيطا مثل محيط دكار يقضي عليها بالتكاتف التام.

في ٦ آذار ١٩٢٦ اصدر حاكم دكار قراراً يجيز فيه تأسيس اول جمعية لمهاجرينا باسم « الجمعية اللبنانية السورية » وغايتها « المدافعة عن مصالح اللبنانيين السوريين ومساعدة المحتاجين منهم والاشتراك في الاعمال الخيرية في السنغال وبذل كل الجهود لتوطيد الروابط الودية التي تربط لبنان وسوريا بفرنسا » .

وقد سارت الجمعية في ايامها الاولى سيراً مرضياً . ثم ذر قرن الخلاف ، فقام معارضون يتهمون الجمعية بالخضوع للسلطة في كل شيء ، والمحاباة في توزيع المساعدات واستثمار مراكز الجمعية للمصالح الشخصية . ثم دخلت الطائفية الميدان فزادت في اسباب الشقاق .

واخيراً اشتد التنافر الشخصي بين اعضاء الجمعية ، فاصابها الشلل وتلاشت عملياً . وعندئذ اتفق اعضاؤها على ان لا يتفقوا ، واتخذت اكثريتهم قراراً بحل الجمعية . وفي ٣١ آذار ١٩٣٢ اصدر الحاكم قرار الحل .

وحاول بعض ابناء الجالية الخروج من ميدان الاصطدام القائم بين الجانبين المتنافسين فلم يفلحوا ، وتوزعوا بين هذه الجهة وتلك . ثم اخذت كل جهة تسعى لانشاء جمعية خاصة بها . وفي ٢٠ ايار ١٩٣٢ صدر قرار يجيز انشاء « الجمعية اللبنانية » و « جمعية التضامن اللبناني » ، اي لكل حزب جمعيته .

جمعيتان ، كل منها هدفها الرسمي مصلحة الجالية . ولكن مصالح اخرى مزقت الجالية الى معسكرين ، فضاعت الفائدة بين هذه وتلك . وهكذا لم تمر برهة قصيرة حتى تحولت مصلحة الجالية الى منافسة شخصية ، فضعفت الجمعيتان . ولولا ان الحكومة منحتها حق الكفالة والوساطة بين المهاجر والسلطة لقضي عليها .

اقول هذا بأسف وألم ، لانني كنت اود ان ارى جاليتنا في دكار صفاً واحداً في

وجه ما يعترضها من المصاعب ، ومثالا أعلى لجالياتنا الافريقيه . ومما يزيد في الاسف ان هذه الحالة ادت الى فتح ميدان الوشاية ، فقام بعض اشخاص يتقربون الى السلطات بالوشاية على زيد او على عمرو ، اما لمصالح شخصية او مادية او سياسية او لارضاء شهوة في النفس . وقد ذهب كثير من الابرياء ضحية هذه الوشايات .

وقد نال في تشرين الاول الماضي فريق ثالث من مهاجرينا اجازة بتأسيس جمعية جديدة باسم «جمعية التعاضد الخيري» . ويقول المؤسسون انهم يريدون تسخير جمعيتهم لخدمة المصلحة العامة فقط ، وصرف النظر عن الحزبيات من اي نوع كانت .

ولا بد من الملاحظة بهذه المناسبة بان جاليتنا بحاجة ماسة الى ناد كبير .

الجمعيات في الداخلية — في كولخ جمعيتان ، كل منهما تنتمي الى احدى جمعيتي دكار ، فالجالية هنا هي ايضاً مسرح آخر للخلاف الناشب في دكار . وفي سان لويس « الجمعية اللبنانية » وفي تياس جمعيتان « الجمعية السورية » و « الجمعية اللبنانية » ، ولا اعتقد ان شقاقها بهذا الشكل يفيد الجالية اويرفع مركزها في عيون الغرباء .

الصحف والمكاتب — يتلقى مهاجرونا الصحف من الوطن بكثرة . وكل الصحف تمر على قلم المراقبة قبل خروجها للبيع . وقد انشيء قلم المراقبة في عهد الثورة السورية ، ولا يزال قائماً حتى الان رغم زوال السبب .

وفي ٣١ كانون الاول سنة ١٩٣٠ اجازت الحكومة لاحد مهاجرينا انشاء جريدة عربية اسبوعية باسم « افريقيه التجارية » ، فاستقدم مطبعة عربية خاصة وباشر عمله ، فلاقت الجريدة في البدء رواجا نسبيا لا بأس به . ولكن خطتها لم تلبث حتى اثارت انتقاد بعض ابناء الجالية ، فتضاءل رواجها وتوقفت مراراً عن الصدور . واخيراً باعها صاحبها من صحفي آخر ، فلم يلبث هذا حتى عدل عن اصدارها في تشرين الاول سنة ١٩٣٥ ، تلافياً للدسائس والمشاكل .

ولمهاجرينا في دكار ثلاث مكتبات لبيع الكتب والصحف العربية ، ومكتبة لبيع الصحف والكتب الفرنسية ، ومطبعة عربية واحدة .

الفصل الثاني والعشرون

الجالية اللبنانية السورية في السودان الفرنسي والموريتانيا

في السودان الفرنسي ٢٧٠٠ ابيض ، جلهم من الموظفين الملكيين والعسكريين الفرنسيين، وبينهم حسب تقديرات ١٩٣٧ : ٣٥٠ لبنانياً سورياً تقريباً. وهذا الرقم قد يحتمل الزيادة ، لان حدود السودان مفتوحة لجميع المستعمرات الفرنسية الاخرى ، بحيث يتوافد كثير من مهاجرينا على السودان من السنغال والغينيه وشاطىء العاج ولا يحصون . ويقيم القسم الاكبر من مهاجرينا في العاصمة باماكو ، والباقون موزعون في ساكو وموبتي وكايس الخ .

تاريخ الهجرة الى السودان — منذ دخل مهاجرونا السنغال في اواخر القرن الماضي ، وهم يبحثون عن آفاق جديدة تتسع لمطامحهم . وقد اندفع قسم منهم شرقا الى حيث تتكون قوافل المحصولات ، واستقروا في الصحارى البعيدة . ثم صعد بعضهم في نهر السنغال حتى كايس ، وهناك بدأوا يتاجرون بين كايس واوسط النيجر . وتؤكد المصادر الرسمية الموثوقة ان تاريخ هذه الهجرة يعود الى سنة ١٨٩٧ .

وما كاد يستقر مهاجرونا حتى شعر التجار الاجانب والتجار الزنوج (الديولا) بتفوقهم في ميدان التجارة ، فاثاروا عليهم عاصفة من الاحتجاج . وفي ١٦ تموز سنة ١٩٠٠ اصدر الحاكم العام مرسوما جاء فيه : « ابتداء من اول آب ١٩٠٠ يدفع التجار المتجولون السوريون الذين يذهبون للمتاجرة بين اراضي السنغال الاعلى والنيجر

الاوسط وفي المناطق العسكرية ضريبة فردية خاصة ، قيمتها ٣٠ فرنكا في الشهر » .

وكان اكثر مهاجرينا في ذلك العهد يقضون ايام المواسم في السودان، ثم يعودون الى السنغال ، ولم يكن عدد المهاجرين المقيمين اقامة دائمة يزيد عن العشرين . ولكن عددهم اخذ يزداد منذ سنة ١٩١٠ ، اي منذ بدأ الضغط على مهاجرينا في السنغال والغينيه . وقد وفد على السودان بين ١٩٠٤ – ١٢ بضع عشرات من مهاجرينا في الغينيه .

وفيما يلي جدول عن تطور عدد مهاجرينا خلال سنوات عديدة :

في سنة			
١٩٠٠	١٤ نفساً	١٩٣١	٣١٥ نفساً
٩٠٨	١٦ =	٩٣٢	٣٠٣ =
٩٠٩	١٦ =	٩٣٥	٤١٧ =
٩٢٣	١٦٥ =	٩٣٦	٣٠٥ =
٩٣٠	٤١١ =	٩٣٨	٣٥٠ =

ولا بد لي من الملاحظة مرة اخرى بان هذه الارقام مستقاة من مصادر رسمية ، ولكنها لا تستند على اسس وثيقة ، ولست اشك في ان تكون اقل من الحقيقة .

تجارة مهاجرينا واملاكهم — يتاجر مهاجرونا بالبضائع وبالمحصولات كفستق العبيد والقطن والكابوك والذهب والمواشي والجلود . وهم يملكون اكثرية المحلات التجارية في السودان ، لان التجار الاوروبيين لا يستطيعون احتمال مصاعب المعيشة فيه كمهاجرينا .

وليس باستطاعتي تقديم معلومات محدودة عن ثروات مهاجرينا هنا ، ولكن يمكن القول ان حالتهم المادية حسنة بصورة اجمالية ، وبينهم كثيرون يملكون ثروات تزيد عن المليون فرنك . وهم يملكون ايضاً معظم المباني في مدن السودان ، خاصة في العاصمة باماكو .

ويتمتع مهاجرونا في السودان بمركز ادبي حسن . وليس لهم جمعيات ، ولكن جالية موبتي اسست في منتصف هذا العام ناديا لبنانياً .

جاليتنا في الموريتانيا

الموريتانيا بلاد فقيرة جداً ، بل افقر مستعمرة في افريقيه الغربية ، وقيمة صادراتها لا تزيد عن المليون فرنك سنويا ، لذلك كان الاقبال على الهجرة اليها ضئيلا جداً ، اضف الى ذلك شدة الحرارة فيها وانعدام ضروريات المعيشة ونفور السكان من الغرباء .

ولا يزيد عدد مهاجرينا هناك الان عن الثلاثين ، موزعين بين سليبابي وبودور وداكانا ، اي في البلدان القريبة من الحدود . وهم يتاجرون بالبضائع ، ويشترون المحصولات كالفستق والصمغ والدخن والجلود وريش النعام وبيضه .

ولا يعرف اول مهاجر لبناني سورى جاء الموريتانيا ، ولكن السجلات الرسمية تذكر انه كان في الموريتانيا في سنة ١٩٠٢ لبنانيان فقط . وقد مر عهد بلغ فيه عدد مهاجرينا السبعين ، ثم هبط بسبب تحول الهجرة نحو المستعمرات الغنية الاخرى . ويقاسي مهاجرونا في الموريتانيا اشكالا والوانا من العذاب بسبب الحر ، فالحرارة ترتفع في الظل احياناً الى الستين درجة سنتيغراد .



الفصل الثالث والعشرون

الجالية اللبنانية في الغينيه البرتغالية

لم ازر اثناء رحلتي مستعمرة الغينيه البرتغالية لا ُتعرف باحوال جاليتنا فيها . ولكنني استقيت عنها بعض المعلومات من مصادر موثوقة .

عدد الاجانب في الغينيه البرتغالية ٢٧٠٠ نفس ، منهم ٢٠٠٠ برتغالي و ٣٠٠ اوروبي و ٤٠٠ لبناني سوري تقريباً . وينتمي اكثرهم الى القرى التالية : قرنايل ، بلبيل ، صور ، بكاسين ، عين بعال ، باتوليه الخ . وهم موزعون في بلدان المستعمرة على الشكل التقديرى التالي : بيساو ٥٠ ، مانصوا ٥٠ ، بوصورا ٤٠ ، فارين ومانصابا ٧٥ ، بافاتا ٧٥ ، كاشوتكو ٤٠ . وهناك مئة نفس موزعون في القرى التالية : الكابو سانا كاكو ، بابادنغا ، كونتوبو ، بتشي ، شاول الخ .

تاريخ الهجرة اليها — لا يعرف بالضبط متى بدأت الهجرة اللبنانية السورية الى هذه المستعمرة . والمرجح انها بدأت في سنة ١٩٠٠ ، وان المهاجرين الاول جاؤوا اليها من الغينيه الفرنسية المجاورة او من مقاطعة الكازامانس . ولا يعرف من هو المهاجر الاول ، وان كان اقدم مهاجر معروف هو السيد سليم بشير نويهض ، فقد جاء اليها في سنة ١٩٠٣ وتوفي منذ مدة في الدار البيضاء في مراكش .

ولم يكثر عدد مهاجرينا في هذه المستعمرة بسبب قلة الارباح فيها بالنسبة للمستعمرات الاخرى . واكثر الموجودين فيها حالياً تدفقوا عليها خلال السنوات العشر الاخيرة . واصاب المستعمرة خمسون مهاجراً جديداً من موجة ١٩٣٦ - ٣٧ . ومما يجدر ذكره

او كثيرين من المحظور عليهم دخول المستعمرات الفرنسية او المنفيين منها ، يلجأون الى الغينه البرتغالية .

اشغال مهاجرينا — يشتغل جميع مهاجرينا بالتجارة : بيع البضائع ومشترى المحصولات . وميدان تجارتهم ضيق لان « البنك الوطني البرتغالي فيما وراء البحار يحتكر حق تصدير المحاصيل وتصريف الدخان والبترول ، كما ان عبيد الكافاوردان ينافسون مهاجرينا في تجارة المفرق .

وهم يملكون بناية او اثنتين في بيساوا ، ولكنهم يملكون ٧٠ بالمئة من مباني الداخلية . والحكومة تمنح وثيقة الملكية الدائمة لمن يبني بناء حجريا ، ولا تمنح الوثيقة لمباني اللبن .

ثروات مهاجرينا — تقدر ثروة اغنى مهاجري الغينه البرتغالية باربعة ملايين فرنك ويأتي بعدها ثروة تقدر بمليوني فرنك وهناك ثلاثة او اربعة يملكون المليون . ويمكن تقدير ثروة جاليتنا كلها بمبلغ يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ مليون فرنك ، اي بمعدل خمسين الفاً لكل واحد على وجه التقريب .

الحالة الاجتماعية — حالة الجالية الاجتماعية لا تدعو الى الارتياح ، والاتفاق القلبي مفقود بين افرادها . وليس للجالية اي جمعية او رابطة في الوقت الحاضر ، ولكن تألفت في سنة ١٩١٦ جمعية بمساعي الاستاذ علي ناصر الدين ، ثم تلاشت .

الفصل الرابع والعشرون

الجالية اللبنانية السوريه في الغينه الفرنسيه

عدد الاجانب في الغينه ١٧١٧ نفساً ، ما عدا الفرنسيين . وتأتي في المقدمة الجالية اللبنانية – السورية ، ثم يتوزع الباقون كما يلي: ٣٣ يونانياً ، ١٦ اسبانياً ، ١٤ سويسريا ٨ بولونيين ، ٤ برتغاليين ، تركيان ، ايطاليان الخ . ويشتغل معظم الاجانب في التجارة .

جاليتنا — جاء في احصاء رسمي لسنة ١٩٣٦ ان عدد الجالية اللبنانية – السورية يبلغ ١٣٦٧ نفساً ، بينهم ٥٩٣ رجلا و ٣٠٤ نساء و ٤٧٠ طفلا . وقد سعيت للحصول على عدد المجموع في الوقت الحاضر ، فلم اتوفق لعدم وجود احصاءات جاهزة الا عن عدد الرجال فقط . وهو كما يلي :

١٩٣٦	٥٩٣ رجلا .
١٩٣٧	٦٥٦ «
١٩٣٨	٧٧٩ «

اي ان عدد الرجال ازداد مئتي شخص تقريباً ، اكثرهم من المهاجرين الجدد والباقون من الاولاد الذين بلغوا سن الشباب . وعلى هذا الاساس يمكنني تقدير عدد مهاجرينا كلهم الان بـ ١٦٠٠ نفس . واكثرهم ينتمون الى القرى التالية في الوطن : بيت شباب ، جويا ، صور ، قانا ، عين بعال الخ .

وهم يتوزعون في بلدان الغينه على النسبة التقديرية التالية : كوناكري ٢٠٠ ،

كنديا ١٢٠ ، كانكان ١٢٠ ، سيكري ١٥٠ ، بوكيه وبنتيموديا ١٠٠ ، لابيه ١٠٠ كويا ٥٠ ، المامو ٥٠ ، دابولا ١٥ ، فارموورياه ١٥ ، فوركاريه ١٠ ، واسو و كوبيا ١٢ ، موسايا ١٠ ، بوفا ٥ الخ .

تاريخ الهجرة الى الغينه — ليس في المستعمرة كلها من يذكر اسم اول مهاجر قدم الى الغينه ، فالهجرة اليها قديمة العهد يصعب حصر اخبارها في الذاكرة . وقد روى لي بعض الاخوان روايات متعددة عن كيفية ابتداء الهجرة اليها ، منها رواية ذكرها الاستاذ عبدالله حشيمه في كتابه «في بلاد الزنوج» ، قال في الصفحة ١٨٧ :

« وتاريخ هجرتهم — اي اللبنانيين — الى هذه البلاد اقدم من تاريخ هجرة اخوانهم في السنغال والسودان ، اذ يرجع الى سنة ١٨٩٣ . ففي هذه السنة — على قول قدماء المهاجرين — كان رجل من بيت شباب يدعى يعقوب البيطار ، قادماً على مركب شراعي من سيراليون الى غامبيا الانكليزية بقصد التجارة ، فهبت على المركب زوبعة هوجاء وقذفت به الى البر فاذا هو في كوناكري ، واذا هناك زنوج ، فاغتنم يعقوب فرصة وجوده بينهم فباعهم بضائعه وربح بها ارباحا طائلة ما كان يحلم بها . »

هذه الرواية تضع سنة ١٨٩٣ تاريخاً لقدوم اول مهاجرينا . ولكن هناك مصدراً سمياً يؤكد ان اول مهاجر جاء في سنة ١٨٩٢ . فقد نشرت الجريدة الرسمية في الغينه في سنة ١٩١٠ اسماء الناخبين الذين يحق لهم الاشتراك في انتخاب اعضاء غرفة التجارة لسنة ١٩١١ ، وذكرت بين الاجانب منهم اسم مهاجر لبناني عمره ٤٠ سنة ، مقيم في المامو ، دخل البلاد سنة ١٨٩٢ ، وكان يدفع ضريبة سنوية للحكومة قدرها ٢٠٠ رنك . وليس بالامكان الوصول الى معلومات اثبت من هذه لانعدام السجلات في ذلك العهد .

تطور الهجرة في الغينه — لا استطيع ان امر مراً عرضياً على تطور الهجرة الى الغينه ، لان هذه المستعمرة ظلت اكثر من ربع قرن محط انظار مهاجرينا والمركز الرئيسي لهم في كل افريقيه الغربية الفرنسية . وفيها ارتفع اول صوت ضدهم .

جاء اللبنانيون السوريون في البدء يبيعون بالكشة بضائعهم الحقيرة : الخرز ، المراوح

الاساور ، الروائح وامثالها من البضائع التي تلاقي حظوة في عيون العبيد . وقد لقبهم العبيد في البدء باسم «كورال» اي باعة الخرز ، او «سلتغه» اي باعة السلع

كان عدد مهاجرينا اثنان في سنة ١٨٩٢ ، فاصبح ١٨ في سنة ١٨٩٧ ، واكثرهم في كوناكري . وكانوا يشترون بضائعهم اما من الشركات او من تاجر لبناني مقيم في باريس ، كان يأتي اليهم حاملا البضائع ثم يأخذ منهم اموالهم ليرسلها الى ذويهم في الوطن بواسطة صراف سوري في باريس .

وتحسنت احوالهم التجارية رويداً رويداً ، فوجهوا اهتمامهم من بيع السلع والخرز الى مشترى الكاوتشوك من العبيد ، وكانوا يشترونه من القوافل قبل دخولها المدينة ويبيعونه بربح خمسة او عشرة سنتيمات في الكيلوغرام الواحد ، منافسين بذلك التجار الاجانب منافسة عظيمة .

وفي ٢٩ كانون الاول ١٨٩٨ ارتفع اول صوت ضد مهاجرينا في كل افريقيه الغربية ، اذ قدم التجار الفرنسيون في كوناكري عريضة الى الحاكم يطلبون فيها اتخاذ تدابير صارمة بحق مهاجرينا لمنعهم من المتاجرة بالكاوتشوك في الطرق والساحات وارغامهم على استئجار الحوانيت ودفع الضرائب كالتجار الاجانب . ويرى القاريء نص العريضة في الفصل الخامس والثلاثين من هذا الكتاب .

ولم تلب الحكومة مطالب التجار ، فعمدوا الى مضاربة مهاجرينا بانشاء فروع لبيع «الكشة» في الاسواق والساحات العامة . ولكن الاسبقية ظلت لنا . وفي سنة ١٩٠٤ تم انشاء سكة الحديد بين كوناكري والنيجر ، وتقرر انشاء مركز اداري تجاري في كنديا ، فكان مهاجرونا اول الوافدين اليه ، يسابقون الشركات في التجارة والبيع .

وفي ٢ شباط ١٩٠٤ طلبت غرفة الزراعة والصناعة في كوناكري منع مهاجرينا من المتاجرة في الداخلية فلم تستمع الحكومة لها . وعلى الاثر الف التجار الاجانب في كوناكري وبوكيه ودوبريكا و كويا « عصبة » هدفها منع شركات البواخر من حمل اي مهاجر لبناني سوري جديد ، ومنع المتاجرة مع مهاجرينا وعدم تأجيرهم المنازل

والحوانيت ، والضغط على الملاكين ليطردوا مهاجرينا من الحوانيت المستأجرة •

ودفع كل من اولئك التجار مبلغاً يتراوح بين الالف والعشرة آلاف فرنك ، ليكون ضمانة تمنع من مخالفة الاتفاقية • وقد نفذوا جميعاً الاتفاقية في البدء وضايقوا مهاجرينا ، ولكنه لم تمر عليهم اربعة اشهر حتى انفرط عقد العصبة وفشلت ، فكان ذلك اول دليل حاسم على ان العنصر اللبناني السوري اصبح ضروريا للتجارة في البلاد•

وفي سنة ١٩٠٥ ، وصلت دفعة جديدة من مهاجرينا ، فتجدد الهياج ضدهم • وعندئذ ارادت السلطة ارضاء التجار الفرنسيين ، فاخذت تطلب الى مهاجرينا تقديم وثائق تثبت هويتهم ، فعجز عشرة منهم عن تقديمها ، وفي الحال صدر قرار بنفيهم من البلاد • واعتقد انهم اول من نفي من افريقيه الغربية•

وظلت الحملة على مهاجرينا متواصلة حتى تأثرت بها حكومة الغينه ، فطلبت في سنة ١٩٠٩ الى الحكومه العامة في دكار ان تفرض ضريبة سنوية على اللبنانيين السوريين وحدهم • وقد لبت الحكومة الطلب ووضعت مشروع قانون بذلك ، واحالته الى وزارة المستعمرات في باريس ، فاضطرب مهاجرونا وبعثوا يستنجدون بالحكومه العثمانية • وكان سليمان بك البستاني نائب بيروت في ذلك العهد ونائب رئيس مجلس المبعوثان ، فاحتج الى سفارة فرنسا في الاستانة على القانون الجديد • وعلى الاثر رفضته وزارة المستعمرات تحت ضغط وزارة الخارجية ، باعتبار ان المعاهدات المعقودة بين فرنسا وتركيا تقضي بان يتمتع الرعايا العثمانيون في الاراضى والممتلكات الفرنسية بمعاملة الامة الاكثر حظوة •

ووضعت الحكومه بعد ذلك قيوداً غير مباشرة على الهجرة اللبنانيه السورية يرد ذكرها في الفصل الثلاثين ، ولكنها لم تضع حداً لها ، وظل ابناؤنا يتوافدون باستمرار وفيما يلي جدول عن تطور عددهم خلال اربعين سنة :

سنة	١٨٩٧	١٨	نفساً
	٨٩٨	١٥٠	=
	٩٠٠	١٦٣	=

٩٠٤	٢٦٠	=
٩٠٧	٤٧٧	= (منهم ٤٢ امرأة و ١١ ولداً)
٩٠٨	٥٥٤	= من ٦٥٨ اجنبياً
٩٠٩	٦٩٧	= من ٨١٥ اجنبياً
٩٢٣	٦٨٤	=
٩٢٩	٩٢٥	= من ١٠٨٢ (منهم ٢٣٢ امرأة و ٢١١ ولداً)
٩٣٠	٩٠٩	= ١٠٣٦ اجنبياً
٩٣١	١٠١١	= ١١٤٣ اجنبياً (منهم ٢٢٩ امرأة و ٢٧٠ ولداً)
٩٣٢	١٧١٤	= ٢٠٤٠ اجنبياً
٩٣٦	١٣٦٧	= ١٥١٧ اجنبياً (منهم ٣٠٤ نساء و ٤٧٠ ولداً)
٩٣٨	١٦٠٠	= ١٧١٧ اجنبياً (منهم ٣٢١ امرأة و ٥٠٠ ولداً)

وقد اصاب الغينه وشاش من موجة ١٩٣٦ - ٣٧ فوفد عليها خلالها ما يقارب المئتين اشغال مهاجرينا — دل احصاء ١٩٣٨ على ان عدد الرجال في جاليتنا يبلغ ٧٧٩ نفساً ، وهذا يعني ان في الغينه ٧٧٩ لبنانياً سوريا يمارسون التجارة والزراعه • ويملك مهاجرونا ٩٠ بالمئه من الحوانيت التجارية في كوناكري والداخليه • واذا استثنينا مباني الحكومه نجد انهم يملكون ٢٥ بالمئه من مباني كوناكري و ٧٠ بالمئه من مباني الداخليه • وهنالك مدن مثل كنديا والماموتكاد تكون كل مبانيها لمهاجرينا والحكومة تعطي اجازة استملاك دائمه في المدن المخططه ، وتفرض شروطاً اخرى في الاراضي غير المخططه •

والغينه هي المستعمرة الوحيدة التي اتجه فيها مهاجرنا الى الزراعة ، فقد جذبته زراعة الموز فأقبل عليها ولم يندم • ويوجد في الغينه الان ٢٠٠ مزرعة موز تقريباً ، يمتلك مهاجرونا خمسين منها ، وتبلغ مساحة مزارعهم ٣٠ بالمئة من مساحة كل المزارع • واكبر مزرعة لبنانية موجودة في المامو فيها مئة الف غرسة موز ، وتتلوها مزرعة اخرى في كويا فيها ٧٠ الف شجرة • ومعدل بقية المزارع ٢٥ الف شجرة •

واكثرها موجود في كويا ودوبريكا وكنديا والمامو وسوكيتا .

وقد ذكرت في حديثي عن مزروعات الغينه ان الحكومة شجعت زراعة الموز كثيراً في البدء ، فكانت تمنح الطالب ما يشاء من الاراضي بشرط ان يزرع ٥ بالمئة منها على الاقل في خلال سبع سنين وان يبني فيها منزلا ويقتني المواشي . واذا تم الشروط المطلوبة منحته وثيقة استملاك تتراوح مدتها بين ١٨ و ٩٩ سنة ، اذ ان الحكومة لا تمنح وثائق استملاك ابدية . وقد عدلت الان عن منح اراض جديدة لزراعة الموز باعتبار ان المزارع الحالية اصبحت كافية . ولو تركت الحبل على غاربه لتهافت اليوم جميع مهاجرينا على غرس البساتين بعد ان رأوا نتيجتها .

وقد زرت عدة مزارع كبيرة من مزارع مهاجرينا ، فاعجبني تنظيمها الحديث والعناية الدائمة بها . وكم كنت اتمنى لو يكون في بلادنا مزارع كثيرة من هذا النوع .

وليس بين مهاجرينا من يتعاطى الصناعة ، كما انه لا يوجد من ذوي المهن الحرة سوى طبيب واحد . ويشتغل بعض مهاجرينا في سيكيري ودابولا بمشترى الذهب من العبيد وبيعه للشركات . اما حق استخراج الذهب فانه محصور بالعبيد .

ثروات مهاجرينا — بفضل مزارع الموز والمباني ازدادت ثروة مهاجرينا زيادة كبرى . وتقدر اكبر ثروة فردية الان باربعة او خمسة ملايين فرنك . وهناك خمسون شخصاً يملك كل منهم مليون فرنك ، ومئة نصف مليون .

وميدان الثروة السريعة ليس فسيحاً في الغينه خصوصاً في الوقت الحاضر . فالربح عندما يأتي يكون معتدلا ، والخسارة كذلك ، لا كما هي الحالة في السنغال وشاطىء العاج حيث تنقلب الثروات بسرعة . والشركات على كل حال هي التي تستأثر باكثر الارباح .

الحالة الاجتماعية — لا استطيع القول بان حالة جاليتنا مرضية من حيث العلاقات بين عناصر الجالية . فالامراض التي نشكو منها في الوطن تمثل دورها هنا ايضاً . ولا انكر ان العلاقات الشخصية بين الافراد حسنة ولكن يكفي ان يراقب الانسان

احوال المجموع ليرى ان كل عنصر مستقل بنفسه ، يعيش في دائرته ومحيطه . ولا اريد تحديد المسؤولية في ذلك ، بل اكتفي ببسط الحقائق كما هي .

ولا تلعب المرأة هنا دوراً ما في حياة الجالية العامة . والحجاب لا يزال سائداً كما هي الحال في السنغال تماما .

الجمعيات — تأسست في ٢٤ تموز ١٩٣٠ « الجمعية اللبنانية » فلم تمر عليها مدة وجيزة حتى دب الشلل اليها بسبب الخلاف على الرئاسة . فالرئاسة والطائفية هما عدوتا جالياتنا رقم ١ في كل مكان .

وفي سنة ١٩٣٤ تنازل رجال الجالية عن ادارة الجمعية للشباب . وبدلا من ان « تلقح » الجمعية بمصل الشباب اذا بها تزداد هرما في عهدهم . وقد مرت عليها حتى الان اشهر طويلة لم تجتمع خلالها .

وقد اسس ابناء الجالية في « كانكان » في ١٩ شباط ١٩٢٧ « النادي اللبناني » . ولا يوجد اي أثر للرياضة بين مهاجرينا في هذه المستعمرة .

وقبل ان اختم هذا البحث، لا بد لي من الاشادة بالجهود العظيمة التي يبذلها المهاجرون القاطنون في الداخلية للحصول على ما يصبون اليه . فهم يتحملون شظف العيش ومصاعب الطبيعة في الغابات، ويقاسون متاعب وآلام متعددة . وفي بعض القرى المجاورة للانهر والمستنقعات — وما اكثرها في الغينه — يضطر مهاجرونا الى الجلوس تحت « الناموسيات » ابتداء من الساعة الخامسة مساء ، وقاية من هجمات البعوض الهائلة . والناموسيات مصنوعة من نسيج سميك لان البعوض يقرض الرقيق منها وينفذ الى داخلها . واحياناً يضطرون الى تناول الطعام تحتها ايضاً !

الفصل الخامس والعشرون

الجالية اللبنانية السورية في سيراليون

عدد البيض في سيراليون قليل بالنسبة لعددهم في المستعمرات الاخرى ، لان ميدان التجارة ضيق فيها . وقد مر على سيراليون عهد قديم كانت فيه محط انظار المهاجرين البيض على اختلاف اجناسهم ، ولكن نشوء المستعمرات الجديدة الغنية الى جانبها انتزع منها اهميتها .

ويبلغ عدد الانكليز في كل سيراليون ٢٥٠ نفساً على وجه التقريب . ويأتي بعدهم في العدد : الفرنسيون ١٨٩ ، الالمان ٥٠ ، الاميركيون ٨٠ ، السويسريون ٥٠ .

جاليتنا — كان عدد الجالية اللبنانية السورية في آخر هذا العام ١١٣٣ نفساً ، ما عدا الاولاد . معظمهم ينتمي الى قرى عكار وجبل عامل . وهم يتوزعون في مناطق سيراليون على الشكل التقديري التالي : منطقة فريتون ٣٠٠ ، منطقة مويامبا ١١٨ ، بوجهون ٣٢ ، وترلو ١٥ ، بورت لوكو ١٥ ، كيلاهون ١٠٠ ، بو ٧٥ ، كنما ٦٨ ، ماكينا ٧٨ ، كيلا ٧٠ ، مابنطو ٥٣ ، ماكبوراكا ٦٠ ، كمدجو ٢٥ ، كرتو ١٢ الخ .

تاريخ الهجرة الى سيراليون — مما لا شك فيه ان الهجرة اللبنانية السورية الى هذه المستعمرة قديمة العهد ، فسيراليون هي اقدم مستعمرة انكليزية في افريقيه الغربيه ، وكانت تتمتع بحكومة منظمة وتجارة زاهره في الوقت الذي كانت فيه جاراتها الفرنسية غارقة في الاهمال والنسيان .

ويعتقد الكثيرون ان سيراليون كانت اول مستعمرة افريقيه هاجر اليها مهاجرونا . ولكن هذا الاعتقاد لا يرتكز على اساس وثيق ، لان السنغال كانت باب افريقيه الغربيه في القرن الماضي ، فمن الطبيعي ان يمر بها مهاجرونا قبل سفرهم الى غيرها .

ثم ان مرسيليا كانت دائماً المرحلة الاولى في هجرة مهاجرينا ، والبواخر التي كانت تسافر قديماً بين مرسيليا وافريقيه ، كانت تزور مرافىء السنغال والغينه فقط . فلم يكن باستطاعة مهاجرينا السفر الى سيراليون في ذلك العهد الا عن طريق انكلترا ، وهذا لم يكن متيسراً لهم يومئذ .

على كل حال لا يوجد في السجلات الانكليزية الرسمية اي ذكر لمهاجرينا الى سيراليون في القرن التاسع عشر . واول مهاجر لبناني سوري ورد ذكره هو السيد عبدالله قدور من قرية « ابلادا » وصل فريتون في منتصف سنة ١٩٠٠ . والثاني هو السيد خليل هارون ، وقد وصل في سنة ١٩٠٣ . على ان السجلات الفرنسية الرسمية تثبت ان بعض اللبنانيين السوريين جاؤوا الى الغينه الفرنسية في سنة ١٨٩٣ من سيراليون ، كما ان اول مهاجرينا الى نيجيريا قدم في ١٨٩٠ من سيراليون ايضاً . وفي هذا دليل على ان تاريخ الهجرة الى سيراليون يجب ان يقارب سنة ١٨٨٧ ، اي بعد ابتداء الهجرة الى السنغال بخمس سنوات تقريباً .

وقد قدرت « التيمس » عدد مهاجرينا في سنة ١٩١٤ بخمسماية شخص . ولكن هذا الرقم ليس ثابتاً ، اذ ان عدد مهاجرينا في سيراليون كان يتناقص ويتزايد باستمرار لان هذه المستعمرة كانت عتبة المستعمرات الانكليزية الاخرى .

وكان عدد مهاجرينا في سنة ١٩٣٠ يقدر بـ ١٥٠٠ نفس ، ولكن هذا الرقم تضاءل كثيراً حتى اصبح الان ١١٠٠ تقريباً ، لان فقر المستعمرة التجارية دفع الكثيرين من مهاجرينا الى الانتقال الى المستعمرات الفرنسية او المستعمرات الانكليزية الاخرى .

اشغال مهاجرينا — يشتغل اكثر مهاجرينا في تجارة البضائع والمحصولات . وبينهم واحد يمارس الزراعة . وفي فريتون طبيب لبناني للصحة ، وآخر للاسنان .

وعقب اكتشاف الذهب والماس في ١٩٣٣ – ٣٤ تحول كثير من مهاجرينا الى التعدين ، فلاقى معظمهم نتائج حسنة . ويبلغ عدد الذين يمتلكون الان اجازات للبحث عن الذهب ٢١ لبنانياً سوريا ، ولكن عدد المشتغلين في البحث عن الذهب والمتاجرة به يفوق ذلك الرقم باضعافه . ولا بد من القول بان الباحثين عن الذهب يقاسون الامرين من مصاعب المعيشة في اعماق الادغال ، ويعرضون انفسهم لاخطار كثيرة .

ولا يملك مهاجرونا سوى القليل من مباني فريتون ، ولكنهم يملكون ٢٥ بالمئة من مباني الداخلية ، و٧٥ بالمئة من الحوانيت التجارية فيها .

ثروات مهاجرينا — لما كانت سيراليون فقيرة جداً بالنسبة الى المستعمرات الاخرى فان ثروات مهاجرينا فيها فقيرة ايضاً . ولا تزيد اكبر ثروة عن العشرين الف ليرة انكليزية ثم يهبط الرقم الى ما دون العشرة . واكثر ثروات الاغنياء تتراوح بين الثلاثة والخمسة آلاف ليرة ، بينما معدل الاكثرية الباقية لا يتجاوز الخمسماية ليرة . ولولا اكتشاف الذهب في السنوات الاخيرة لكانت حالة جاليتنا بوجه الاجمال سيئة .

الحالة الاجتماعية — لا استطيع القول ان حالة جاليتنا الاجتماعية تدعو الى الارتياح ، فان رقي الزنوج « الكريول » في فريتون بالنسبة لمهاجرينا وضع الجالية في مركز حرج ، وجعلها موضع انتقاد من حيث المظهر ومستوى المعيشة الاجتماعية .

اما مهاجرونا المقيمون في الداخلية فانهم يتحملون مختلف المتاعب بسبب قلة وسائل المواصلات والمواد الغذائية التي يحتاجها الابيض . ولا ريب ان جهادهم العملي لا يقل صعوبة عن جهاد اخوانهم في داخلية الغينه والسنغال .

الجمعيات — في سنة ١٩٢٥ أسس مهاجرونا في فريتون جمعية باسم « الجمعية السورية » . وقد سارت الجمعية في البدء سيراً حسناً ، ثم دب الفتور الى النفوس فتلاشت .

وفي سنة ١٩٣٦ تأسست جمعية اخرى ، فلم تعش طويلا بسبب منازعات تتعلق بالرئاسة والطائفية . وفي سنة ١٩٣٨ تألفت جمعية جديدة باسم « الجمعية اللبنانية السورية » تضم جميع العناصر ، ولا تزال سائرة سيراً حسناً . وفي بلدة « ماكبوراكا » في الداخلية جالية ناهضة غنية بالشباب ، وقد اسست في سنة ١٩٣٨ جمعية تضم ابناء الجالية في القرى المجاورة .

الفصل السادس والعشرون

الجالية اللبنانية السورية في شاطيء العاج

جاء في احصاء رسمي لسنه ١٩٣٦ ان عدد البيض في شاطىء العاج يبلغ ٣٫٢٢٣ نفساً ، معظمهم يقطنون المناطق المحاذية للشواطىء ، ولكن هذا الرقم ارتفع بضع مئات خلال العامين الاخيرين . وفيما يلي عدد بعض الجاليات المهمة كما كان في آخر سنة ١٩٣٨ .

عدد الجالية الفرنسية ٢٥١٤ نفساً معظمهم من التجار واصحاب المزارع والموظفين المدنيين . اما الموظفون العسكريون فان عددهم لا ينشر في الاحصاءات . ويضاف الى ذلك الرقم ١٥٠ فرنسياً ولدوا في المستعمرة ، و ١٧ ولدوا في بلاد اجنبية ثم جاؤوا اليها . وهناك ٧٣٩ اسود اعتنقوا الجنسية الفرنسية ، و كذلك ٢٦ ابيض بينهم خمسة لبنانيين .

وتأتي في الدرجة الثانية الجالية اللبنانية السورية ، ثم الجالية السويسرية وعددها ٨١ نفساً ، ثم الانكليزية ٣٥ ، فالاميركية ٣٢ ، فالايطالية ٣١ . ومعظم الاجانب يشتغلون في الزراعة والتجارة او في التبشير .

جاليتنا — كان عدد افراد الجالية اللبنانية السورية في آخر ١٩٣٨ يقارب ٧٠٠ نفس بين رجال ونساء . ويوجد غيرهم من العرب ١٧ مصريا و٤ فلسطينيين . وتركي واحد ، وهو لبناني احتفظ بعد معاهدة لوزان بالجنسية التركية ، ولكنه

عاد الان واستفاد من اجازة استعادة الجنسية اللبنانية ليعود اليها .

واكثر ابناء الجالية هنا هم من الشباب الحديثي العهد بالهجرة ، لذلك عدد المتزوجين بينهم قليل . ويقدر عدد النساء اللبنانيات السوريات في كل المستعمرة بسبعين سيدة وفتاة . ولا يوجد في كل الجالية سوى ٢٠ نفساً يحملون الجنسية السورية والباقون لبنانيون . وينتمي اكثرهم الى : الزرارية ، النبطية ، بكفيا ، بيت شباب قانا الخ . وهم موزعون في بلدان المستعمرة على الشكل التقديري الآتي :

ابيدجان ١٠٠ رجل و١٥ امرأة ، كران بسام ٢٥ رجلا و١٠ نساء ، دلوا ٦٠ رجلا و١٠ نساء ، غنوا ٢٠ رجلا و ٥ نساء ، اكبوفيل ٣٠ رجلا و ٧ نساء ، بواكيه ٢٠ رجلا و ٤ نساء ، مان ١٠ رجلا و ٥ نساء ، ابواسو ١٥ نفساً ، ديفو ١٥ ، تياساله ١٠ ، لا كوتا ١٠ اومه ١٠ ، دمبو كرو ١٥ ، دابو ١٠ ، ساساندرا ٧ ، انومابا ٦ ، بنجرفيل ٥ ، انياماه ٥ الخ .

وقد كان اكثر مهاجرينا يقيمون في كران بسام سابقاً . ولما انتقلت الحكومة منها الى ابيدجان في سنة ١٩٣٣ واصبحت هذه المدينة العاصمة ، انتقلوا اليها هم ايضاً ، فاصبح عددهم الان مئة بعد ان كان واحداً او اثنين .

تاريخ الهجرة الى شاطيء العاج — اول من هاجر الى هذه المستعمرة السيدان سعيد واسعد منصور من دير اوبه قرب الشويفات . جاءا اليها من السنغال في سنة ١٩٠٧ على الارجح ، واسسا فيها شركة باسم «الشركة التجارية الافريقية» . وكان احدهما يحمل الجنسية الفرنسية ، فنجا من النفي عندما اصدر الحاكم قراراً باغلاق ابواب المستعمرة في وجه غير الفرنسيين .

وعقب الحرب العظمى فتحت ابواب المستعمرة في وجه الجميع ، فاخذ يهاجر اليها افراد معدودون ابتداء من سنة ١٩٢٠ ، معظمهم قادمون من مستعمرات فرنسية اخرى . ولما تحسنت احوال المستعمرة ازدادت الهجرة اليها ، وكثر المهاجرون ابتداء من سنة ١٩٣٠ ، ثم تدفقوا منذ ١٩٣٥ . وفيما يلي جدول عن تطور عددهم :

سنة ١٩٠٨ ٣ اشخاص من ٩٧ اجنبياً (ماعدا الفرنسيين)
١٩٠٩ ٤ " من ١٠٠ اجنبي .

١٩٢٣ ٥٦ نفساً
١٩٢٩ ١٨٣ " من ٥٣٥ اجنبياً .
١٩٣٠ ٢٤٣ " من ٥٧٩ "
١٩٣١ ١٤٨ " من ٥٢٤ "
١٩٣٢ ١٧٤ " من ٣٥٥ "
١٩٣٣ ٢٥٠ " من ٥٣٠ "
١٩٣٦ ٤٥٤ " من ٥٩٩ "
١٩٣٨ ٧٠٠ نفس من ٩٠٠ اجنبي .

وقد حدثني احد وجهاء دكار انهم باتوا يطلقون لقب « الجبهة » على شاطيء العاج ففي المعارك يرسلون النجدات الجديدة الى الجبهة ، وفي السنغال يحيلون كل مهاجر جديد يضيق به المكان الى شاطيء العاج ، كما ان كل مهاجر سابق لم يؤاتيه الحظ يرحل الى تلك المستعمرة ، لان مستقبلها كبير . ويجب الاعتراف في هذه المناسبة بفضل اربعة او خمسة من شبابنا الغيورين في شاطيء العاج ، الذين يهتمون بامور المهاجرين الجدد ويسهلون لهم سبل العمل . ولولاهم لكان الكثيرون حتى الان في ضنك شديد لا يعرفون ماذا يفعلون .

اشغال مهاجرينا — جاء في احصاء رسمي ان عدد التجار في شاطيء العاج ٧١٩ تاجراً ماعدا موظفي الشركات . ولاشك ان ٨٠ بالمئة من هؤلاء من اللبنانيين السوريين . فمهاجرونا بوجه الاجمال يشتغلون بتجارة البضائع والمحصولات خاصة الكولا . وهم يملكون ٦٠ بالمئة من الحوانيت التجارية في ابيدجان وكران بسام ، و ٩٠ بالمئة من مجموع المحلات في بلدان وقرى الداخلية . ويملكون ٥ بالمئة فقط من مباني ابيدجان ، ولكن لهم ٥٠ بالمئة على الاقل من مباني الداخلية . وهناك قرى لا يوجد فيها مباني لغير مهاجرينا . وحق التملك مباح في ابيدجان و كران بسام . اما في الداخلية فان الحكومة تبيع الارض لمن يشاء بشرط ان يبني فيها عقاراً تبلغ قيمته خمسة اضعاف قيمة الارض ، في خلال مدة محدودة ، والا انتزعتها منه .

ورغماً عن ان البلاد زراعية وغنية بالزراعةفان مهاجرينا لم يقبلوا على هذهالناحية الا ما ندر ، وتوجد الان ثلاث مزارع كبيرة فقط لابناء العرب تعني بزراعةالكاكاو والقهوة ، احداها في «غانوا» والثانية في «اومه» والثالثة في«مان». واعتقد ان للزراعة مستقبلا ماديا كبيراً في هذه البلاد ، وان كانت تتطلب في البدء نفقات باهظة وعناية متواصلة .

وقداسس احد مهاجرينا معمل حقائب في ابيدجان ، وآخر معملا لصنع الادوات والمنحوتات العاجية . واستقدم آخر في كران بسام آلات لتنظيف القهوة . ويوجد في المستعمرة طبيب لبناني واحد مقيم في ابيدجان .

ثروات مهاجرينا — رغماً عن حداثة عهد الهجرة في هذه المستعمرة فان احوال مهاجرينا فيها حسنة ، لان تجارتها ترتكز على المحاصيل الزراعية ، ومحاصيلها كثيرة متتابعة ، ذات اسواق عالمية مفتوحة دائماً . وبين جاليتنا شخص تقارب ثروته المليوني فرنك ، وخمسة يقاربون المليوناً ، وعشرة نصف المليون . وثروة الاكثرية تتراوح بين العشرين الفاً والمئة الف . ويقدر مجموع ثروة الجالية كلها بثلاثين مليون فرنك اي بمعدل ٥٠ الفاً لكل واحد منهم . وهذه الارقام تشمل قيمة العقارات ايضاً . وهي معرضة للصعود او للهبوط حسب تطور الاحوال، لان تجارة المحصولات كالبورصة تتطور تطوراً سريعاً وتتقلب بدون سابق انذار .

وجميع ثروات مهاجرينا في هذه المستعمرة لا تعادل شيئاً من ارباح — ولا اقول ثروات — الشركات الاجنبية . ففي شاطيء العاج عشر شركات فرنسية وانكليزية تبتلع ٩٠ بالمئة من الارباح . والشركة الفرنسية لشاطيء العاج (C.F.C.I.) التابعة للشركة الافريقية المتحدة الانكليزية (U.A.C.) تشتري وحدها ٦٠بالمئةمن محصولات البلاد وتبيع ٤٠ بالمئة من بضائعها . وللشركات فروع في احقر القرى ، تنافس مهاجرنا على القليل .

الحالة الاجتماعية — اول ما يستلفت الانظار هنا هو كثرة الشباب بين مهاجرينا فهم يؤلفون ٩ بالمئة . وبوجه الاجمال يعيشون في المدن عيشة حسنة ، اما في الداخلية

فان كثيرين منهم لا يزالون متأثرين بالمحيط الاجتماعي القديم الذى كانوا يعيشون فيه في بلادنا .

الجمعيات — في سنة ١٩٢٨ اسست الجالية في كران بسام «الجمعية اللبنانية السورية» ولكن حب الرئاسة لعب دوره المشؤوم هنا ايضاً ، فانفرطت الجمعية بعد شهرين من تأليفها . وفي سنة ١٩٣٠ بذل بعضهم مساعي طيبة لاحياء الجمعية ، فنجحت هذه المساعي ، ولكن قبل اكمال السنة دب اليها التفسخ بسبب الخلاف على الرئاسة ايضاً ، فماتت عملياً وبقيت اسماً .

وقد دارت في سنة ١٩٣٧ احاديث لاستئناف اعمال الجمعية ، ولكن قضية نيابة الرئاسة وقفت هذه المرة حائلا في طريق النجاح . وهكذا بين رئاسة ونيابة رئاسة ، ضاع المظهر الوحيد الذي يمكن ان يمثل وحده الجالية ويكون عنوان كرامتها تجاه الاجانب . وانه لمن المصيبة على جالية ناهضة مثل جالية شاطيء العاج ان لاتتفق على لمّ شعثها في جمعية واحدة .

الرياضة — يقوم بعض ابناء الجالية بمساع لتأليف فريق لكرة القدم من شبابنا وقد توفق حتى الان بعض التوفيق . وانني ارجو ان يقبل شباب الجالية على الناحية الرياضية ، فيساعدوا بذلك على رفع مستوى الجالية الاجتماعي في عيون الاجانب .

وفي ابيدجان و كران بسام عدة ملاعب لكرة القدم . وفي ضاحية ابيدجان حقل كبير للرياضة على اختلاف انواعها ، دشنه وزير المستعمرات المسيو ماريوس موتيه عند زيارته للمستعمرة في سنة ١٩٣٦ . وهو يحمل اسم الوزير تذكاراً للزيارة .

الفصل السابع والعشرون

الجالية اللبنانية السورية في شاطىء الذهب

كان عدد الاجانب في شاطىء الذهب يبلغ ٣١٨٢ نفساً في سنة ١٩٣٦ ، فارتفع في ١٩٣٨ الى ٣٦٩٩ . ولابناء العرب النصيب الاوفر من هذه الزيادة . وهذا هو عدد الجاليات الكبيرة :

	رجال	نساء	المجموع
انكليز (ماعدا الموظفين)	١٤٨١	٢٠٢	١٦٨٣
لبنانيون سوريون	٧٧٣	٢١٣	٩٨٦
طليان	٢٥٣	١٥	٢٦٨
فرنسيون	١٤٧	٣٤	١٨١
سويسريون	١٥٤	٢٣	١٧٧
هولنديون	٨٣	١٤	٩٧
المان	٧٠	٢٥	٩٥
يونان	٨٠	٣	٨٣

وهناك عدد ضئيل من الجنسيات الاخرى . ويشتغل الاجانب في التجارة او في تمثيل الشركات التجارية او في استثمار المعادن .

جاليتنا — قلت ان عدد جاليتنا ٩٨٦ نفساً ، منهم ٢١٣ سيدة وفتاة . ويوجد غيرهم من ابناء العرب ٤ فلسطينيين و ٩ مصريين (بينهم سيدة واحدة) وجزائريان .

ولا يقل عدد السوريين في جاليتنا عن المئتي نفس .

ومهاجرو طرابلس هم اكثر المهاجرين عدداً ، ويأتي بعدهم مهاجرو : دمشق ، ديك المحدى وبيت الشعار (قرب بيت شباب) الخ ، ويوجد ٣٥٠ مهاجراً في العاصمة « اكرا » و ٣٥٠ في كوماسي و ٥٠ في سكوندي ، والباقون موزعون بين القرى والثغور الصغيرة .

تاريخ الهجرة — لا يعرف ابناء الجالية بالضبط من هو اول مهاجرينا الى شاطىء الذهب . ولكنهم اجمعوا على القول بانه السيد سمعان داود . وقد جاء الى المستعمرة ثم غادرها . اما بين المهاجرين المقيمين فان السيد ملحم شبيب هو الاقدم .

وكان اقبال المهاجرين على شاطىء الذهب قليلا في البدء مع انه اغنى جميع المستعمرات الافريقيه ، ولكن بعد الحرب بدأ التيار يحمل بكثرة ابناء طرابلس ودمشق وغيرهم . واشتد التدفق بصورة خاصة في السنوات الاخيرة . ولما وزعت الباخرة « سينايا » شحنتها المعروفة على المرافىء الافريقيه ، كان نصيب شاطىء الذهب كبيراً منها .

اشغال مهاجرينا — يشتغل جميع مهاجرينا في التجارة . واكثرهم يشترون المحصول من العبيد ويبيعونه للشركات او يشترون البضاعه من الشركات ويبيعونها للعبيد ، كما هي الحالة في جميع المستعمرات . وبينهم عدد من التجار يستورد بضائع الجملة رأساً من انكلترا واليابان وغيرها . وهناك افراد قلائل يشتغلون في الذهب في الداخلية .

ولا يشتغل احد من مهاجرينا في الزراعة . ولكن بعضهم انشأوا في سنة ١٩٣٦ معملا للعطورات والبودره وغيرها من المساحيق ولوازم الزينه . والمعمل يستورد المواد الاولية من الخارج ، ويجد انتاجه رواجا كبيراً . و انشأ احدهم معملا في كوماسي للمياه المعدنيه الصناعيه وماء السودا وغيره . وفي كوماسي معمل للدخان ايضاً . وفي المستعمرة كلها طبيب واحد من مهاجرينا .

ويملك مهاجرونا عدة مبان جميلة في اكرا ، معظمها مبني على اراض تخص العبيد ،

على ان تصبح ملكا لصاحب الارض بعد مدة من الزمن . ولهم مبان ممتازة في كوماسي وغيرها من بلدان الداخليه .

ثروات مهاجرينا — قلت ان شاطيء الذهب هو اغنى مستعمرة في افريقيه الغربيه . ولكن جاليتنا ليست غنيه بنسبه غنى المستعمرة لان الشركات هى المسيطرة على كل شيء ، وعلى رأسها الشركة الافريقيه المتحدة (U.A.C.) كما ان العبيد يديرون قسما من تجارة البلاد . ومن المعلوم ان تجارة مهاجرنا تعتمد في الدرجة الاولى على بيع المفرق ، ولكن الشركات تنافسه منافسة كبيرة في هذا الميدان وتفتح عشرات الفروع الصغيرة في كل الاحياء والقرى .

اكبر ثروة شخصية بين مهاجرينا تقدر بخمسين الف ليرة انكليزية ، تعقبها ثروة تقدر بعشرين الفاً . وهناك بضعة افراد يملكون عشرة آلاف او ما حولها . ويتراوح معدل الثروة العام بين خمسماية والف ليرة لكل واحد .

الحالة الاجتماعية — مما لا ريب فيه ان جاليسة شاطيء الذهب ، خاصة اكرا وكوماسي ، هي بالاجمال من ارقى جالياتنا في افريقيه الغربيه ، ان لم تكن ارقاها . وهي من حيث المظهر والعيشة المنزلية في حالة حسنة . ولا يدفن الاغنياء هنا ثرواتهم كما يفعل بعض مهاجرينا في بعض المستعمرات ، بل يستفيدون منها ليعيشوا بترف ، فترى بعضهم يقطنون « دارات » جميلة في ضاحية المدينة ويقتنون السيارات . وقد قال لي احدهم : نحن هنا نتسابق على « الجخ » لا على الاقتصاد في المصروف .

وجميع السيدات هنا سافرات ما عدا ثلاثا او اربعاً . والنساء يتمتعن بمركز اجتماعي حسن فيما بينهن وبين الوسط الاجنبي ايضاً . ويسرني القول ان الطائفية لا تلعب في هذه المستعمرة الدور الذي تلعبه في بقية المستعمرات ، فالاكثرية متحدون متفاهمون كما رأيت . ومما يساعد على بلوغ هذه الدرجة هو ان اكثر مهاجرينا في شاطيء الذهب من ابناء المدن ، وابن المدينة يكون اكثر « تفتحاً » واقرب الى الاندماج في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه من اخيه القروي .

الجمعيات — كانت توجد قديماً جمعيتان منفصلتان ، فاندمجتا في واحدة ، ثم ماتت

الجديدة . وفي ١٩٢٦ تأسست جمعية اخرى ، ولكنها لم تلبث حتى فشلت بسبب منازعات بين الاعضاء .

وفي ١٩٣٥ الف ابناء الجاليه « جمعية الرابطه السورية اللبنانيه في الشاطيء الذهبي » . وهي ما تزال سائرة حتى الان سيرا حسناً . ولما كانت قضيه الرئاسه هي النقطه الحساسه في جمعياتنا ، بل الصخرة التي تصطدم بها المصالح والاهواء ، فان اعضاء الرابطه لم يقيموا رئيساً دائماً ، بل تركوا الرئاسه دورية . ولا توجد للجمعيه فروع في داخليه البلاد ، ولكن لها مشتركين . وليس لها ناد .

الرياضة — تأسس في سنة ١٩٣٦ فريق لبناني سوري لكرة القدم في كوماسي . وفي سنة ١٩٣٨ تألف فريق آخر في أكرا . وقد لاعب كل من الفريقين عدة فرق اجنبية . على ان النقص الكبير في هذه الحركة الرياضية هو عدم وجود ادارة تشرف عليها وتنظمها . فالفريق تألف بفضل رغبة افراده في تأليفه ، وليس هنالك من يعتني بتدريبهم واختيار الصالح منهم . وليت جمعية الرابطة تتبنى الحركة الرياضية وتنظمها وتشجعها وتنشيء لها ناديا وملعباً فتسدي بذلك خدمة كبيرة للجالية .

وفي اكرا سباق للخيل ايضاً يجري اكثر من عشر مرات سنويا . ويقتني مهاجرونا اكثر الخيول التي تركض في هذه السباقات ، ويربحون عادة اكثر الجوائز .



الفصل الثامن والعشرون

الجالية اللبنانية السورية في نيجيريا

يبلغ عدد الاجانب في نيجيريا ٦٠٠٠ ابيض ، منهم ٦٧٠ لبنانياً سورياً، وهم ينتمون الى القرى التالية في الوطن : مزياره ، جويا ، دمشق ، بيروت ، حمص ، بعض قرى المتن والشوف. على ان ابناء مزياره هم الاكثرية ، وعددهم يقارب المئتين، ولهم الفضل الاول في فتح طريق الهجرة الى نيجيريا وتوطيد اقدام اللبنانيين السوريين فيها. ويأتي بعدهم ابناء جويا .

ويقيم القسم الاكبر من مهاجرينا في لاغوس ، ففيها وحدها اكثر من النصف وفي كانو مئة، ومثلهم في ايبادان. والباقون موزعون بين البلدان التالية : زاريا، الجص بورت هار كورت ، كالاباو ، اونيتشاه ، واري الخ . ويلاحظ ان مهاجرينا ليسوا منبثين هنا في الداخلية كما هي الحالة في السنغال والغينه وسيراليون وشاطىء العاج مثلا اولا لان البلاد واسعة جداً ، وثانياً لان هناك مدناً لا يحق لهم المتاجرة فيها . وآخر بلدة سمح لهم بدخولها هي «ابيو كوتا» .

تاريخ الهجرة الى نيجيريا — اقدم مهاجرينا في هذه المستعمرة هو السيد الياس الخوري . جاء اليها من سيراليون في سنة ١٨٩٠ ولا يزال مقيما فيها حتى الان رغم بلوغه الشيخوخة . وقد بقيت الهجرة قليلة الى نيجيريا حتى ما بعد الحرب . ومنذ سنة ١٩٢٢-٢٣ بدأ يتدفق اليها المهاجرون بكثرة حتى بلغوا ما بلغوه الان . وقد اصاب نيجيريا رشاش من موجة ١٩٣٦-٣٧ . ولكن اكثر القادمين عادوا لعدم وجود

اشغال لهم . ويعتقد الكثيرون ان نيجيريا ستكون محط انظار المهاجرين الجدد بعد ان اغلقت الحكومة الفرنسية ابواب مستعمراتها بالشروط القاسية التي فرضتها على الهجرة.

اشغال مهاجرينا — يشتغل مهاجرونا بالتجارة ، خاصة تجارة المانيفاتورة. وقليلون منهم يشتغلون بالمحصولات ، الا في «كانو» حيث تلعب تجارة الفستق دوراً هاما . ولا يشتغل احد منهم بالزراعة او بالصناعة ، ولكن فكرة انشاء مصانع موجودة عند بعضهم . ويستورد بعض مهاجرينا في لاغوس البضائع رأساً، ويزودون بها تجار المفرق وقليلون هم الذين يلجأون الى الشركات لمشترى البضائع .

ويملك مهاجرونا ٧٠ بالمئة من المحلات التجارية في لاغوس و ٣٠ من مبانيها . وهم منتشرون في شوارع فكتوريا وبالوغو وأريكو وغيرها . اما في الداخلية فهم يملكون ١٠-١٥ بالمئة من المباني . وهم اصحاب دور السينما في لاغوس و كانو (شمال نيجيريا).

ثروات مهاجرينا — يتمتع مهاجرو نيجيريا بسمعة الغنى الفاحش في كل مستعمرات افريقيه الغربية ، مع ان المجموع ليس غنياً بذلك المقدار . اجل هنالك افراد يملكون ثروات طائلة ، ولكنهم يعدون على الاصابع . ويوجد بينهم شخص يملك ربع مليون ليرة انكليزية ، وآخر سبعين الفاً . وهناك خمسة يقدر كل منهم باربعين الفاً ، وخمسة بعشرين الفاً ، وخمسة بعشرة آلاف ، وثلاثون تتراوح ثرواتهم بين الف وثلاثة آلاف ليرة انكليزية . والباقون يتراوح معدل ثرواتهم بين المئتين والالف ليرة .

الحالة الاجتماعية — مهاجرونا راقون بوجه الاجمال ، ويتمتعون بمركز محترم لدى السلطات ، ولكنه لا توجد روابط اجتماعية دائمة بين مختلف عناصر الجالية . والنساء سافرات جميعاً ، يساعدن ازواجهن في الحوانيت والتجارة .

الجمعيات والرياضة — تأسست اول جمعية لمهاجرينا في سنة ١٩٣٦ باسم « الجمعية السورية اللبنانية» . ولكن بعض مهاجرينا احجموا عن دخولها لاسباب اقليمية وألفوا جمعية اخرى باسم «الجمعية اللبنانية» .

وفي كانو ناد لبناني جميل • ولكن اعضاءه يمثلون فئة واحدة من مهاجرينا ، والفئة الاخرى مضربة عن الاشتراك فيه لاسباب اقليمية سياسية •

ويقبل شباب مهاجرينا على ممارسة الرياضة مثل كرة القدم والتنس والغولف • وهم اصحاب اكثر الخيول التي تشترك في سباق الخيل وتربح اكثر الجوائز •



الفصل التاسع والعشرون

الجاليات اللبنانية السورية في بقية المناطق

غامبيا ، ليبيريا ، الداهومي ، النيجر ، التوغو

[حدثت القراء في الفصول السابقة عن احوال جالياتنا الكبيرة في المستعمرات الرئيسية • وبقيت جاليات صغيرة موزعة في بقية بلدان افريقية الغربية • ولم ازر خلال رحلتي هذه الجاليات لاتحدث عنها باسهاب ، لذلك اقدم للقاريء لمحات سريعة عنها:]

جاليتنا في غامبيا

عدد مهاجرينا في مستعمرة غامبيا البريطانية يقارب ٣٥٠ نفساً ، توافد اكثرهم اليها في اوائل هذا القرن ، فازدهرت اعمالهم ومثلوا دورهم المعروف في تجارة البلاد ، فكان ذلك سبباً في النقمة عليهم ، وعلى الاثر اتخذت حكومتها تدابير جديدة لتقييد الهجرة • وغامبيا هي اول مستعمرة انكليزية فرضت الكفالة على المهاجرين الجدد (راجع الفصل الثلاثين) • ويمكن القول ان دخول غامبيا بات محظوراً على مهاجرينا بسبب صرامة الشروط المفروضة •

وجميع ابنائنا في غامبيا يعملون في تجارة البضائع والمحصولات ، بينهم ٢٥ نفساً تقريباً يتاجرون بالمانيفاتورة والباقون بالمحصول • وليس لهم اي جمعية او رابطة دائمة •

جاليتنا في جمهورية ليبيريا

لا يزيد عدد ابنائنا في جمهورية ليبيريا عن المئة نفس ، اولا لان الميدان التجاري ضيق فيها، وثانياً لان الزنوج المحررين في ليبيريا لا ينظرون بارتياح الى وجود مهاجرينا ويضيقون عليهم بصورة تحول دون اشتداد الهجرة .

واول مهاجرينا الى ليبيريا هو المرحوم انطون يوسف الفرفحيني. قدم اليها في سنة ١٨٩٩ ، ثم لحق به بضعة افراد . وقد ثبت مهاجرونا رغم قلة عددهم للحملات الموجهة ضدهم ، واحتملوا انواع الاذى بصبر وهدوء ، فقدموا بذلك برهانا جديداً على اهلية المهاجر اللبناني السوري وجلده . ويرى القارىء في القسم الرابع من الفصل الثلاثين شيئاً عن الازمة الكبرى التي اصابت ابناءنا في ليبيريا في سنة ١٩٢٨ .

وقد اسس مهاجرونا في سنة ١٩٢٦ جمعية باسم «الجمعية الخيرية اللبنانية» .

جاليتنا في الداهومي

ظل عدد مهاجرينا في الداهومي قليلا بسبب ضيق ميدان العمل فيها . فان زنوج الداهومي هم اسياد تجارة المفرق منذ زمن بعيد ، واذا كان المهاجر اللبناني السوري قادراً على منافسة تاجر المفرق الاوروبي، فانه عاجز عن منافسة التاجر الزنجي اذا كان ذا عقلية تجارية كما هي الحالة بزنوج الداهومي .

ويبلغ عدد جالياتنا هناك في الوقت الحاضر ٤٧ نفساً، منهم ثلاثة او اربعة في كوتونو والباقون موزعون في انحاء الداخلية . وبينهم شخص واحد تقدر ثروته ببضعة ملايين فرنك .

ولا يعرف احد شيئاً عن تاريخ الهجرة الى الداهومي . وكل ما نعرفه هو ان عدد مهاجرينا في سنة ١٩٠٧ كان ثمانية اشخاص ، فتطور كما يلي :

١٩٠٧	٨ اشخاص	١٩٣١	٤٥ شخصاً
١٩٠٨	١٠ =	١٩٣٢	٤٩ =
١٩٠٩	٨ =	١٩٣٣	١٨ =

١٩٢٣	٢٣ نفساً	١٩٣٦	٣٣ =
١٩٣٠	٣٥ =	١٩٣٨	٤٧ =

ويفد على الداهومي من حين الى آخر بعض مهاجرينا في نيجيريا وشاطىء الذهب للمتاجرة وقتيا .

جاليتنا في النيجر

في مستعمرة النيجر ٥٥٨ ابيض ، منهم ١٠ لبنانيين سوريين فقط . على انه يتردد على النيجر عدد كبير من مهاجرينا في ايام الموسم ، ولاسيما من شمالي نيجيريا والسودان الفرنسي . ويعزى قلة عدد مهاجرينا الى نفس الاسباب التي قللت عددهم في الموريتانيا : فقر المستعمرة وسوء احوالها الجوية والصحية. واول مهاجر الى النيجر دخلها في سنة ١٩٠٩ .

جاليتنا في التوغو

عـدد البيض في التوغو ٥٤٠ نفسا منهم ١١٠ سيدات و ٨٥ طفلا . وبين البيض ٨٠ لبنانيا سوريا . وقد كان في التوغو ، عنـدما كان مستعمرة المانية ٢٢ نفسـا من ابنائنا ، فارتفع هذا العدد بعد الحرب الى الاربعين ، وبلغ الستين في سنة ١٩٣٢ والسبعين في سنة ١٩٣٦ ، والثمانين في العام الماضي . واول مهاجرينا الى التوغو دخله بين ١٩٠٢ ــ ١٩٠٥ قادما من شاطىء الذهب .

ويتردد بعض ابنائنا في الداهومي وشاطىء الذهب على التوغو للمتاجرة وتبديـل العملة .

الباب الثالث

درس وتحليل لمشاكل الهجرة ومهاجرينا في الماضي
والحاضر والمستقبل من جميع النواحي ووجهات النظر

الفصل الثلاثون

شروط الهجرة الى افريقية الغربية وتطورها

لم تكن في افريقيه انظمة وقوانين في اوائل عهد الفتح الاوروبي، بل كان التوسع وقمع الفتن همّ الحكومات في كل مستعمرة. ولكن بعد توطيد الاستعمار بدأت الادارة تنتظم رويداً رويداً ، وتعنى بجميع القضايا المرتبطة بمصلحة البلاد على اختلاف انواعها وفي مقدمتها قضية الهجرة الى المستعمرات ، فوضعت لها سلسلة من الشروط والقوانين. وقد كان ابناؤنا وحدهم هدف تلك التدابير لانهم كانوا يؤلفون الاكثرية الساحقة من المهاجرين الجدد . وساحدث القراء فيما يلي عن قيود الهجرة في كل منطقة .

١ — في افريقيه الغربية الفرنسية

في سنة ١٧٢٧ اصدر الملك لويس الرابع عشر قراراً يحظر فيه على الاجانب دخول المستعمرات الاميركية الفرنسية المتاجرة . ثم جرى تطبيق هذا القرار على المستعمرات الافريقية بموجب قرار آخر صدر في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨١٧ . وفي سنة ١٨٢٥ اوقف تنفيذ هذا القرار ، وصدر بعد خمس سنوات قانون جديد للاحوال الشخصية يجيز للاجانب التمتع بجميع الحقوق المدنية في المستعمرات ، وبينها حق التاجرة الشرعية .

وتلت هذا القانون سلسلة من تدابير المنع والاجازة والاطلاق والتحديد، هدفها منع العناصر غير المرغوب فيها من دخول البلاد . على ان ابواب الهجرة ظلت عملياً مفتوحة للجميع بلا قيد ولا شرط . وكان مهاجرونا اكثر الاجانب وفوداً الى

المستعمرات .

وفي سنة ١٩١٠ احتجت غرفة التجارة الفرنسية الى الحكومة طالبة التضييق على الهجرة الاجنبية بصورة عامة ، وعلى الهجرة اللبنانية بصورة خاصة . ولبت الحكومة الطلب ، فاصدر الحاكم العام في ٧ كانون الاول ١٩١٠ قراراً خاصاً بمستعمرة الغينيه الفرنسية ، يحتم على كل مهاجر اجنبي ان يبرز وثائق تثبت هويته وحسن اخلاقه ، وتقضي عليه باجتياز معاينة طبية دقيقة ، وايداع مبلغ من المال لدى الحكومة كاف لتأمين عودته الى بلاده اذا تطلب الامر ، وقدره ٦٠٠ فرنك . وفي ١ ايار ١٩١١ صدر قرار آخر يوسع نطاق القرار الاول ويشمل جميع مستعمرات افريقيه الغربية الفرنسية .

ولا حاجة للقول ان اللبنانيين السوريين كانوا المقصودين بهذا القرار ، فاضطربوا له في البدء . ولكنهم لم يلبثوا حتى اعتادوا على الوضعية الجديدة ، فقدم اكثرهم الاوراق المطلوبة ودفعوا الضمانة . وفي ٨ تموز من العام نفسه صدر قرار يجيز اعادة الضمانة الى صاحبها بعد ثلاث سنوات من دفعها ، اذا كان حسن السلوك طول مدة اقامته .

وخفت وطأة الهجرة عقب هذه التدابير ، ثم جاءت الحرب العظمى فاوقفتها تماما . وبعد الحرب تجددت الهجرة بصورة اشد . وكانت حكومة افريقيه الغربية الفرنسية تطبق حتي ذلك الحين قوانين للهجرة خاصة بالمستعمرات ، لا علاقه لها بقوانين الهجرة المطبقة في فرنسا نفسها . وبعد الحرب رؤي توحيد قوانين الهجرة في فرنسا والمستعمرات فصدر في ١ آب ١٩٢١ قانون الغى جميع انظمة الهجرة السابقة ، والغى الضمانة المنصوص عليها في قانون ١٩١١ ، ووضع شروطاً سهلة للهجرة تنحصر في ان يثبت المهاجر الجديد هويته ، وان يستحصل من الحكومة على بطاقة اقامة ، وان يبلغها عن نوع عمله عندما يبدأ عملا .

بيد ان غياب الضمانة المالية القى على البلديات عبء تسفير المهاجرين الفقراء ، فعادت الحكومة واصدرت في ٢٨ نيسان ١٩٢٣ قراراً يقضي على المهاجر دفع مبلغ الضمانة ،

او يتقدم احد التجار المعتبرين بكفالته لمدة سنتين . بيد ان هذه التدابير لم تخفف وطأة الهجرة ، اولا لان الحكومة لم تكن تطلب من المهاجر وثائق واوراقاً رسمية صعبة عند دخوله ، وثانياً لان الكثيرين اساؤوا استعمال الكفالة التجارية وجعلوها سبيلا للرزق . وفي ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٥ صدر قرار يحدد شروط الهجرة كما يلي :

اولا — ابراز جواز سفر او وثيقة رسمية تثبت هوية المهاجر .

ثانياً — ابراز شهادة طبية مصدقة من القنصل الفرنسي .

ثالثاً — دفع ضمانة مادية قدرها ١٨٠٠ فرنك في حالة قبوله على ان تعاد اليه بعد سنتين ويمكن استبدال الضمانة بكفالة من تاجر معتبر .

وفرض النظام الجديد على شركات البواخر اعادة المهاجر المرفوض الى بلاده على نفقتها . وتجنباً للمسؤوليه اخذت هذه الشركات تراقب اوراق المهاجر في بيروت قبل حمله على بواخرها ، وتشترط عليه ان يسلمها مبلغ الكفالة سلفاً ، فاذا اجيز له دخول المستعمرة سلمت الشركة المبلغ للحكومة ، واذا رفض احتفظت الشركة بالمبلغ مقابل اعادتها اياه الى بلاده .

وتسهيلا لمهمة الشركات ، اذاع الحاكم العام في ٢٦ تموز ١٩٢٥ تعميما يجيز فيه لشركات البواخر ان تكفل المهاجرين الجدد في حالة قبولهم ، بنفس الشروط التي يكفلهم بها التجار المعتبرون . وبدلا من ان تستعمل الشركات حق الكفالة لمصلحة البلاد او لمصلحة ركاب بواخرها ، عمدت الى استثماره لمصلحتها الخاصة ، فاخذت تقبض من المهاجر مبلغ الكفالة وتحتفظ به عندها ، وتكفله بدورها لدى الحكومة بدلا من ان تسلم المبلغ لها . ولم تقنع بعض الشركات بالاستفادة من بقاء المبلغ لديها مدة سنتين بلا فائدة ، بل اخذت تتقاضى من المهاجرين الفقراء نصف مبلغ الكفالة ، ثم تكفلهم لدى الحكومة بشرط ان تستولي على المبلغ عند انتهاء مدة السنتين بدلا من ان تعيده لصاحبه.

ولا بد من الملاحظة بان القانون لم يكن يرغم المهاجر الجديد على دفع الكفالة للشركة ، بل كان يجيز له ان يسحب المبلغ شكا من بنك سوريا ولبنان في بلادنا لامر الحاكم العام في افريقيه الغربية ، فيغنيه ايصال الشك عن دفع المبلغ للشركة

ولكن اكثر مهاجرينا كانوا يجهلون هذا النظام ، لذلك كانوا يدفعون المبلغ للشركة في بيروت او في مرسيليا بدلا من سحبه على ذلك الشكل .

وكان من الطبيعي ان تستسيغ الشركات هذا الربح الهين ، فتغوي بواسطة عملائها وسماسرتها في بلادنا مئات السذج على الهجرة . بيد ان استفحال الاستثمار ادى الى ارتفاع اصوات الشكوى . وعلى الاثر قامت ادارة المراقبة في دكار بتحقيق دقيق في القضية . واذيعت نتيجة التحقيق في تعميم اصدره الحاكم العام في ١٧ آب ١٩٢٦ ، واثبت فيه ان بعض الشركات كان يأبى اعادة المهاجر المرفوض الى بيروت زاعماً ان مبلغ الكفالة المقبوض يقيد الشركة باعادته الى مرسيليا فقط، وكان بعضها يحتفظ عنده بمبلغ الكفالة بدلا من تسليمه الى الحكومة ، وبعضها يرفض اعادته الى صاحبه عند انتهاء مدة الكفالة وغير ذلك .

وتجاه هذه الاعمال المخزية امر الحاكم العام ان تدفع الشركات بعد ذلك التاريخ كل كفالة تقبض قيمتها الى الحكومة . وعندئذ فقدت الشركات امل الربح من الكفالة فعدلت عن كفالة احد ، ولكن بعد ان كانت قد ربحت مبالغ طائلة وغررت بكثير من البسطاء . واكتفت منذ ذلك الحين بمراقبة اوراق المهاجرين الجدد والتثبت من انهم يملكون مبلغ الكفالة قبل حملهم على بواخرها .

على ان عدول الشركات عن الكفالة لم يخفف وطأة الهجرة ، اذ ظل التجار اللبنانيون السوريون في المستعمرات يقدمون الكفالات للمهاجرين الجدد ، وبعضهم كانوا يكفلون العشرات والمئات دفعة واحدة .

وضاقت الحكومة ذرعا بهذا الفيضان ، فاصدرت في السنوات التالية سلسلة من التدابير الجديدة للتضييق على الهجرة . ولما انتشر وباء الحمى الصفراء في السنغال سنة ١٩٢٧ فرضت الحكومه على مهاجرينا الجدد شروطاً صحية خاصة بهم ، مثل الخضوع لاعمال التطهير والتنظيف الصحي ، واجتياز فحص طبي دقيق لاثبات خلوهم من الامراض السارية في بلادنا . وفي ١١ ايلول ١٩٢٧ رفعت مبلغ الكفالة من ١٨٠٠ الى ٤٨٠٠ فرنك . ولكن كل ذلك لم يفد شيئاً ، لان الكفالة التجارية ظلت

تحل محل الضمانة المادية .

ودامت الحالة على هذا المنوال مدة طويلة ، والهجرة خاضعة لسلسلة طويلة من القوانين والقرارات . وفي سنة ١٩٣٢ رأت الحكومة ان توحد هذه الانظمة كلها في نظام واحد ، فاصدر الحاكم العام بين ١٢ كانون الثاني ١٩٣٢ وبين ١٠ آب ١٩٣٧ قرارات اسفرت عن تحديد شروط الهجرة في الخلاصة التالية .

شروط الدخول والاقامة : يجب على المهاجر الجديد ابراز ما يلي :

جواز سفر قانوني .

نسخة من سجله العدلي عمرها اقل من ثلاثة اشهر .

شهادة من طبيب معترف به رسمياً في بلاد المهاجر تثبت انه خال من كل الامراض المعدية او من اي مرض او اي عجز يمنعه عن ممارسة المهنة التي جاء لاجلها ، ويجب ان يكون الجواز ونسخة السجل العدلي والشهادة الطبية مصدقة كلها من القنصل الفرنسي .

على المهاجر ان يدفع فور وصوله مبلغ الكفالة الا اذا كفله احد الاشخاص المعتبرين ، واعترفت السلطة بهذه الكفالة . ويكون المهاجر خاضعاً لجميع التدابير الصحية التطهيرية اذا وجد موجب لذلك .

كل مهاجر لا يكون متمما هذه الشروط ، يمنع من دخول المستعمرة ، ويفرض على الشركة البحرية التي حملته ان تعيده الى بلاده . ويدفع الكفيل نفقات الاعادة .

طلب اجازة الاقامة : اذا سمح للمهاجر بدخول المستعمرة ، يجب عليه ان يطلب من ادارة البوليس خلال اسبوعين من دخوله بطاقة الهوية الخاصة بالاجانب . ويرفق هذا الطلب بجميع الوثائق الرسميه التي يحملها مثل الجواز ونسخة السجل العدلي والشهادة الصحية مع بيان يوضح فيه اهليته المادية والغرض الذي يرمي اليه من الاقامة في افريقيه الغربية الفرنسية .

وعلى الاثر تعطيه ادارة البوليس بطاقة اقامة موقتة ، تحمل بصمات اصابعه . ثم تحيل طلبه الى حاكم المستعمرة ، وهو يقرر منح تذكرة الاقامة الدائمة ، او يرفضها

بدون تبيان الاسباب . وعندئذ يتوجب على المهاجر مغادرة الاراضي الفرنسية خلال مدة معينة تحددها له ادارة البوليس .

بطاقة الاقامة : اذا وافق الحاكم على اعطاء البطاقة الدائمة، تسلمها ادارة البوليس الى المهاجر . والبطاقة هي وثيقة تجيز له الاقامة في افريقيه الغربية الفرنسية، وتتضمن تفاصيل احواله الشخصية وصورته وبصمات اصابعه ونمرة جواز سفره ومحل اقامته. وكلما اراد تبديل محل اقامته يقتضي عليه ابلاغ التبديل الى البوليس ليسجله على البطاقة واذا سحبت السلطة البطاقة من المهاجر ، يعد ذلك السحب موازيا للنفي ، فيضطر المهاجر الى مغادرة البلاد .

وانشيء مكتب خاص في دكار باسم « الدائرة المركزية لمراقبة الاجانب في افريقيه الغربية الفرنسية » مهمته جمع كل المعلومات عن الاجانب المقيمين في كل المستعمرات وتنظيمها تنظيما مركزيا ، حتى تكون الدائرة مرجعا ثابتاً لكل ما يتعلق بالمهاجرين الاجانب . وهذه الدائرة تتلقى التفاصيل والتقارير دائماً من كل المستعمرات الفرنسية.

وكانت الحكومة تتوقع ان يتناقص عدد المهاجرين الجدد بفضل هذه القيود ، ولكن املها لم يتحقق بل ظل مهاجرونا يتدفقون باستمرار . ولما طغت موجة ٩٣٦- ٣٧ وضجت الاوساط التجارية الفرنسية وغيرها من ذلك الفيضان درست الحكومة شروط الهجرة درساً جديداً وبعد مراجعة حكومة باريس ، اصدر الحاكم العام في ٣ كانون الاول ١٩٣٧ قراراً جديداً ادخل بموجبه التعديلات والاضافات التالية على شروط الهجرة السابقة :

اولا — يزاد مبلغ الضمانة للمهاجر الجديد زيادة تتناسب مع اجرة السفر من افريقيه الى بلاده . وقد حدد المبلغ للمهاجر اللبناني السوري بستة آلاف فرنك بدلا من ٤٨٠٠ ، على ان يدفعه المهاجر نقداً ، ولا تقبل فيه اية كفالة تجارية .

ثانيا — يجب ان يحمل المهاجر الجديد اتفاقية تجارية رسمية معقودة بينه وبين احد التجار المعتبرين في المستعمرة، ومصدقة سلفاً من «ادارة مراقبة العمل» في المستعمرة وموقعة من الطرفين بشهادة كاتب العدل او المختار ، وتكون مدتها سنة على الاقل .

ثالثاً — اذا لم يكن المهاجر يحمل اتفاقية للعمل ، يجب عليه ان يثبت بوثائق رسمية معترف بها انه يملك مبلغ خمسين الف فرنك على الاقل، وانه قادر على التصرف بهذا المبلغ كما يشاء في المستعمرة .

ويعفى من هذه الشروط الثلاثه افراد عائلة المهاجر ، اي زوجته واولاده دون الخمس عشرة سنة .

ومنذ تقرير هذه القيود هبط معدل الهجرة. ولا شك ان الشروط الجديدة ستضع حداً لتدفق المهاجرين على المستعمرات الفرنسية بعد اليوم ، فليس باستطاعة كل راغب في الهجرة عقد اتفاقية رسمية بالشكل المذكور اعلاه ، ومن يملك في بلادنا خمسين الف فرنك لا يأتي الى المهجر .

ولا بد من الملاحظة بان السلطة تطبق الان تلك الشروط باقصى ما يمكن من الدقة والتشديد ، لا على المهاجرون الجدد فقط ، بل على المهاجرين القدماء انفسهم . فالمهاجر القديم الذي يغادر المهجر الى بلاده او الى اوروبا لقضاء الصيف او لمشترى البضائع ، تعامله السلطات معاملة المهاجر الجديد في دفع الكفالة، اذا لم يكن قد حصل على اجازة للعودة قبل سفره . والحكومة ليس كريمة في منح اجازات العودة بلا كفالة ، فلا تمنحها للجميع ، واذا منحتها اشترطت على المهاجر ان يسافر في الذهاب والاياب على بواخر فرنسية .

ومع ان قرار ٣ كانون الاول ١٩٣٧ يستثني النساء من دفع الكفالة، فان مهاجرينا يجدون صعوبة شديدة في استقدام نسائهم من البلاد . فالحكومة لا تسمح للمهاجر استقدام زوجته بدون كفالة الا اذا كان مقيما منذ القديم في البلاد ، واستطاع ان يكفل زوجته او تكفلها الجمعية او احد غيره .

ولا يعجز الغني عن دفع ضمانة ستة آلاف فرنك عن زوجته ، ولكن المهاجر الحديث العهد ، الذي لا يملك سوى عشرة او عشرين الف فرنك، لا يستطيع الاستغناء عن مبلغ الستة آلاف ، فيضطر الى البقاء وحده وترك زوجته في الوطن اذا لم يجد من يكفلها ، وفي هذا كثير من الاجحاف لانه ليس من العدالة الفصل بين المهاجر

وزوجته وحرمانه من الحياة الزوجية . وتقول الدوائر الرسمية ان غرضها من التضييق هو تخفيف البؤس ، اذ لا تريد ان يستقدم المهاجر الفقير زوجته وهو لما يزل عاجزاً عن نفقات معيشته وحده . فهي تدرس اذن كل قضية على حدة ، وتتصرف فيها كما ترى مناسباً اعتماداً على المعلومات الموجودة لديها عن مقدرة كل مهاجر وحالته .

٢ — في افريقيه الغربية الانكليزية

كان دخول المهاجرين افريقيه الغربية الانكليزية (غامبيا ، سيراليون ، شاطيء الذهب ، نيجيريا) حراً من كل قيد سوى القيد القانوني العادي ، اي جواز السفر . وفي سنة ١٩٢٤ ثارت ضجة من جراء تدفق الهجرة اللبنانيه السورية . وعلى الأثر بدأت حكومة كل مستعمرة تصدر قوانين تقيد الهجرة ، فاصدرت حكومة غامبيا في ١٦ تشرين الاول سنة ١٩٢٤ قانوناً يفرض على المهاجر الجديد دفع كفالة مادية قدرها ٦٠ ليرة انكليزية . واصدرت حكومة سيراليون في العام نفسه قانوناً مماثلا له جرى تعديله في ٢٦ حزيران ١٩٣٠ . وصدر مثله في شاطيء الذهب في اول نيسان ١٩٢٦ ، ومثله في نيجيريا . وتجيز هذه القوانين اعادة الكفالة للمهاجر اذا اثبت حسن سلوكه بعد ١٨ شهراً في غامبيا وسيراليون ، وبعد ٦ اشهر في شاطيء الذهب . ويعطى المهاجر الجديد بطاقة اقامة بعد دخوله باسبوعين .

ومما يجدر ذكره ان حكومة غامبيا تشدد اكثر من غيرها في قبول مهاجرينا الجدد . وقد فرضت عليهم قيوداً جعلت دخول المهاجرين الجدد الى غامبيا مستحيلا . فالمهاجر اللبناني السوري بضاعة ممنوعة الدخول من الوجهة العملية .

ويتوقع العارفون ان تتخذ السلطات الانكليزية تدابير جديدة لتحديد الهجرة ، اذ ان الشروط القاسية المفروضة بعد اليوم على الهجرة الى المستعمرات الفرنسية ستحول اتجاه الهجرة نحو المستعمرات الانكليزية . فاذا اشتد الفيضان اضطرت حكومات هذه المستعمرات الى فرض قيود جديدة .

٣ — في الغينة البرتغالية

كان دخول هذه المستعمرة في السابق حراً من كل قيد سوى جواز السفر ، لذلك كان يلجأ اليها كثير من المهاجرين المنفيين من المستعمرات المجاورة . ولكن تدفق الهجرة ارغم الحكومة على تقييدها ، فصدر في ٢٧ شباط قانون يضع للهجرة شروطاً مماثلة للشروط الفرنسية . ثم عادت الحكومة فاستبدلته في ٧ كانون الاول ١٩٢٩ بقانون آخر اصرم منه وهو يقضي بما يلي :

١ — على المهاجر الجديد ان يحمل جواز سفر ، ونسخة من سجله العدلي عمرها اقل من ثلاثة اشهر ، وشهادة صحية مصدقة من القنصلية البرتغالية .

٢ — على المهاجر ان يدفع كفالة نقدية قدرها ٢٠٠٠ اسكودوس (٣٠٠٠ فرنك) ويستثنى من الكفالة نساء المهاجرين واطفالهم القاصرين اذا سمح لهم بدخول المستعمرة.

٣ — بعد قبول المهاجر ، تعطيه ادارة البوليس بطاقة اقامة مماثلة للبطاقة المعطاة في المستعمرات الانكليزية والفرنسية ثمنها ٢٥٠ اسكودس ويجري تجديدها مرة كل ثلاثة اشهر .

٤ — اذا اقام المهاجر خمس سنوات متواصلة في المستعمرة ، يحق له الحصول على بطاقة اقامة دائمة ثمنها ٥٠٠ اسكودس . واذا اضاعها او سرقت منه ، يمكنه الحصول على غيرها مقابل ٢٥٠ اسكودس .

٥ — تعاد الكفالة الى صاحبها اذا قدم طلبا الى الحاكم ونال منه الموافقة كما ان الحكومة تعفي من الكفالة الاجانب الملاكين في المستعمرة ، والتجار المسجلين دافعي الضرائب ، والمشتركين في الاعمال التجارية المسجلة لدى محكمة التجارة .

٤ — في جمهورية ليبيريا

في ٧ شباط سنة ١٩١٧ وضعت حكومة ليبيريا لاول مرة قانوناً يحدد شروط دخول واقامة الاجانب في البلاد ، واكملته في ١٨ شباط ١٩٢٨ بقانون آخر اسمه :

« قانون تنظيم اقامة الاجانب والمهاجرين في جمهورية ليبيريا » . وهو يقضي بان يحمل المهاجر معه،فضلا عن جواز سفره ، مبلغاً قدره مئة دولار ذهباً . وعندئذ تمنحه الحكومة بطاقة اقامة سنوية ، يجرى تجديدها مقابل رسم قدره ٥ دولارات اذا لم يكن هنالك ما يمنع تجديده .

٥ — في منطقة التوغو

الهجرة الى منطقة التوغو ضئيلة جداً ، وهي خاضعة في القسم الفرنسي الى نفس الشروط المفروضة على الهجرة الى المستعمرات الفرنسية ، وفي القسم الانكليزي الى نفس شروط المستعمرات الانكليزية .



الفصل الواحد والثلاثون

طريق المهاجر الجديد الى الثروة

كانت الهجرة الى افريقيه الغربيه افرادية ، فلما استقر المهاجرون الاول شعروا بحاجة الى توسيع اعمالهم ، فاستقدموا مهاجرين جدد من الوطن ، او استقبلوا برحابة صدر المهاجرين الوافدين من تلقاء انفسهم . وبوجه الاجمال كان معظم مهاجري الفوج الثاني من انسباء المهاجرين الاول او من اصدقائهم او من ابناء قراهم . ولا تزال الحالة كذلك حتى الان ، اذ يندر ان يدخل البلاد مهاجر جديد دون ان يكون له نسيب يساعده ، او صديق يستقبله .

وقد نشأ عن هذه الحالة « تكتل اقليمي » ، فترى اكثر مهاجري الزراوية مثلا في دكار وشاطيء العاج ، ومهاجرى طرابلس ودمشق في شاطيء الذهب ، ومهاجري جويا في بوكيه (الغينه الفرنسية) ولاغوس وكانو ، ومهاجري مزيارة في نيجيريا ، ومهاجرى صور في السنغال وسيراليون ، الخ .

*

على هذا ، يأتي المهاجر من الوطن او من مهجر اميركي وهو خالي الجيب تقريباً ، سلاحه الوحيد ساعده وامله . فيحل عند احد ذويه او مواطنيه . والعادة ان يبدأ العمل بالاستخدام عند مهاجر قديم ، فيتعلم خلال ذلك لغة البلاد واصول البيع والشراء ويتعرف على اسرار المهنة . وعندما يأنس في نفسه الاهلية للعمل وحده ، يترك الاستخدام ويفتح بما لديه من رأس مال زهيد وخبرة مكتسبة حانوتاً صغيراً ، ثم

يتدرج في الثروة حسب الظروف والحظ والمقدرة العملية .

وبعض المهاجرين الجدد يجدون مساعدات كبيرة حال وصولهم اذ يفتح لهم ذووهم حوانيت صغيرة ، ويكفلونهم لدى الشركات كي تسلمهم البضائع بالدين ، او يرسلونهم للمتاجرة في الداخلية . وقليلون هم الذين يغامرون في العمل دون مساعدة .

ويبدأ المهاجر في توطيد اقدامه مادياً منذ الساعة التي يبدأ فيها العمل لحسابه ، فيشرع في الجهاد لجمع الثروة ، مقتراً على نفسه حتى يتوفر لديه رأس مال كاف ، فيوسع نطاق عمله . واذا بسمت له التقادير ، يصبح من الاغنياء القادرين على مساعدة غيرهم . وهكذا دواليك .

ولا يمكن تحديد المدة التي يحقق فيها المهاجر امنيته . فهي تتراوح بين الخمس سنوات والعشرين سنة ، او الثلاثين احياناً . بل هناك مهاجرون قدماء لا يزالون عاجزين حتى عن كفاية انفسهم . ولا اغالي اذا قلت ان المهاجرين الذين اجتازوا جميع مراحل العمل بنجاح قلائل ، لا تزيد نسبتهم عن العشرة بالمئة من المجموع .

ميزات مهاجرنا التجارية — التجارة تحتاج الى اهلية شخصية ، واهلية مهاجرنا التجارية لا تحتاج الى برهان . واهم عنصر فيها مقدرته على الاختلاط بالعبيد بسهولة يعجز عنها الاوروبي . ذلك ان مهاجرنا الجديد يعيش عيشة اجتماعية بسيطة ، بينما يحرص الاوروبي دائماً على مستواه الاجتماعي الرفيع . وقد رأى الزنجي ان مهاجرنا اقرب اليه من الاوروبي فاقبل على التعامل معه . وهكذا يدخل الزنجي محل التاجر اللبناني السوري بلا تردد ، ويساومه ربع ساعة على حاجة حقيره ولا يجرأ على ولوج محل اوروبي او الوقوف في بابه . ومهاجرنا بطبيعته الشرقية بسيط ، يتساهل مع الزنوج ويعاملهم بتواضع و كرم ، واحياناً يغالي في التراخي معهم لدرجة يتوهمون معها انهم ذوو منة عليه .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان معيشة مهاجرنا لا تحتاج الى نفقات مادية باهظة كمعيشة التاجر الاوروبي ، فيستطيع القناعة بالربح الضئيل وبيع بضاعته بسعر ارخص من اسعار غيره ، مما يزيد في الاقبال عليه .

وبفضل هذه الميزات اصبح مهاجرنا اخبر من غيره بطباع العبيد وميولهم ، يعرف ما يحبون من البضائع ، ويعرف كيف واين ومتى يجب تصريف هذه البضاعة او تلك . وهو داهية في تجارته مهما كانت صغيرة ، ماهراً في اساليبها ، يستطيع ان يوسعها ويضيقها بسهولة غريبة مستحيلة على غيره . ويثبت مهاجرنا في حانوته ولا يغادره الا نادراً ، وبذلك ينشىء لتجارته كتلة دائمة من الزبائن ، مضمونة كيفما تقلبت الظروف . ويندر ان يهجر مهاجرنا حانوته الا اذا انتقل الى محل احسن منه . وعندئذ يخلف في الحانوت الاول نسيباً او صديقاً او شريكا .

واللبناني السوري هو التاجر الابيض الوحيد الذي يدين العبد مبالغ كبيرة من الاموال والبضائع ، على ان يفيها العبد في ايام الموسم . وهذا الدين لا يرتكز في اكثر الاحيان على اي ضمانة او كفالة ، بل على امانة العبد فقط . فاذا اعاد المال في الموسم كان به ، والا خسره مهاجرنا . وكثيراً ما يكون الموسم سيئاً ، فيفقد التاجر كل امل باستعادة دينه مهما اكثر من ملاحقة المدين .

وقد كان شعار تجارة مهاجرنا ولا يزال : بيع البضائع بربح ضئيل ومشترى المحصول بربح ضئيل . وبفضل هذه الخطة تكثر الكميات المباعة والمشتراة ، وتؤلف الكثرة ربحاً كافياً يعوض عن الربح الناشىء عن بيع القليل بالاسعار الغالية .

معيشة المهاجر الجديد — في اول عهد الهجرة الى افريقيه ، كان المهاجر يعيش عيشة بؤس وفقر . ينام على الارض او فوق « الكونتوار » ويقتات باكل العبيد معرضاً نفسه للحميات والامراض . اما الان فالمهاجر الجديد لا يحتمل مثل هذه المصاعب ، بل يجد كل شيء امامه ممهداً من ناحية المعيشة الضرورية . ومع ذلك فان معيشة قسم كبير من مهاجرينا لا تزال غير مرضية ، خصوصاً في داخلية المستعمرات. ففي بعض القرى والزوايا البعيدة تمر على بعض المهاجرين اسابيع لا يذوقون خلالها الخبز والفواكه ، بل يقنعون بطونهم بمآكل الزنوج وثمار الحرش . وليس بينهم من يتحمل مثل تلك المعيشة بلاده مهما كان معدما . ولكن هي الغربة ، وفي الغربة يتحمل اللبناني السوري كل شيء ، اجل كل شيء !

والتاجر الاجنبي في افريقيه الغربيه لا يستطيع ان يعمل شيئاً قبل ان ينظم منزله ويؤمن السيارة والبراد والمشروبات والخضروات والفواكه والخدم ، فينفق رأس ماله قبل ان يبدأ عمله . اما مهاجرنا فانه يعمل كل شيء قبل الاهتمام بنفسه . ولا يفكر بالرفاهية والكماليات الا بعد ان يكون قد اصبح مثرياً ، اي بعد سنين طويلة من الجهاد المضني .

والارباح في افريقية كبيرة لمن يمتلك رأس مال كبير . ولما كان مهاجرنا الجديد فقيراً ، فانه يقنع بالربح الضئيل في البدء كي يكوّن رأس مالا كافياً ، ويقضي السنين الطويلة في الاقتصاد والتوفير حتى يبلغ مناه . فالتقتير على النفس هو الركن الاول في تكوين ثروة المهاجر .



الفصل الثاني والثلاثون

انواع التجارة اللبنانية السورية

المهاجر اللبناني السوري في افريقيه الغربية تاجر بطبيعته ، وطبيعة الظروف المحيطة بقدومه واقامته ، فالتجارة هي اساس المحيط المادي في القارة السوداء ، واضمن واقرب منفذ الى الثروة ، واسبابها متوافرة بوجه الاجمال للجميع . وقد كانت مصدر ثروة المهاجرين السابقين ، فمن الطبيعي ان يعتمدها المهاجرون الجدد .

والتجارة من دكار حتى لاغوس ، ترتكز على اساس واحد ، وهو المحصول الزراعي . يزرع العبد او يجني الفستق وزيت الباليست وبزره والكولا والكاكاو والقهوة وغير ذلك من المنتوجات المزروعة والطبيعيه ، ثم يبيع محصولة من البيض ويشتري بأثمن كله ملابس وبضائع وخرضوات اوروبية دون ان يوفر شيئاً.

تجارنا والشركات — في كل مستعمرة من مستعمرات افريقيه الغربية شركات اوروبية كبرى ، يرد بواسطتها ويخرج ٩٥ بالمئة من واردات البلاد وصادراتها ، فهي سيدة التجارة في البلاد ، تتصرف بمقدراتها كما تشاء ، وتفرض ارادتها على الاسواق كما تريد . وعلى هامش هذه الشركات تقوم تجارة المهاجر اللبناني السوري . وقد يبدو دوره ثانوياً لاول وهلة ، ولكنه اساسي في الواقع ، لان مهاجرنا هو صلة الوصل الرئيسية بين الشركات وبين الزبائن العبيد . فهو يشتري البضائع من الشركات بالجملة ونصف الجملة ، ويبيعها للعبيد بعد طول العناء بربح ضئيل . ثم يشتري المحاصيل من

العبيد ويبيعها بدوره الى الشركات بربح ضئيل ايضاً . هكذا تمر تجارة البلاد بين يديه ذهابا وايابا مرور « الترانزيت » ولا يعلق منها بين اصابعه سوى القليل . ولا انكر ان بين مهاجرينا جماعة يستوردون البضاعة رأساً من الخارج ويوزعونها على صغار التجار ، ولكن الشركات هي صاحبة الحصة الكبرى بفضل رساميلها الكبيرة وعلاقاتها الواسعة بالاوساط التجارية في العالم .

وكانت الشركات تعتمد قديماً وكلاء من الاوروبيين او من العبيد في ادارة فروعها وحوانيتها الصغيرة ، وفي ابتياع المحصول . فلما دخل مهاجرنا الى الميدان ، شعرت الشركات باهليته ، ووجدت ان الوكيل الاوروبي يكلفها غالياً ، والوكيل الاسود يعرضها للخسارة بسبب عقليته البعيدة عن التجارة ، فعمدت الى وضع ثقتها بمهاجرينا وتزويدهم ببضائعها ، ومشترى المحصولات على ايديهم . ولا شك ان كثيرين من مهاجرينا مديونون لشركات بنجاحهم ، كما ان الشركات مديونة لهم بقسط وافر من ارباحها .

ويقسم التجار اللبنانيون السوريون ثلاثة اقسام : تجار الجملة ، تجار نصف الجملة والمفرق ، تجار القرى والمحصولات .

تجار الجملة — كان مهاجرونا في اول عهد الهجرة يشترون كل بضائعهم من الشركات الاجنبية . وعلى مرور الزمن اثرى بعضهم ، وشعروا بمقدرتهم على استيراد البضائع من الخارج والاستغناء بتاتاً عن الشركات . وهكذا برزت الى الوجود فئة مستوردي الجمله من ابناء العرب ، يشترون من اوروبا واميركا واليابان الكميات الكبيرة ، ويوزعونها على تجار المفرق . وقد لاقت هذه الفئة رواجا حسناً ، فتنظمت رويداً رويداً ، واصبح لها الان وكلاء دائمون في مراكز التصدير الاجنبية مثل باريس ومرسيليا ومانشستر وليفربول الخ . وهناك تجار يقسمون محلاتهم قسمين ، قسم في اوروبا للتصدير وآخر في افريقيه للتصريف ، او يعتمدون بعض الاصدقاء او الانسباء او البيوتات الاجنبية لتمدهم بالبضائع .

على ان تجارة الجملة التي يمارسها بعض مهاجرينا لم تؤثر كثيراً على الشركات .

اجل ، قد اضطرتها احياناً الى تخفيض اسعارها ، ولكنها ظلت تسيطر على ٩٠ بالمئة من واردات البلاد .

تجار نصف الجملة والمفرق — يؤلف هؤلاء العنصر الاكبر بين تجار جاليتنا ، فهم الذين يستهلكون البضائع بنصف الجملة ويبيعونها بدورهم الى العبيد بالمفرق ، ويتحملون في سبيل ذلك عناء كبيراً ، لان زنجي المدن مزعج في معاملته ، لا يشتري بالفرنك او بالبني الا بعد ان يزهق روح البائع .

ويستمد تجار المفرق بضائعهم اما من الشركات او من تجار الجملة ، ويدفعون اثمان البضائع على اقساط دورية ، يستحق اكثرها في ايام الموسم . ويحرص تاجر المفرق على ان يكون حانوته في نقطة معروفة لان العبيد لا يقصدون المحلات النائية . وتراه ناشراً بضائعه من اعلى المحل الى اسفله ، بحيث يبدو كل لون من الالوان جلياً واضحاً ، لان العبد لا يشتري الا ما تقع عليه عينه ، واذا اعجبه شيئاً ما ، اشتراه بالثمن الغالي .

وتجارة المفرق هي كما ذكرت في الفصل السابق ملجأ قسم كبير من المهاجرين الجدد . وبعض محلات الجملة تفتح فروعا متعددة لها في المدن الكبرى ليسهل تصريف « الستوكات » المتراكمة لديها ، او تزود تاجر المفرق بالبضائع بقدر ما يشاء ، والارباح مناصفة .

تجار القرى والمحصولات — هؤلاء هم الركن الاساسي في التجارة اللبنانية السورية ، فهم الذين يشترون المحاصيل من العبيد ويبيعونهم البضائع . وبقدر ما تكون تجارتهم رائجة زاهرة تكون احوال الجالية كلها زاهرة .

وتجارة القرى تعتمد بصورة خاصة على ايام المواسم ، بل جل اعتمادها عليها ، ففي المواسم يكثر المحصول ، وبالتالي يكثر المال بيد العبد ، فيقبل على مشترى الملابس وامثالها . وهناك محلات في العواصم تفتح في الداخل فروعا لمشترى المحصول ، او تعتمد محلات اخرى ، او تمدها بالمساعدات المادية وبالبضائع في ايام المواسم . ففي السنغال مثلا ، يمد تجار دكار عملاءهم في الداخلية بالاموال والبضائع قبيل دخول الموسم .

وفي الحال يأخذ العملاء في توزيعها بالدين على العبيد ، لكي يسددوا ثمنها فستقاً في الموسم . وهذه التجارة تعود بارباح طائلة ، ولكنها تتطلب رأس مال وافراً ومقدرة على ملاحقة العبد ، كما انها تعرض للخسائر البالغة اذا كان الموسم ماحلا .

وهناك تجار او وكلاء او عملاء يشترون المحصولات من المناطق البعيدة ، فيركب الواحد منهم سيارة الشحن الى ابعد الزوايا والقرى ، فيشتري المحصول من ارضه ويورده الى العميل ، كما هي الحالة في تجارة الكولا في شاطيء العاج ، والفستق في كانو (نيجيريا) . ويقاسي هؤلاء الرسل مصاعب كثيرة ويعرضون انفسهم لاخطار متنوعة .

وليس بين تجارنا من يصدر المحصول الى الخارج — الا بضعة انفار في كل افريقيه الغربيه — بل يعود كل شيء الى الشركات . فعندما تتجمع لدى تاجر المفرق كمية من المحصول ، يبيعها لفرع الشركة في قريته او يشحنها لاحد تجار العاصمة ليبيعها هذا بدوره الى الشركة . ويتعهد بعض التجار احياناً تقديم كميات معينة من المحصولات للشركات ، ويرتبطون باتفاقيات وسمية بشروط محدودة . ومثل هذه الاتفاقيات تعرض المتعهد للربح وللخسارة حسب اسعار الموسم . فالموسم كما اسلفنا هو روح التجارة في المستعمرات ، لاسيما في المناطق ذات الموسم الزراعي الواحد كالسنغال وغامبيا وشمال نيجيريا . وفي اشهره الثلاثة او الاربعة يشتغل التاجر اضعاف ما يشتغله في بقية اشهر السنة .

وهناك محصول واحد لا يباع للشركات ، وهو « الكولا » . فهذه المادة محصورة في ايدي ابناء العرب ، يشترونها من عبيد شاطيء العاج وسيراليون ، ويشحنونها الى مواطنهم في السنغال ونيجيريا والغينه وغيرها . اما بقية المحصولات فان الشركات تنال منها حصة الاسد اولا وآخرا .

« بورصة » المحصولات — تشبه تجارة المحصولات احوال البورصة . فالتاجر يهيء نفسه للموسم ويبدأ بالمتاجرة على اساس معين . واذا بالموسم الجديد يأتي فائضاً او ماحلا ، واذا بالاسعار ترتفع وتهبط بلا مقياس فتحل به الخسارة او يسعده الربح .

وتتوقف اسعار المحصولات على العرض والطلب ، وعلى مدى نجاح الموسم . وقد تتآمر الشركات على زيادة الاسعار او انقاصها ، فيتعرض تجار المحصولات لمفاجآت ينجم عنها افلاس او غنى . وكثير من المهاجرين فقدوا اموالهم او اثروا بين عشيه وضحاها ، بسبب التقلبات الفجائية في الاسعار .

واخص بصفة البورصة تجارة الكولا ، فاسعارها تتقلب بسرعة البرق لعدم وجود مركز منظم يحدد اسعارها او يعدلها . فقد تكون اسعارها ممتازة في اول الاسبوع ، فيبادر المصدرون الى شحن كميات منها . ولكن قبل وصولها الى مكانها ، تهبط الاسعار وتنكب التجار ، والعكس بالعكس .

ولا تتوقف الخسارة على تجارة المحصولات ، بل تتعداها الى تجارة الواردات ايضاً. فقد يستورد التاجر من الخارج كميات كبيرة من البضائع ليجري تصريفها في الموسم . واذا بالموسم يأتي عاطلا ، فتبور البضاعة وتبقى ملقاة في المستودعات . ثم يحل موعد تسديد ثمنها ، فاذا لم يقنع الشركات بتأجيل السحب ، اضطر الى الاستدانة او الى بيع « الستوك » باسعار متدنية ليفي الاقساط . واذا كان ذا رأسمال قوي واستطاع دفع الاقساط من صندوقه وترك البضاعة مودعة في المستودعات للموسم القادم ، يظل معرضاً للخسارة ، لان البضائع قد تتلف او تزول « موضتها » فتبور .

وقد وقع مهاجرونا بهذه الهوة في سنة ١٩٣٨ . كان موسم السنة السابقة ٣٦-٣٧ عظيما بسبب غزارة المحصول وارتفاع الاسعار في آن واحد . فتوهم تجارنا ان الموسم القادم سيكون حسناً اذا لم يكن ممتازاً كسلفه ، واستوردوا البضائع من الخارج بكثرة ، وملأوا المستودعات بها وجلسوا يحسبون حساب الارباح الطائلة في الموسم العتيد . ولكن تفاؤلهم ذهب سدى ، اذ جاء الموسم سيئاً والاسعار متدنية . وبقدر ما كانت الارباح بالغة في سنة ١٩٣٦ - ٣٧ ، كانت الخسائر بالغة في موسم ٣٧ - ٣٨ .

تجارة البضاعة البلدية — الى جانب تجارة المحصولات نشأت تجارة جديدة ، «تجارة البضاعة البلدية» اي المواد المستوردة من الوطن ، مثل السمن والزيت والعدس والفول والحمص والبرغل والحلاوة والطحينة والدبس والنقولات والسكاكر

والحلويات الخ .

وتلاقي هذه التجارة رواجا بسبب كثرة عدد مهاجرينا . ولا تخلو بلدة كبيرة من بضع محلات مخصصة لها ، بحيث يستطيع المهاجر اللبناني السوري الحصول على جميع العناصر الغذائية اللازمة لطهي المأكولات الشرقية العزيزة عليه ، وفي مقدمتها «الكبة» .

ويستورد تجار هذه البضاعة معظم بضائعهم من الوطن ، وقليل منها من ايطاليا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وشمال افريقيه . وترد من الوطن ايضاً الاحذية والحقائب والشماسي وبعض المصنوعات الوطنية الاخرى كمنتوجات معمل « الكونسروة » في دمشق . على ان نسبة استهلاك البضائع الوطنية قليلة في الوقت الحاضر . ولو كان عندنا مكتب اقتصادي يزود المهاجرين بتفاصيل البضائع الوطنية ومصادرها لوجدت سوقا رائجة في المهاجر الافريقيه ، كما يمكن ان تجد بعض المنتوجات الافريقيه رواجا في بلادنا كالجلود والقهوة والاخشاب الخ .

ومما يجدر ذكره ان مهاجرينا يكادون يحتكرون تجارة المأكولات والمواد الغذائية والمحفوظة في العلب ، في اكثر المستعمرات .

الفصل الثالث والثلاثون

تنظيم التجارة اللبنانية السورية ومشاكلها

في بلادنا مثل يقول : التجار ثلاثة ، تاجر وتويجر ودخيل على التجارة . فالتاجر هو الذي يتاجر بنصف رأس ماله وارباحه ويدخر النصف الآخر للملمات ، والتويجر هو الذي يتاجر بكل رأس ماله وارباحه ، والدخيل على التجارة هو الذي يتاجر باموال مستدانة تفوق رأس ماله باضعاف الاضعاف .

ولو اردت ان اوزع مهاجرينا نسبياً على اساس هذه القاعدة ، لقلت ان ستين بالمئة منهم يدخلون في البابين الاول والثاني ، والاربعين بالمئة الباقين ينطوون تحت الباب الثالث .

ورب قائل ان جميع مهاجرينا دخلوا هذه البلاد بلا رساميل ، فمن الطبيعي ان يتاجروا باموال غيرهم . وهذا اعتراض وجيه في حد ذاته ، ولكن من يتاجر باموال غيره يتوجب عليه — على الاقل — ان يطبق المثل المذكور اعلاه على ارباحه ، فيتاجر بنصفها ويدخر النصف الآخر . هذا الحذر التجاري يكاد يكون مفقوداً ، فقليلون هم الذين يتاجرون باموالهم وحدها ، واقل منهم الذين يتاجرون براس مالهم المالي وحده دون ادخال قيمة العقارات في صلبه .

ويعترض آخرون ان الموسم يتطلب من التاجر توزيع كل امواله ، والاستعانة باموال غيره اذا امكن ، لان الربح يكثر كلما كثر المال الموظف في الموسم . حجة لا تقبل الرد لو كان الموسم يأتي دائماً ناجحاً ، ولكن ماذا يكون المصير اذا جاء الموسم

سيئاً ؟ بكلمة واحدة : الافلاس . وحوادث ١٩٢٧–٢/ و ١٩٣٠–٣١ شاهد على ذلك .

انعدام الدفاتر التجارية — واذا افترضنا ان مهاجرينا ارادوا المتاجرة برساميلهم وحدها ، فانهم لا يستطيعون . اذ أنى لهم ان يعرفوا ما لهم وما عليهم ما دامت الدفاتر التجارية معدومة عندهم ؟

التاجر الصحيح هو الذي يسجل تجارته كلها في دفاتره ، ويستخرج منها الميزانيات الشهرية ونصف السنوية والسنوية ليعرف ارباحه وخسائره ، ويستطيع بنظرة واحدة معرفة مركزه المادي في كل دقيقة ، ويعرف من اي مادة ربح ومن ايها خسر ، وكم كانت نسبة الربح او الخسارة .

هذا التنظيم التجاري مفقود عند مهاجرينا الا ما ندر . الاكثرية الساحقة لا تعتمد في تجارتها الا على الذاكرة او على دفاتر الخرطوش . اما الدفاتر التجارية الكاملة فلا أثر لها . ولا شك ان فقدان هذا التنظيم سبب من اسباب الاضطراب في ثروات مهاجرينا ، لاسيما في ايام المواسم عندما تكثر الاموال بين الايدي ، وتعجز الذاكرة عن حصر الداخل والخارج ، وعن التمييز بين رأس المال وبين المال المستدان وبين الربح ، وبين مصادر الربح ومصادر الخسارة .

والاجانب ينتقدون مهاجرينا انتقاداً مراً من هذه الناحية ، ولهم الحق في ذلك . فالتاجر يجب ان يكون سيد تجارته لا عبدها . وكيف يمكن ان يكون سيدها وهو يجهل احوالها وتقلباتها ، مع العلم بان التجارة تتقلب كالافعى باستمرار ؟

انا لا انكر ان بين مهاجرينا افراداً يقتنون كلما تتطلبه التجارة الصحيحة من الدفاتر والسجلات ، او يعنون بنصفها على الاقل ، ولكنهم افراد لا يعتد بهم . ولا ادري لماذا لا يعتمد بقية تجارنا دفاتر منظمة . قد يدعون العجز او الجهل بذلك . ولكن بين العبيد شباباً ماهرين في مسك الدفاتر ، يمكنهم القيام بتلك المهمة على اكمل وجه باجرة ضئيلة ، وهم يؤلفون ٩٥ بالمئة من كتبة الشركات الاجنبية ، فلماذا لا تحذو حذوها ؟ يزعم بعضهم ان الكاتب الاسود قد يتلاعب بالحسابات او قد

يفشي اسرارها ، ولكنه زعم افتراضي لا يطبق على المجموع ، ولاسيما وان مفتاح الصندوق هو دائماً بيد التاجر لا الكاتب .

وقد علمت ان حكومة افريقيه الغربية الفرنسية اصدرت قراراً يحتم على التجار الذين يدفعون ضريبة التمتع من الدرجة الاولى الى الخامسة (٣٠٠ فرنك تقريباً فما فوق) ان يقتنوا دفاتر تجارية مضبوطة ، ابتداء من اول تشرين الاول ١٩٣٨ .

التاجر الذي تستند تجارته على دفاتر منظمة يقف على صخرة موطدة الاركان فاذا تداعت الصخرة وتشققت ، استطاع ان يرى مكان الشق فيعالجه قبل وقوع الكارثة او ينزل عن الصخرة وينجو بنفسه . اما الذي يترك تجارته فوضى فانه يهوي مع الصخرة ويتلاشى قبل ان يدرك السبب ، فهل يعتبر مهاجرونا ؟

الشركات — كلما كبر رأس المال المستثمر في افريقيه الغربية ازدادت نسبة الربح وهكذا نجد ارباح الشركات الاجنبية ضخمة بالنسبة لارباح ابناء العرب بفضل مقدرتها المالية . ولو استطاع بعض مهاجرينا تأليف شركة مساهمة في افريقيه الغربية او في بعض مستعمراتها للمتاجرة بالصادرات والواردات ، تحت اشراف ادارة حازمة منتظمة فان اعمالها تزدهر ازدهاراً شديداً . ويكفي ان يشتري المساهمون انفسهم بضاعة هذه الشركة ويبيعونها المحاصيل ليضمنوا لها النجاح .

وقد جرت محاولات فردية لتأليف شركات لبنانية سورية ، ونشأت فعلا شركات عديدة في مختلف المستعمرات ، ولكن اكثرها زال من الوجود بسبب ضعف رأس المال ، او ظل ضعيفاً صغيراً بالنسبة للشركات الاجنبية .

وفي اكثر العواصم سمعت كبار تجارنا يشيدون بالنتائج المادية الباهرة التي تنجم عن تأسيس شركة تجارية كبيرة . ولكن القول لم يتحول الى العمل حتى الآن . واعتقد انه لن يتحقق الا اذا وجدت شخصية حازمة حائزة على ثقة المهاجرين ، فتكون دماغ الشركة وركنها الاساسي . وفضلا عن ذلك يمكن القول ان مهاجرنا بطبيعته لا يميل الى المساهمة في الشركات ، بل يفضل توظيف امواله كما يشاء لتكون تحت رقابته وتصرفه دائماً .

التنافس — لا تجارة بلا منافسة . ولكن للمنافسة ظروفا وحدوداً ، اذا تعدتها اصبحت تناحراً . ومن المؤسف ان النوع الثاني من المنافسة منتشر بكثرة بين تجارنا يأتي مهاجر الى قرية ويفتح فيها محلا ، ألا تمر مدة وجيزة حتى يسمع الناس بنجاحه فيتوافد ثلاثة او اربعة غيره الى القرية نفسها . وعندئذ تبدأ المضاربة وتتقلص الارباح . وكلما ازداد عدد التجار في القريه او في البلدة ازدادت الاسعار هبوطاً . وما يطبق على القرى يطبق على شوارع كثيرة في العواصم .

وقد يكون حب التقليد المتأصل في نفوس الشرقيين سبباً من اسباب التنافس . فاللبناني السوري يتهافت على كل نوع من التجارة ، او كل مكان تجاري ينجح فيه غيره ، ولا يفتش على افاق تجارية جديدة او اسباب مبتكرة . والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الحالة هي هبوط نسبة الارباح في الجمل والمفرق .

هذا التنافس على الخسارة هو من جملة العادات السيئة التي حملها بعض مهاجرينا معهم من البلاد ، وليتهم القوها في البحر ، وتعلموا من الاجانب والشركات الاجنبية درساً مفيداً في الاتفاق على تحديد الاسعار . ولن اذهب بعيداً فاقترح على مهاجرينا في كل مستعمرة تأليف نقابات لهم . ولكنني اكتفي بالفات النظر الى اضرار التنافس التي تصيب المتنافسين جميعاً دون استثناء .

تنظيم تجارة الكولا — ذكرت في الفصل السابق ان تجارة الكولا محصورة مئة بالمئة بين ايدي مهاجرينا في كل المستعمرات ، بيعاً وشراء . ولا يزيد عدد كبار تجار الكولا الشاحنين والمستوردين ، عن الاربعين في كل افريقيه الغربية ، ومع ذلك فان اسعار الكولا تتراوح دائماً بين الفرنك والعشرة فرنكات للكيلوغرام ، مع ان الزنجي خصوصاً في السنغال ، يقبل على مشترى الكولا مهما كان سعرها غالياً ، ولو اتفق التجار الشاحنون فيما بينهم ، وكذلك التجار المستوردون والموزعون ، لظلت اسعار الكولا ثابتة وظل الربح مضموناً للجميع .

ويقول بعضهم انه اذا تنظمت تجارة الكولا واصبحت ارباحها مضمونة ، يعمد جميع تجارنا الى المتاجرة بها ، ويطلبون اشراكهم بالارباح والا استوردوا الكولا على

حسابهم وضاربوا بها . وهذه الحجة معقولة ، ولكنها لا تمنع تجار الكولا — وهم افراد معدودون في كل بلدة — من عقد اتفاقات موقتة فيما بينهم كلما شعروا بوقف السوق ، او كلما وردت على السوق دفعات كبيرة . ومثل هذه الاتفاقات ممكنة بين التجار الشاحنين ايضاً اذا توفرت الرغبة المخلصة والنية الحسنة . والنتيجة على كل حال تكون في مصلحة الجميع .

وتقدر قيمة تجارة الكولا السنوية في كل مستعمرات افريقيه الغربيه بستين او بسبعين مليون فرنك ، يصدر منها شاطىء العاج اربعين مليوناً ، وسيراليون عشرة ملايين . وهذا يعني ان ارباح الستين او السبعين مليوناً تتوزع بين المشترين والشاحنين والمستوردين والموزعين وباعة المفرق من تجارنا . واحياناً يتحول الربح الى الخسارة عندما تلعب المنافسة دورها .

مهاجرونا وغرف التجارة — كانت غرف التجارة في المستعمرات الفرنسيه تتمتع بصلاحيات استشارية قبل الحرب . ولكن في سنة ١٩٢٣ صدر قرار يمنح الغرف التجارية صلاحيات ادارية مهمة ، ويحصر حق العضوية الفعالة فيها بالفرنسيين وحدهم ، واذا دخلها عضو اجنبي فان صلاحياته تظل استشارية ، وتبقى الصلاحية الادارية محصورة في ايدي الاعضاء الفرنسيين وحدهم .

وكان مهاجرونا في الغينه يشتركون قبل الحرب في انتخاب غرفة تجارة كوناكري ولكن بعد اعادة تنظيم الغرف التجارية على الشكل المذكور ، انقطعت كل علاقة بين مهاجرينا وغرف التجارة ، بل لوحظ في السنين الاخيرة ان غرف التجارة كانت تؤيد دائماً التجار الاجانب في حملاتهم على اللبنانيين السوريين وتتخذ ضدهم القرار تلو القرار .

ولا ادري لماذا لا يطالب تجارنا بحق العضوية الاستشارية على الاقل . لاسيما وانهم يؤلفون العنصر الاكبر في تجارة افريقيه الغربية الفرنسية . واعتقد ان وجودهم في داخل غرف التجارة يسهل الاتفاق بينهم وبين التجار الفرنسيين ويزيل كثيراً من اسباب الخلاف .

اما في المستعمرات الانكليزية فان عضوية غرف التجارة محظورة على مهاجرينا .

مهاجرونا والبنوك — يحتاج التاجر اللبناني السوري الى البنوك كما يحتاج اليها كل تاجر في العالم . فان التاجر مهما كان غنياً ، ومهما كان ذا رأس مال نقدي كبير ، لا يستغني عن الالتجاء للبنوك في بعض الاحيان . ويحتاج مهاجرونا للبنوك بصورة خاصة في ايام المواسم ، ويستهلكون خلالها اقصى ما يفتح لهم من الاعتمادات .

وتضع البنوك ثقتها بكثير من مهاجرينا ، وتفتح لهم اعتمادات كبيرة على اساس الخصم لاسيما في المستعمرات الفرنسية . وقد كان بعض مهاجرينا ينالون كريدي قدره نصف مليون فرنك من كل بنك بلا ضمانة، ولكن هذا الرقم هبط بعدافلاسات ١٩٣١ ، الى مئة الف فرنك على الاكثر ، الا مقابل رهن . ولا شك ان البنوك افادت نفسها وافادت مهاجرينا بتحديد الكريدي ، لان كثرة الاموال المستدانة بين يدي التاجر تدفعه الى المغامرة فيعرض نفسه للخسارة الهائلةاذا وقعت ازمةشديدة كما حدث في سنة ١٩٣١ يوم افلس العشرات من مهاجرينا .

اما في المستعمرات الانكليزية فان البنوك قاسية لا تمنح اي تسهيلات في الخصم . وقد تضع ثقتها بافراد قلائل ، ولكن المجموع بصورة عامة لا يستفيد من كريدي البنوك . ولا شك ان هذا التشديد افاد مهاجرينا ، والبرهان على ذلك ان الموسم كان سيئاً في سنة ١٩٣٧-٣٨ ، فلو كان تجارنا مديونين للبنوك بكثرة لافلس كثيرون .



الفصل الرابع والثلاثون

مهاجرونا في غير ميدان التجارة

يقدر عدد مهاجرينا المشتغلين في التجارة وفروعها بتسعين بالمئة ، فماذا يعمل الباقون ؟

اكثرية الباقين تحترف المهن المعروفة الاخرى . فكثرة عدد المهاجرين تطلبت اعمالا اخرى غير التجارة ، كالحلاقة والخياطة والمطاعم والحانات . وهناك نفر قليل من الزارعين وذوي المهن الحرة . وتلعب السيارات دوراً مهما في تجارة جاليتنا ، واكثر كبار التجار يقتنون السيارات لشحن المحصول ، كما ان بعضهم تخصصوا في مهنة المواصلات فاشتروا سيارات عديدة واصبحوا عنصراً ضروريا للتجارة بين الشاطيء والداخل . وبعضهم يشترون سيارات للركاب او للتاكسي وما اشبه ذلك . واكثر السواقين من العبيد ، ولكن بين مهاجرينا كثيرين يحملون اجازة السواقة ، لان السواقة في افريقيه سهلة بسبب قلة المرتفعات والمنعطفات . وكثيرون يقتنون سيارات خصوصية .

وليس لمهاجرينا اي اثر في الصناعة ، لان الصناعة نفسها مفقودة في كل افريقيه الغربيه .

المهن الحرة — في الوقت الذي تشكو فيه بلادنا من التخمة في الاطباء والمحامين والمهندسين، تشكو افريقيه الغربيه من قلتهم ، فعدد جاليتنا يبلغ العشرة آلاف ، وعدد لاطباء اللبنانيين السوريين لا يتجاوز العشرين ، جميعهم في العواصم . وهكذا يضطر

اكثر مهاجرينا الى الالتجاء الى الاطباء الاوروبيين او العبيد .

وتعزى هذه القلة لسببين رئيسين ، اولهما ان ذوي المهن الحرة والمتعلمين علوما عالية ، لا يميلون للهجرة الى افريقيه ، وثانيهما الشروط التي تقيد دخول ذوي المهن الحرة الى المستعمرات . فالحكومة الفرنسية تحتم على الطبيب المهاجر ان يكون قد نال شهادته من مدرسة فرنسية ، وان تكون الشهادة مصدقة من الدوائر الفرنسية الرسمية . والسلطات الانكليزيه تطلب ان يكون متخرجا من مدارس انكليزية او اميركية .

ويستفيد الاطباء في هذه البلاد فائدة مادية حسنة ، وبينهم اطباء جمعوا ثروات طائلة من مهنتهم . واكثر زبائن الاطباء هم من الاجانب والعبيد ، لان الشرقي لم يتعود بعد زيارة الطبيب الا في حالة الضرورة .

وليس في افريقيه الغربيه كلها محام لبناني سوري يمارس مهنته ، فمهاجرونا في المستعمرات الفرنسية يلجأون الى المحامين الفرنسيين ، وفي الانكليزية الى المحامين السود او الانكليز ، كما انه لا يوجد اي مهندس مع كثرة المباني التي يبنيها ابناء العرب .

ولا انصح بان يتدفق سيل الاطباء والمحامين والمهندسين على افريقيه الغربيه كما تدفق سيل الهجرة العادية ، بل اقول ان مهاجرينا بحاجة الى عدد محدود من هؤلاء بشرط ان يكونوا من ذوى الاهلية والثبات ليكون نجاحهم مضموناً تجاه المنافسة الاجنبية .

الزراعة — التربة الافريقيه غنية غنى فاحشاً ، ونشيطة بصورة مدهشة ، فاذا استثنينا بعض انحاء السنغال والسودان والنيجر ، وجدنا ان الاخضرار لا ينقطع طول فصول السنة ، والمواسم الزراعية متواصلة بفضل الامطار والندى والرطوبة . الشجرة الواحدة تحمل البراعم والزهرة والثمرة العجرة والثمرة الناضجة في آن واحد . فوج يتلو فوجا . ولكن الزراعه لم تجد حظوة في عيون مهاجرينا ، لان اكثرهم جاؤوا من مناطق زراعية هاربين من الزراعة . والزراعة في افريقيه تتطلب خدمة قاسية

قبل ان تدر على صاحبها النتيجة المرغوبة . يجب ان يتعهدها دائماً، وينفق عليها بسخاء ويعتني بتسميد الارض ويحسن معاملة العمال العبيد ويتحمل بلادتهم وكسلهم . فمن الطبيعي تجاه هذه الحالة ان يولي مهاجرونا الجدد والقدماء وجوههم شطر الناحية التي تدر عليهم الربح السريع ، اعني التجارة .

ورغم ذلك كله ، اتجهت فئة صغيرة منهم نحو الزراعة ، ففي الغينه الفرنسية خمسون لبنانياً تقريباً يعملون في زراعة الموز ، وفي شاطيء العاج عشرة يشتغلون في زراعة القهوة والكاكاو . وليس في سيراليون سوى مزارع واحد ، وفي السنغال توجد ستة بساتين للازهار . وجميع الذين احترفوا الزراعة يجنون نتائج حسنة .

وتستورد المستعمرات كميات مهمة من الاثمار من اوروبا وافريقيه الجنوبيه واميركا الجنوبيه والشماليه ، كالتفاح والاجاص والعنب والبطيخ والبرتقال ، وتباع هذه الفواكه باسعار فاحشة بالنسبة لبلادنا ، فسعر كيلو العنب يتراوح بين ١٠ و ١٥ فرنكا ، ومثله او اكثر منه بقية الفواكه . وقد ثبت ان التربة الافريقيه تستطيع ان تنبت بعض هذه الفواكه بشيء من الصبر والنفقة والعناية على اساليب الفن الحديث .

ومهما يكن من الامر فان الزراعة لن تستهوى مهاجرينا كالتجارة ، خصوصاً وانها تقيد العامل به وتربطه الى مكان واحد لسنوات لا حد لها . وقد سمعت بعض الرجال الرسميين في مختلف المستعمرات يشكون من عدم اقبال مهاجرينا على الزراعة ويعدون بالتشجيع والمساعدة لمن يقبل عليها .

ومما يجدر ذكره ان الكثيرين من مهاجرينا ينشئون الى جانب منازلهم حدائق صغيرة لزرع الخضروات والبقول المعروفة في بلادنا كالبقدونس والنعنع والبصل والباذنجان والبندورة والفلفل والخس الخ . وقد تعود الزنوج زراعة الخضروات فاصبحت متوافرة للابيض .

الملاكون — المهاجر اللبناني السوري ليس كالعلق كما يزعم الاغيار . انه لا يمتص ثروة البلاد وينقلها الى الخارج ، ويكفي ان نجيل الطرف في شوارع دكار مثلا وفي جميع قرى الداخلية في كل المستعمرات الافريقيه لنرى ان مهاجرنا ساعد على

عمران البلاد ، ووضع قسما وفيراً من امواله منها . ففي افريقية الغربيه الفرنسية تقدر قيمة مباني وامـلاك اللبنانيين السوريين بمثني مليون فرنك ، ورنا مثل ذلك في المستعمرات الانكليزية .

وقد اتجهت انظار مهاجرينا الى البناء عندما شاهدوا الارباح الطائلة التي تدرها الاجور . ففي بلادنا لا تزيد نسبة الفائدة العقارية عن ١٠ بالمئـة سنويا ، اما في بعض المناطق الافريقيه فانها تقارب الثلاثين . وهكذا عمد الكثيرون منهم الى بناء الدور الواسعة والمحلات التجارية الكبيرة ، ويجنون من وراء ذلك ارباحا مذكورة لاسيما في دكار وشاطيء العاج ونيجيريا .

وليس بين مهاجرينا طبقة ملاكين بمعنى الكلمة في بلادنا ، اي ملاكين يعيشون من اجور املاكهم ولا يشتغلون . بل كل ملاك هنا يشتغل في التجارة . على ان بعض مهاجرينا يوظفون اموالهم في البناء على امل العودة فيما بعد الى الوطن ، تاركين لكاتب العدل مهمة تأجير املاكهم سنويا وارسال الاجور اليهم ، مقابل اجرة قانونية معلومة . واعتقد ان هذه الوسيلة يجب ان تقنع بعض الملاكين الاغنيـاء بالعودة الى وطنهم .



الفصل الخامس والثلاثون

حملات التجار الاجانب على مهاجرينا

هبت على مهاجرينا في افريقيه الغربية خلال السنوات الاخيرة عاصفه شديدة ، كان لها رد فعل كبير في نفوسهم ، وصدى اكبر في الوطن . وقد اشتدت الحملة عليهم في السنغال بصورة خاصـة ، ولعبت الدعاية الصحفية دورها في الهجوم والدفاع .

وسأحدث القارىء فيما يلي عن تطور الحملة على مهاجرينا في كل منطقة .

١ — في المستعمرات الفرنسية

الحملة على مهاجرينا من قبل التجار الفرنسيين قـديمة في المستعمرات الفرنسية ، يرجع عهدها الى اواخر القرن الماضي ، اي منذ اكتسب دخولهم صفة هجرة متواصلة. وكانت هذه الحملات تشتد من آن لآخر ، ولكنها لم تبلغ من الاهمية ما بلغته حملة سنة ١٩٣٥ - ٣٦ - ٣٧ ، لانها جرت في وقت كثر فيه تدفق المهاجرين وتخللته حوادث نفي وابعاد . وكانت الحملات السابقة تمر بسلام دون ان يسمع بها احـد سوى سكان المستعمرة ، اما تلك الحملة فقد تولت الصحف وغيرها من وسائل المواصلات السريعة ، كالرسائل ، نشر اخبارها ، فوصلت بلادنا مبالغاً فيها ، وكان لها ذلك الصدى المعروف.

*

كانت مستعمرة الغينه اهم مستعمرات افريقيه الغربيه الفرنسيه حتي الحرب العظمى ، وكانت مقر القسم الاكبر من مهـاجرينا ، لذلك ارتفع فيها اول صوت ضـدهم في

كل افريقيه الغربيه ، فقد قدم تجار « كوناكري » الفرنسيون في ٢٩ كانون الاول ١٨٩٨ عريضة الى حاكم الغينه يطلبون فيها فرض قيود خاصة على مهاجرينا . ولما كانت هذه العريضة وثيقة هامة في تاريخ الهجرة اللبنانية السورية ، فانني اترجم نصها فيما يلي منقولا عن كتاب « الغينه الفرنسيه و كوناكري وانهر الجنوب » تأليف المسيو أسبي ، المطبوع في سنة ١٩٠٠ :

« نحن التجار الموقعين ادناه ، لنا الشرف بان نعرض لحاكم الغينه الخطر الحقيقي الذي يهدد التجارة المحلية من التجار السوريين الذين يتزايد عددهم باستمرار ويغزون المراكز الرئيسية في المستعمرة . ولا يملك هؤلاء التجار املاكا او مؤسسات من اي نوع كان ، ومع ذلك فانهم لا يكتفون ببيع البضائع في الشوارع كما كانوا يفعلون سابقاً ، بل اخذوا يشترون الكاوتشوك من العبيد نقداً ، وبأسعار لا نتمكن من منافستها بسبب الضرائب المختلفة المفروضة علينا .

« وقد دلت التحقيقات التي قمنا بها على ان السوريين يحولون القوافل عن اتجاهها ويشترون منها الكاوتشوك بمعدل ٨٠٠ – ٩٠٠ كيلوغرام يومياً ، وبذلك تكون قيمة مشتراهم اليومي خمسة آلاف فرنك نقداً .

« وماذا يدفع السوريون مقابل هذه التجارة الكبيرة ؟ لا شيء سوى ضريبة بسيطة بصفتهم تجاراً متجولين ، بينما نتحمل نحن اعباء ثقيلة كأجور المباني ونفقات المستخدمين الاوروبيين الباهظة وضريبة التمتع وضرائب ورسوم على الكحول والتبغ والملح الخ .

« لقد جئنا اليكم الان طالبين اتخاذ تدابير سريعة بدون تأخير لاحداث التوازن اللازم بين الذين بنوا في المستعمرة مؤسسات مهمة وساعدوا على مساعدة رفاهيتها ، وبين التجار الدخلاء الذين لا يملكون حتى الاماكن التي يتاجرون عليها في الساحات العامة ، ومع ذلك يشترون الكاوتشوك من الفجر الى المغيب ، فينافسون بذلك التجارة المحلية منافسة هدامة . وللوصول الى الاهداف المرغوبة ، نقترح عليكم التدابير التالية :

اولاً — رفع ضريبة التمتع المفروضة على هؤلاء الاجانب الى ستماية فرنك بشرط ان تدفع سلفاً ونقداً دفعه واحدة ، لانهم كثيرو التنقل والتجوال ، ويستطيعون التهرب منها اذا اجيز لهم دفعها على اقساط .

ثانياً — منع المتاجرة بالكاوتشوك في الساحات العمومية .

ثالثاً — ارغام كل تاجر على ممارسة عمله في حانوت اذا كان يمارس تجارة غير تجارة بيع الادوات البسيطة . وعلى كل حال يجب عليه ايقاف البيع عند الظهر يومياً .

رابعاً — كل اجنبي يمتلك حانوتاً ، ويبيع في الوقت نفسه بضاعته في الساحات العامة او يشتري الكاوتشوك ، يجب ان يدفع ضريبة سنوية قدرها الف فرنك .

خامساً — فرض ضريبة اقامة قدرها ٥٠٠ فرنك على كل تاجر اجنبي يدفع ضريبه التمتع من الدرجة الاولى منذ اقل من سنة . »

*

هذه هي المطالب التي قدمها تجار كوناكري الفرنسيون يومئذ ، ولم تلب منها الحكومة شيئاً سوى زيادة ضريبة التمتع زيادة ضئيلة . وكانت هذه العريضة مقدمة لحملات اخرى على مهاجرينا ، ورد ذكرها في سياق حديثي عن مهاجرينا في الغينه .

ولما تحول تيار الهجرة عن الغينه الى السنغال ، نشأت فيه ايضاً حركة سلبية جديدة . واول تدبير ضد مهاجرينا اتخذته بلدية « روفيسك » بناء على طلب التجار الفرنسيين ، ففرضت في ١٢ حزيران سنة ١٩٠٣ على كل تاجر سوري متجول ان يدفع يومياً رسم « بسطه » قدره ١٠ فرنكات . وفي ٢٤ حزيران طبقت بلدية دكار التدبير نفسه . ومنذ ذلك الحين والتجار الفرنسيون — ووراءهم غرف التجارة — يطلبون الى الحكومة ايقاف الهجرة اللبنانية السورية او فرض شروط قاسية تمنع دخول مهاجرين جدد . وكانت الحجج التي يتذرعون بها نفس ما ورد في عريضة كوناكري ، مع مزاعم اخرى لا تستند على اساس عام ، بل هي في الواقع تتناول أفراداً ولا يجوز ان يؤخذ بها المجموع كله . وهذه عينات منها اذكرها من قبيل المعلومات فقط :

١ ـــ المهاجرون اللبنانيون السوريون يهملون تطبيق القوانين السارية •

٢ ـــ يغشون في الاوزان وفي جودة البضاعة •

٣ ـــ يبيعون العبد البضائع بالدين بفائدة تقارب الخمسين بالمئة احياناً ، وبذلك يرغمونه على بيع محصولاته لهم اثناء الموسم باسعار متدنية •

٤ ـــ يغوون العبد على بيعهم قسما من البذار السنوي الذي توزعه الحكومة •

٥ ـــ يتلاعبون في معاملة الشركات والبنوك ، ويكثرون من الافلاسات الاحتيالية •

٦ ـــ يشترون من العبيد البضائع المسروقة ، وبذلك يشجعون الاسود على السرقة •

موقف الحكومة ـــ ولم يكن لتلك الحملات من اثر عملي حتى هبت حملة ١٩٣٥ ـــ ٣٦ ـــ ٣٧ الكبيرة • وقبل ان احدث القارىء عنها ، يجب علي الاعتراف بان الحكومة العامة لم تلب ٥ بالمئة من مطالب التجار الفرنسيين ضد مهاجرينا • لانها تعرف تمام المعرفة ان اللبناني السوري اصبح عنصراً ضروريا في حياة المستعمرات ، وخروجه منها معناه قتل التجارة • واكبر دليل على تقدير الدوائر العليا له التعميم الذي وزعه الحاكم العام المسيو دو كوبيه في ٢ كانون الاول ١٩٣٦ على جميع الحكام ورؤساء الدوائر وحدد فيه الخطوط العامة للسياسة الواجب اتباعها نحو مهاجرينا وقال :

« واذا كان اللبنانيون السوريون اجانب بالمعنى القانوني الضيق ، فان لهم بموجب الانتداب حق التمتع بحمايتنا بنفس الشروط التي يتمتع بها بقية رعايانا ، ويحق لهم في الاراضي الفرنسية ان يستفيدوا من معاملة الامة الاكثر حظوة ورعاية • هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لا يحق لنا انكار الخدمات الجلى التي ادتها بعض العناصر اللبنانية السورية في السابق ولا تزال تؤديها حتى الان لاقتصاديات افريقيه الغربيه الفرنسية • وبهذه المناسبة اعرب عن تقديري للمهاجرين القدماء الذين يمارسون التجارة باشرف معنى ، وحصلوا بجهودهم على نتائج باهرة • »

واكبر حسنة تراها الحكومة لمهاجرنا هو نفوده الى الداخلية • فالحياة في داخل المستعمرات صعبة جداً لا يستطيع الاوروبي ان يتحملها • ولكن مهاجرنا لم يأبه للمصاعب ، فغامر بنفسه وتوغل في اقاصي الداخلية ليعرض على العبيد بضاعة الابيض

ودهش العبيد من هذه البضاعة واقبلوا عليها • ثم وجدوا ان المال هو الوسيلة الوحيدة للحصول عليها ، ولا سبيل للوصول الى المال الا ببيع المحصولات ، فاضطروا الى الاشتغال بالزراعة وجني المحصول • وهكذا تزايد المحصول السنوي وانفتحت اسواق جديدة للتجارة بفضل مهاجرنا • ومن حسناته ايضاً بيع الحاجات للعبيد باسعار رخيصة اذ لولاه لكانت الشركات تتقاضى السعر اضعاف الاضعاف بحيث يعجز الزنوج الفقراء عن ابتياعها •

ولا انكر ان بعض الموظفين يطبقون القوانين على مهاجرينا بصرامة ، ويخصونهم وحدهم بهذه القسوة دون غيرهم من البيض • ولكن لا يجوز ان نستغرب وجود مثل هذه الفئة ، فالقانون مهما كان بسيطاً او قاسياً يتطور عند تطبيقه حسب رغبة مطبقه ، والعادة ان يكون الموظف الصغير اكثر اعتداداً بنفسه واقل رحابة صدر من الموظف الكبير •

وقد مرت ظروف تأثرت فيها حكومة المستعمرات بحملات التجار الفرنسيين ، واقترحت على وزارة المستعمرات تدابير خاصة بمهاجرينا • ولكن وزارة الخارجية كانت تقف حائلا يمنع كل تدبير من شأنه الضغط عليهم والتمييز بينهم وبين غيرهم من الاجانب •

موقف الشركات الكبرى ـــ كما ان الحكومة وقفت على الحياد ، كذلك تجنبت الشركات الكبيرة الاشتراك عملياً في مهاجمة مهاجرينا ، بل كانت تكتفي بمسايرة التجار الاجانب مسايرة سطحية • فهي تعرف ان تعاملها مع التاجر اللبناني السوري يعود عليها بارباح مضمونة لا تنالها من التعامل مع غيرة • وهكذا يمكن القول ان صغار التجار الذين كانوا صلة الوصل بين الشركات الكبرى والعبيد ، فجاء ابن العرب وقضى عليهم برخص اسعاره واهليته هم الذين شنوا الحملات على مهاجرينا ، بدافع الطمع والمنافسة وعداوة « الكار » •

حملة ١٩٣٥-٣٦-٣٧ ـــ في خلال هذه السنوات الثلاث ، وفد على افريقيه عدد كبير من المهاجرين الجدد ، لاسباب سبق ان بسطتها في الفصل التاسع عشر ،

فاضطرب التجار الاجانب من هذا الفيضان ، وازدادوا قلقاً عندما شاهدوا الدكاكين الجديدة تنتشر وتتوالد بسرعة البرق في كل الانحاء . وعندئذ نظموا صفوفهم واثاروا حملتهم المعروفة على مهاجرينا وعلى الحكومة في آن واحد ، وانشأوا مجلة باسم « فرنسا ـ افريقيه السوداء » همها الاوحد نشر الدعاية ضد اللبنانيين السوريين والتحدث عن خطرهم الموهوم .

ويجب الاعتراف بهذه المناسبة ان تدفق الهجرة بذلك الشكل لم يلحق الضرر بالتجار الاجانب وحدهم ، بل أضر ابناء العرب وادى الى تضاؤل الارباح ، ولو وقف التدفق عند حد المئات لهان الامر ، ولكنه تجاوز الثلاثة الاف . وكانت البواخر القادمة تحمل دفعات متواصلة منهم ، حتى ان الباخرة «سينايا» وحدها حملت في تشرين الاول ١٩٣٧ ثمانمائة مهاجر دفعة واحدة ، ووزعتهم على المستعمرات من دكار حتى اكرا ولاغوس .

ولم يكن مهاجرونا القدماء على استعداد لقبول هذه الدفعات وهضمها في مثل الاحوال التجارية السيئة التي كانت سائدة يومئذ ، لذلك كنت ترى المهاجرين الجدد منتشرين في عرض الشوارع وطولها ، ينامون على الارصفة او يحلون عالة على غيرهم .

تجاه هذه الحالة وامام ضغط التجار الفرنسيين ، تأثرت الحكومة ، فعمدت الى التشديد في مراقبة اوراق القادمين . وكانت ترفض قبول كل مهاجر لا يحمل سجلا عدلياً ابيض مئة بالمئة ، وتتذرع باقل مخالفة صحية او تجارية لتنفي بعض المهاجرين القدماء .

واعتقد ان الحكومة كانت صارمة في هذه الناحية ، فقد كان باستطاعتها الايعاز الى القنصل الفرنسي في بيروت بعدم التأشير على جواز كل مهاجر جديد اذا كان في سجله العدلي اي نقطة سوداء ، ولو فعلت ذلك لوفرت نفقات الطريق على عشرات المهاجرين المرفوضين .

اما حوادث النفي فانها لم تفد قط في تخفيف الهجرة ، لان عدد المنفيين كان ضئيلا وليس لي ان انتقد الاسباب التي استندت عليها الحكومة في نفي البعض لانني اجهلها

ولكنني ألاحظ ان موجة النفي هدأت، واصاب رشاشها، كثيراً من الذين لا يستحقون النفي . وكانت النتيجة الوحيدة لحوادث النفي نشر جو الارهاب فوق الرؤوس وفتح المجال امام الوشايات ، فلم يعد الصديق يأمن لصديقه ، ولا الاخ لاخيه ، وساد صفوف مهاجرينا تحفظ غريب وشلل معنوي مطلق .

وكان في نفي بعض مهاجرينا ترضية معنوية للتجار الفرنسيين الناقمين . ولكن الحكومة لم تلبث حتى ادركت ان النفي ليس الدواء ، وان العلة الحقيقية ليست ناشئة عن وجود المهاجرين القدماء ، بل عن تدفق المهاجرين الجدد . وعندئذ وضعت قيوداً جديدة للهجرة ورد ذكرها في الفصل الثلاثين . واعتقد ان هذه القيود ستضع حداً لتدفق المهاجرين بلا حساب ، وترضي التجار الاجانب وابناءنا في آن واحد .

ويستدل من الهدوء السائد في الاشهر الاخيرة ان الحكومة عدلت عن سياسة النفي نهائياً ، كما انها عادت وتساهلت بعودة بعض المهاجرين المنفيين بوساطة بعض الشخصيات البارزة في باريس ، وكان ميدان النفي محصوراً في السنغال ، ولم يتعداه الى بقية المستعمرات الفرنسية .

وقد بلغ عدد المنفيين في كل افريقيه الغربية الفرنسية خلال سنة ١٩٣٤ : ٦ اشخاص ، ١٩٣٥ : ١٦ شخصاً ، ١٩٣٦ : ٢٢ شخصاً ، ١٩٣٧ : ١٠ اشخاص ، ١٩٣٨ : ٤ اشخاص . ومجموع المنفيين منذ سنة ١٩١٠ الى ١٩٣٧ بلغ ١٤٤ شخصا.

*

وقبل ان اختم هذا البحث، اذكر جملة قالها لي احد كبار الحكام: «مهاجروكم جاؤوا الى هذه البلاد للتجارة فقط ، لا للاشتغال بالسياسة ولا للتدخل بامورها الداخلية . فمن يحصر عمله ضمن ذلك النطاق يعيش في راحة بال من جهتنا ، ولا نتعرض له قط ، ويهمنا بصورة خاصة ان يتمسك مهاجروكم بالقوانين، ولاسيما الصحية منها . »

وانا بدوري انقل هذه الجملة الى مهاجرينا ، لان الاشتغال بالسياسة، او على الاقل

تهمة الاشتغال بها ، كانت من جملة اسباب النفي • وفي الوقت نفسه الفت انظار الدوائر المسؤولة الى وجوب ترجمة القوانين المطبقة في البلاد الى اللغة العربيــة ، او تكليف الجمعيات اللبنانية السورية بترجمتها واذاعتهـا ، لان كثيرين من مهاجرينا يخـالفون القوانين جهلا بها او بوجودها ، ولا يعرفون اللغة الفرنسية ليتمكنوا من الاطـلاع عليها ، ولا شك ان اللبناني السوري هو اكثر الاجانب مسالمة وتمسكا بالقوانـين اذا عرفها •

في المستعمرات الانكليزية

لم تمتد موجة النفي الى المستعمرات الانكليزية،وان كانت الحكومة قد نفت افراداً معدودين لاسباب اجرامية عادية • وقد اثار بعض التجار الانكليز والعبيد بعد الحرب حملات على مهاجرينا • وفي ١١ تشرين الثاني ١٩١٩ هاجم العبيد في فريتون عاصمة سيراليون محلات مهاجرينا ونهبوها بحجة انهم احتكروا الارز وعرّضوا للاهلين للمجاعة • ولكن الحكومة عادت فعوضت على مهاجرينا بعض خسائرهم •

ويمارس زنوج المستعمرات الانكليزية التجارة اكثر من اخوانهم في المستعمرات الفرنسية، لذلك يعتبرون مهاجرنا خصمهم اللدود • وقد اثارت صحفهم ولا تزال تثير من آن لآخر حملات شديدة عليهم • وفي سنة ١٩٢٥ نشرت مجلة « افريقان ورلد » (العالم الافريقي) الانكليزية مقالا حمل فيه كاتبه على مهاجرينا ، ولكن المجلة كانت منصفة فعادت ونشرت في العدد الصادر في ٢٧ حزيران ١٩٢٥ مقالا دافع فيه كاتبه عنهم ، وجاء فيه :

« وماذا يضيرنا ان يستقر المهاجرون السوريون في مناطق نائيــة عجز الاوروبي وابى ابن البلاد ان يستقر فيها ، ما دام لم ينشأ عن استقرارهم فيها اي ضرر ؟ ولا يحق لنا ان نلوم العبد اذا فضل بيع محصولاته منهم ، لانه حر في التصرف بما يملك • ولو كان يجـد من غير التجار السوريين نفس المعاملة التي يجدهـا منهم ، لباعهم محصولاته ايضاً •••»

وبعد ان عدد الكاتب الشكاوى المزعومة قال : « والخلاصة فان التجار الانكليز والوطنيين يتذمرون لان السوريين يجتاحونهم رويداً رويداً • ولكن هل يجوز توجيه اللوم الى السوريين على ذلك ؟ انهم يدخلون مستعمراتنا بحالة سيئة جداً بالنسبة للتجار الانكليز • يجهلون اللغة الانكليزية ولغات العبيد والموازين والمكاييل وانواع العمـلة فضلا عن انهم يدخلون بلا رأسمال • ولكن جميع هذه العقبات لم تمنعهم من النجـاح وكل ما نستطيع القول فيهم هو انهم تجار ممتازون ، يعرفون كيف يرضون الاهلين • فاذا كان التجار الانكليز يبحثون عن وسيلة فعالة لمنع تدفقهم ، فما عليهم الا ان يعدلوا اساليبهم التجارية او يبحثوا عن احسن منها ، او يتشبهوا بالسوريين •••»

ولم تجد الحملات السلبية نفعاً لدى الحكومات ، بل ظلت على حيادها التام واكتفت باتخاذ التدابير التي ورد ذكرها في الفصل الثلاثين للتضييق على الهجرة الجديدة ، كما ان حكومة غامبيا اوقفتها بتاتا • وبوجه الاجمال يعيش مهاجرونا براحة بال مطلقة من جهة الحكومة في كل المستعمرات الانكليزية ، وهي تطلق لهم الحرية الكامـلة ضمن نطاق القانون • وفي كثير من الاماكن يحتلون مراتب اجتماعية رفيعة في نظر السلطات • على ان الشركات الكبيرة لا تنظر اليهم بكثير من الارتياح •

٣ — في جمهورية ليبيريا

لا يزيد عدد مهاجرينا في ليبيريا عن المئة ، ومع ذلك فقد استطـاعوا النفود الى الداخلية والسيطرة على تجارتها ، مما اثار حسد منافسيهم من التجار الليبيريين •

وابواب ليبيريا مفتوحة للجميع دون استثناء ، بموجب قانون صادر في ٢٦ كانون الثـاني ١٩٢٣ • فاغتنمت الحكومة انتشار وباء الحمى الصفراء في العاصمة مونروفيا واصدرت في ١٦ شباط ١٩٢٨ تعديلا لقانون ١٩٢٣ ، جاء فيه : « كل امة ليست مرتبطة مع ليبيريا بمعاهدة ودية او تجارية او بحرية لا يحق لرعاياها الاستفادة من قانون ٢٦ كانون الثـاني ١٩٢٣ ، ولا يجوز لهم التجارة وراء الثغور البحرية او في داخليـة البلاد » • ولما كانت بلادنا ليست مرتبطة طبعاً بمعاهدة مع ليبيريا ، فان هـذا التعديل

سرى على مهاجرينا ، بل هم كانوا المقصودين به ، فاضطروا الى ترك اعمالهم في الداخلية وحصرها في العاصمة ، وتكبدوا بسبب ذلك خسائر فادحة .

وقد وصفت جريدة «الغرب الافريقي الفرنسي» الصادرة في دكار في عدد ١٤ تموز ١٩٢٨ اسباب اتخاذ ذلك التدبير ضد مهاجرينا فقالت : «لقد اتخذ رئيس الجمهورية السوداء قراراً يمنع المهاجرين السوريين من المتاجرة الا في المرافىء البحرية فقط ، باعتبار ان السوري ذو اخلاق سيئة ، وانه سبب نشر الاوبئة التي تفتك بافريقيه الغربية » . وفي زعم الجريدة كثير من التحامل والافتراء .

واحتج مهاجرونا على هذا القرار الى الحكومة الفرنسية، فلم ينالوا ترضية مباشرة بيد ان وزارة الخارجية في باريس رفعت القضية الى عصبة الامم في دورة ايلول ١٩٢٨ واحتجت على قرار حكومة ليبيريا ، باعتبار ان فرنسا مرتبطة بمعاهدات ودية مع ليبيريا ، والمهاجرون اللبنانيون السوريون يتمتعون بالحماية الفرنسية بموجب الانتداب ويجب معاملتهم معاملة الرعايا الفرنسيين . وعندئذ اضطرت حكومة ليبيريا الى استثناء مهاجرينا من القرار ، واجازت لهم العودة الى الداخلية باجازات مدتها ستة اشهر يجري تجديدها كلما انتهت المدة .



الفصل السادس الثلاثون

اضطهاد معنوي لا مادي ...

من مقدمة هذا الكتاب : « ... والفت الانظار الى ان ابحاث هذا الكتاب تتناول مهاجرينا في جميع المستعمرات الافريقية عامة. ولكن لكل قاعدة شواذ . وكثيرون لا تنطبق عليهم بعض الملاحظات السلبية او الايجابية ، كما ان احوال بعض المستعمرات قد تختلف عن غيرها ، فارجو من قارئي في المهجر ان يقيم نفسه حكماً في التمييز بين ما ينطبق عليه من ابحاث هذا الكتاب وما لا ينطبق، وان لا يحمل احد صراحتي البريئة على محمل الاساءة ، ان اريد الاصلاح » .

يتضح مما ذكرته في الفصل السابق ان مهاجرينا لا يعيشون تحت جو الارهاب والاضطهاد ، وهم انفسهم يعترفون بهذه الحقيقة ، ولكن مع ذلك تلمس في احاديثهم وشكاويهم انهم يشعرون بشيء من التحفظ والضغط ، بعامل معنوي يستحوذ على عواطفهم ويؤلمهم ويسيء اليهم .

ولا اعتقد ان هذا العامل ناشيء عن حملة التجار الاجانب عليهم ، لانهم خرجوا من هذه المعركة فائزين ، بدليل ان التاجر الاجنبي لجأ الى حكومته يستنجد بها على خصوم لا سند لهم سوى نشاطهم ، فلم يستفد شيئاً وتغلبوا عليه بمقدرتهم التجار

ضمن القوانين والاساليب المشروعة . فما هو ذلك العامل اذن ؟

لقد استمعت خلال رحلتي الى احاديث مهاجرينا على اختلاف طبقاتهم وعناصرهم وميولهم ، فثبت لي من اقوالهم ومن ملاحظاتي الخاصة ان مصدر شكاويهم هو عدم احترام الاوروبيين للبعض منهم ، وتطاول العبيد عليهم في بعض المناطق . اقول هذا مع الاستدراك بان بين مهاجرينا افراداً كثيرين يحتلون مراكز اجتماعية رفيعة في نظر الجميع ، كما ان هناك اوروبيين منصفين يقدرون اللبناني السوري حق قدره ، ويعترفون بمزاياه وباهليته .

ولكن لماذا لا يحترم الاجانب بعض مهاجرينا ؟ أليس في جهادمهاجرنا مايستحق كل احتراموتقدير؟ أليس مهاجرنا فرداً واحداً ، ومع ذلك يعمل وحده بقدر مجموع؟ أليس مهاجرنا صاحب الفضل الاكبر في فتح داخلية المستعمرات للتجاوة الاوروبية؟ أليس هو صلة الوصل بين تجارة المستعمِر والمستعمَر ؟ واذا كان بعض مهاجرينا قد اثروا بفضل جهادهم وتضحيتهم ، فهل يعد اثراؤهم جريمة؟

كلا ، ليس في جهاد مهاجرنا ما يستدعي الاحتقار ، بل ان في حيويته ونشاطه فخراً له ولبني قومه ، ولكل منصف عادل يقدر العمل المثمر حق قدره . واي عمل هو اكثر ثمرة من عمل المهاجر اللبناني السوري ؟

ان في مهاجرنا صفات عملية بارزة لا يستطيع ان يجحدها احد ، اضف اليها صفات اخلاقية خاصة بالشرقيين عامة وابناء العرب خاصة ، كالكرم والدماثة والتواضع والضيافة ونجدة المحتاج ومساعدة الضعيف واكرام الغريب . ورغم ذلك كله نجد ان هناك حاجزاً ما ، يفصل بين الاوروبي والمهاجر اللبناني السوري،ويحبس عن مهاجرنا التقدير الرفيع الذي يستحقه من قبل اخوانه البيض .

هذا الحاجز الممقوت ، هو في نظري الحياة الاجتماعية المتأخرة التي تعيشها فئة من مهاجرينا . حياة بائسة ممزوجة بالتقتير والجهل والتقاليد البالية . فئة ترى لها مثيلا في الوطن، في اوروبا ، في اميركا ، في كل بلدان العالم. فئة يتسامحون في وجودها ويخلقون الاعذار لتبرير بقائها ، ومع ذلك لا يبدون مثل ذلك التسامح نحو تلك الفئة

من مهاجرينا .

ربما كان للطبع الانساني العام علاقة بالقضية . فالانسان لا يرى المظاهر المنحطة في محيطه بقدر ما يراها في محيط غيره . وفي محيط كبير مثل محيط مهاجرينا في مستعمرات افريقيه ، يجب التسامح بوجود فئة متأخرة اجتماعياً ، خصوصاً اذا اعتبرنا الفروق الثقافية والمدنية والتعليميه التي تباعد بين الاوروبي واكثر مهاجرينا. ولكن ما العمل والغريب لا يرى في الجدار الابيض سوى النقطة السوداء ؟

ويدعي بعض الاجانب انهم على شيء من الحق في نظرتهم ، لان الفئة غير الراقيه بين مهاجرينا هي اكبر مما يجب ان تكون . واستناداً على ما سمعته منهم ومن مهاجرينا وما رأيته بعيني ، ساعالج هذه القضية بكثير من الصراحة وروح التدقيق . وحديثي هذا لا يتناول مجموع مهاجرينا ، بل الفئة المتأخرة اجتماعياً فقط ، التي يجب ان تتحسن حالتها .

بين محيطين — ليست افريقيه الغربية بلاد المدنية الكاملة ، بل هي حديثة العهد بها ، ولكنها تتضمن محيطين اجتماعيين ظاهرين :

اولا — المحيط الاوروبي الابيض ، وهو المحيط الارقى، لان الاوروبيين متعلمون يعيشون عيشة اجتماعية معتدلة او ممتازة ، ولا يبخلون بوجه الاجمال على انفسهم بشيء للمحافظة على مستواهم الاجتماعي الوطني . ومحيطهم على كل حال هو محيط المستعمر صاحب السيادة .

ثانياً — محيط العبيد ، وهو محيط الاكثرية الساحقة ويتمثل فيه التأخر الاجتماعي الفطري ، باستثناء العبيد المتعلمين .

واذا درسنا وضعية مهاجرينا الاجتماعية على نور هذين المحيطين ، وجدنا ان داءنا ليس حديث المنشأ ، بل قديم العهد ، ولد وتكوّن في مطلع عهد الهجرة اللبنانية السورية ، بسبب المعيشة الفقيرة التي كان يعيشها مهاجرونا القدماء ، ثم زاده حدّة حسد الاغيار من نجاحهم .

جاء مهاجرونا الى افريقيه الغربية في ظروف سبق لي ان وصفتها . وكان عليهم

ان يندمجوا في احد المحيطين . ولكنهم لم يكونوا احراراً في الاختيار ، لان آثار محيطهم القديم في الوطن كانت تفرض عليهم خطواتهم الاجتماعية فرضاً . فالمحيط الاجتماعي في الوطن ليس راقياً الا في بعض انحاء المدن . واكثرية مهاجرينا القدماء جاؤوا من القرى حيث الجهالة عامة ، وحيث يعيش الفلاح وعائلته في بؤس اجتماعي شديد .

لم يكن باستطاعه مهاجرينا القدماء الاندماج في المحيط الاول لانه يتطلب المال والعلم معاً وكلاهما مفقود عندهم، فاضطروا مرغمين بدافع الفقر المالي لان يعيشوا عيشة اجتماعية قريبة من المحيط الثاني ، ولم يكن لديهم من الخبرة ما يساعدهم على الاحتيال على عيشتهم الجديدة حتى تكتسي ثوبا ظاهريا على الاقل .

ومرت السنون ، واصبح بعض مهاجرينا اغنياء ، فخرج اكثرهم من المحيط الاجتماعي القديم ، واخذوا يرتقون حتى بلغوا الذروة ، كما وجد بين المهاجرين الجدد افراد يبزون الاجنبي في العلم والمال والرقي الاجتماعي . وكان من الواجب ان تزول نظرة الاجانب المزرية للمجموع ، لان مجموع مهاجرينا نما وكبر ونشأت فيه فروع اجتماعية مختلفة كما هي الحالة في كل محيط كبير . ولكن الاجنبي لم يبدل نظرته تبدلا محسوساً ، لانه بقى من المهاجرين القدماء فئة راسبة في المحيط الثاني، اما لانها اعتادت عليه او لان تقاليد حياتها القديمة ظلت تؤثر عليها . وفضلا عن ذلك فقد ظل تيار المهاجرين الجدد قويا ، وظل قسم من هؤلاء مضطر بسبب الفقر والجهل الى الاندماج في المحيط الثاني ، وهكذا ضاعت قيمة الفئة الراقية امام الفئة الاخرى ، وتوطد في نفس الاوربي ذلك الشعور الممقوت البعيد عن روح العدالة .

ماذا يشكون ؟ — واذا بحثنا عن شكاوى الاوروبي الاجتماعية من مهاجرنا ، نجد ما يلي : الاوروبي يترفع عن الاختلاط بالاسود ، ويعامله بنسبة الفروق الاجتماعية والاستعمارية القائمة بينهما . وقد كان الابيض مرهوبا عند السود . آله اوانصف اله . فلما جاء مهاجرونا تضاءلت تلك الهيبة رويداً رويداً ، لان ظروف بعضهم كما اسلفت ارغمتهم على الاختلاط بمحيط الاسود والمعيشة معه ، فرأى الاسود عندئذ ان البيض

ليسوا آلهة ولا انصاف الهة ، بل بينهم من يقاربونه اجتماعياً . فتولدت جرأته على البيض .

وقد يكون في موقف مهاجرنا نوع من المساواة الانسانية ، ولكن الاوروبي على كل حال لم يأخذ الا بسبب واحد : اللبناني السورى الابيض جرأ الاسود على البيض، في حين ان بقية البيض لا يريدونه ان يتجرأ عليهم .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الاوروبي لا يمتزج بمهاجرنا ، ولا يراه الا في الشارع ، واذا ما اتصل به مصادفة او لحاجة تجارية عارضة . فليس له مجال للحكم عليه الا من ظاهره فقط . ومن المؤسف ان بين مهاجرينا افراداً يظهرون بمظهر غير لائق من جهة الثياب والنظافة واهمال المظهر . ولو وقف الحد عند الفقراء منهم لهان الامر ، ولكن هناك اغنياء يظهرون بهذا المظهر ايضاً ، وهؤلاء هم الذين يسيئون الى سمعتنا اكثر من غيرهم .

ورب قائل ان المهاجر لم يأت الى ارض الغربة للبذخ ، وليس باستطاعته ان يشتغل ويجمع الثروة اذا تأنق . ورغماً عن ان هذا القول يحتمل الجدل ، اجيب عليه باننا لا نتطلب من المهاجرين المهملين الاسراف في الاناقة على الملبس، بل الظهور بمظهر لائق في خارج البيت وفي داخله ، واللياقة والنظافة لا تكلفان سوى رغبة الانسان فيهما .

والثقافة هي عنوان الرقي في معاملة الاجانب والاختلاط بهم وبغيرهم . وهي ليست بنت المدرسة ، بل نتيجة الدرس الشخصي . فماذا الذي يمنع المهاجر من الاشتراك بالصحف المفيدة ، والاقبال على مطالعة الكتب النافعه ، وهي اكثر من ان تحصى في لغتنا ؟ من لا يعرف من اين يستحصل على هذه المواد يستطيع ان يسأل عنها اي اديب كان .

وقد لاحظت ان كثيرين من مهاجرينا يقضون السهرات في « قتل » الوقت — والوقت يَقتل ولا يُقتل — بألهيات مختلفة ، فما الذى يمنع الراغبين في الاستفادة من الفراغ من الاستعانة بمعلم على اتقان القراءة والكتابة او اللغة الاجنبية الصحيحة ؟

وكما ان « الثوب لا يعمل الراهب » كذلك المال لا يبني الشخصية ، فلا يتوهمن

احد ان جمع المال وحده يكفي لبناء المركز الاجتماعي . ان بين مهاجرينا اغنياء لا يتمتعون بشيء في البيئة الاجتماعية ، وبينهم فقراء يحتلون المقام الارفع ، فالمسألة اذن مسألة ذوق وكرامة وثقافة ومظهر . وليس من الصعب تسخير المال لخدمة هذه الفضائل ، ولكنه من المستحيل تسخيرها لخدمة المال او احلاله محلها .

*

انني اعتقد انه يمكن عمل شيء ما لاصلاح الحالة لانها ليست حرجة بالمقدار الذي يصوره المتشائمون . وادعو الجمعيات الى القيام بعمل جدّي في هذا المضمار ، كما ادعو مهاجرينا الراقين — وهم كثر والحمد لله — الى مد يد المساعدة لاخوانهم . سمعتهم يشكون وينتقدون الفئة المتأخرة. ولكنني اقول لهم : ماذا فعلتم لازالة اسباب الشكوى؟ الشكوى معقولة ، والانتقاد مفيد ، ولكن السكوت عن اسباب الشكوى والانتقاد جريمة انانية . يقول المثل « اذا كان جاري بخير فانا بالف » . وقد رأى الشاكون ان بعض اخوانهم ليسوا بخير ، وشعروا ان هذه الحالة جعلتهم هم انفسهم على غير خير لان الاجنبي شمل بنظرته الجميع ، فماذا فعلوا لكي يصبح جارهم بخير وهم بالف خير ؟

ولقد لاحظت ان بعضهم يريدون توزيع الرقي والانحطاط الاجتماعي بين مهاجرينا توزيعاً طائفياً او اقليمياً . وهذا التأويل خاطىء ، فالاجنبي ينظر الى ابناء الوطن الواحد نظرة اجتماعية واحدة ، ولا يميز بينهم . لذلك ادعو المهاجرين النورين مرة اخرى لمجابهة المصاعب بجرأة وشجاعة ، واقتحام الرجعية والداء في عقر دارها ، لاصلاح المساوىء الاجتماعية ولو تطلب ذلك بعض التضحية في الاوقات والتعرض للخيبة احياناً. وقد ثبت لي ان الاكثرية ترغب الاصلاح ، ولكنها لا تجد من يقودها اليها . فهل يعدم مهاجرونا في كل مستعمره بضعة مخلصين ينيرون السبيل امام من يحتاج النور ؟

ولا بد لي من الملاحظة بان مهاجرينا لا يعيشون في بلادهم ، بل في بلاد يحكمها اجانب . ولهؤلاء الاجانب عادات وتقاليد وآداب اجتماعية و « بروتوكوليه » قد لا تتفق مع ما نعهده في بلادنا . فمن الواجب اذن ان نحترم اخلاق غيرنا ، وان نستفسر عنها ان كنا نجهلها ، حتى لا نقع في الخطأ اذا استدعت الظروف الاختلاط بهم .

والى جانب هذا ، يجب ان نذكر ان لكل انسان حياتين ، حياة خاصة وحياة عامة . في حياته الخاصة هو حرّ ان يفعل ما يشاء بشرط ان لا يؤذي غيره . اما في حياته العامة فعليه ان يجاري محيطه ، يرتفع معه اذا كان ارفع منه ، ويرفعه اذا كان أدنى منه .

واخيراً اكرر قولي السابق : مهاجرونا في افريقيه الغربيه يترجحون بين محيطين اجتماعيين،المحيط الابيض والمحيط الاسود ، فعلى الذين يترددون ويتراجعون ان يميلوا الى المحيط الاول ، ويماشوه في المظاهر الاجتماعية على الاقل !



الفصل السابع والثلاثون

مشاكل مهاجرينا الاجتماعية

قصد مهاجرونا الى افريقية الغربية للعمل تملأ نفوسهم رغبة اكيدة في بذل جهودهم كلها سعياً وراء الرزق والثروة . فهم من هذه الناحية متماثلون بلا استثناء . ولكنه من المؤسف ان المشاكلة بينهم تقف عند هذا الحد ، وانهم يتفرقون شيعاً واحزابا عندما تتعداه .

لقد حمل قسم من مهاجرينا بعض العيوب التي تدنس محيطنا في الوطن، كالحزبيات والعصبيات والانتساب لزيد او لعمرو، والانتصار لهذه الحركة او لتلك.
كما هنا كذلك هناك — وقد ترك هذا التضارب اثره الجلي في المهاجرين، فلا ترى بينهم رابطة عامة توحد صفوفهم ، ومصدر هذا التفكك هو التفكك السائد بين مختلف المناطق في الوطن ، فكل منطقة فيه تعيش عيشة انانية ، يباعد بين بعضها البعض تباين درجات العلم والثقافة والانتاج واختلاف العادات والتقاليد ، وتعدد المذاهب.
وقد بدأنا نشعر ببعض التطور في حالتنا في الوطن ، لان المحن التي اصابتنا شملتنا جميعاً ، فارغمتنا على التقارب ، وجعلتنا نتحسس حقائق الحياة القومية. اما مهاجرونا فقد ظلوا بمعزل عن هذه التطورات ، محيطهم من الالف الى الياء محيط تجاري محض خال من النفحات الاجتماعية والوطنية والسياسية التي تؤثر على المجتمع وتبدله . ومتى كانت التجارة اداة توحيد قومي او معنوي ؟

الجمعيات — لاحظ القاريء في الباب الثاني من الكتاب ان اكثر جمعيات الجالية في افريقية الغربية تلاشت او فشلت بسبب التنازع على الرئاسة او العضوية ، لاسباب مذهبية او اقليمية او شخصية .

واذا كانت الجمعيات في الوطن امراً ثانويا ، فانها في المهجر عنصراً ضروريا ، لانها المرآة التي تنعكس عليها معنويات مهاجرينا ، والدعامة الوحيدة التي يمكن ان يستند عليها كل مسعى لرفع مستوى الجالية او درء خطر عنها او رفع حيف او ظلامة . ومهاجرونا لا يستندون على اية قوة دولية تدفع عنهم الاذى ، فلا قنصل لهم ولا حكومة تهتم بامرهم . ولا مرجع سياسي او اداري يرضى بان يتبناهم ، فهم يحتاجون اذن الى مظهر معنوي قوي يرفع مقامهم ويصون احوالهم ، والجمعيات هي المظهر الوحيد الممكن ، بشرط ان تكون عمومية لا خاصة بفئة دون اخرى . وقد لاحظت ان حكومات المستعمرات نفسها تشجع قيام الجمعيات ، لكي ترجع اليها في امور مهاجرينا وتستشيرها عند اللزوم .

والرئاسة هي العلة الكبرى في عرقلة سير الجمعيات ، يشتهيها كثيرون اما لان وراءها فائدة معنوية تجاه السلطة او لان مركزها يوحي الى صاحبه ثقة مادية تفيده تجاه الشركات والبنوك . وقد لا تكون من ورائها اي نتيجة سوى التعب ووجع الرأس ، ومع ذلك تجد الكثيرين يتراكضون اليها بدافع الغيرة والمنافسة .

والخلاصة ان مهاجرينا في افريقيه بحاجة الى تنظيم دقيق . واذا جاز لي الاكثار من التفاؤل ، قلت ان كل بلدة بحاجة الى جمعية ، على ان تكون كل الجمعيات مرتبطة بجمعية في العاصمة، وجمعيات العواصم مرتبطة بجمعية مركزية عمومية لكل افريقيه الغربية .

هذا هو الهيكل الذي يجب ان يقوم عليه كيان مهاجرينا في افريقيه الغربية . ولكن ما السبيل لبنائه ؟ بكل اسف اجيب ان تحقيق هذا البرنامج مستحيل في الظروف الحاضرة للاسباب التي بسطتها . ولا يمكن تحقيقه الا اذا وجدت شخصية تتمتع بصلاحيات رسمية نافذة ، تستطيع ان تفرض ارادتها فرضاً ، كالقنصل مثلا .

النوادي — كما يحتاج مهاجرونا الى جمعيات عمومية ثابتة ، كذلك يحتاجون الى نواد . والنوادي هي بنت الجمعيات او وليدتها . ويمكن تقدير حاجة جالياتنا الى النوادي اذا تساءلنا كيف واين يقضي مهاجرونا اوقات فراغهم ؟

كيف واين ؟ هناك اقلية ضئيلة تقضي اوقات الفراغ في المطالعة والزيارات .



النادي اللبناني في كانو (شمال نيجيريا) وهو مبني في موقع جميل ومجهز بكل معدات التسلية والرياضة .

اما الاكثرية فانها تتوزع بين اماكن اللهو ، او تتسلى بلعب الورق ، ولعب الورق لا يقف دائماً عند حد التسلية البريئة ، بل يتعداه احياناً الى المقامرة . والتسلية شيء والمقامرة شيء آخر .

العاب الورق ، القهاوه اوبئة تفتك بقسم من مهاجرينا . اما كان بالامكان تلافيها او تخفيف اضرارها لو وجدت اندية للمطالعة ، للسهرات الاجتماعية ، للتسلية البريئة

الرياضة ، للمحادثة ، للمحاضرات ، للحفلات ، لاستقبال الزائرين الاجانب والرسميين .

السياسة — ما دخلت السياسه شيئاً الا افسدته . هكذا قال الامام الشيخ محمد عبده . ولو كان اليوم حياً لرأى في جاليتنا برهاناً جديداً يؤيد قوله .

اذا استثنينا القليل من ابناء الجالية ، نجد الاكثرية غارقين في السياسة . ولا اقصد بذلك السياسة الداخلية اذ ليس لمهاجرينا ناقة او جمل في سياسة المستعمرات، وان كان بعضهم قد تدخلوا في مشاكل انتخابية او في شؤون العبيد ونالوا على ذلك جزاءهم . ولكنني اقصد سياسة بلادنا . فجميع الاهواء والميول والمبادىء التي تمزق ابناء بلادنا تجد مثيلا لها في المهجر . في كل مستعمرة خلاف على استقلال لبنان والوحدة السورية والوحدة العربية ، على الكتلة الدستورية والاتحاديين في بيروت ، والكتلة والمعارضة في دمشق ، على زعامة فلان في هذه المنطقة او في تلك . بل قد تجد خلافا على الديموقراطية والفاشستية ، وهتلر وموسوليني وستالين والمانيا وفرنسا وروسيا واليابان ، وما اشبه ذلك .

من الحسن ان يكون المهاجر مطلعاً على تطور امور بلاده ، ومن الاحسن ان يكون عارفا باسسها واهدافها ، ولكنه ليس من الحسن ولا من الاحسن ان ينغمس هو ايضاً في مشاكلها عن بعد ويفتح لها ميداناً آخر في محيطه الجديد ، وهو يعرف انه لا يفيد بذلك نفسه ولا يخدم بلاده ولا مبادئه ، بينما تتطلب ظروف هذا المحيط اقصى ما يمكن من التضامن والالفة بين ابناء الوطن .

الصحافة — بين المهاجرين جماعة لا يشتركون بالصحف ولا يطالعونها ولا يهتمون باخبارها ، وبينهم فئة تشترك في الصحف ارضاء لهذا او لذاك ولا تطالعها ، وبينهم فئة تشترك فيها وتطالعها بشغف ، وفئة لا تشترك فيها ولكنها تطالعها بنفس الطريقة المنتشرة في بلادنا : الاستعارة .

وترد على المهجر صحف عديدة من بلادنا ، ولكن نسبة المشتركين قليلة بالنسبة لعدد المهاجرين . وقد لاحظت ان صحف الاقاليم الصغيرة التي تعنى باخبار القرى والوفيات والمواليد وما اشبه ذلك تلاقي رواجا نسبياً عند جالية كل اقليم .

ولا يطالع اكثر مهاجرينا الصحف المحلية من انكليزية او فرنسية ، لانهم يجهلون اللغتين على الوجه الصحيح ، ولا يعرفون سوى لهجات محلية تلقنوها من افواه العبيد .

الوافدون — وفد على المهجر في السنين الاخيرة اشخاص متعددون ، وجمعوا الاموال من المهاجرين باسباب مختلفة . باسم العلم او الادب او الصحافة او الدين او الرياضة . وقد لاقوا من المهاجرين تأييداً كبيراً لان المهاجر يعطف على اعمال الخير ولا يزال محافظاً على كرمه العربي ، ولا يحبس المساعدة عن هذا او ذاك ، اكراما لزيد او لعمرو .

واعرف ان بعض الوافدين كانوا اهلا للمساعدة ، وجمعوا اموالا باسم مشاريع خيرية عميمة الفائدة وكانوا اوفياء في وعودهم ، ولكنني لا اعرف ان مهاجرينا اهتموا بملاحقة «الروّاد» غير المستحقين او سألوهم كيف بددوا الاموال دون ان يفوا بوعودهم .

لا يحق لي ان اتطفل واتدخل بين المهاجر وجيبه ، ولكنني ارجوه في المستقبل ان يحكم تفكيره ، فلا تتحرك يده الى جيبه الا بعد ان يفكر في مصير ماله ، وفي السبيل الذي سيذهب اليه .



الفصل الثامن والثلاثون

المهاجر في حياته العائلية

بيت المهاجر هو بيت مهاجر . بيت رجل جاء يجمع ثروة ويعود الى وطنه ، لا ليستقر في بلاد الغربة الى الابد ، فمن الطبيعي اذن ان يكون بيته صغيراً وقتياً ، وان يفرشه وينظمه — موقتاً ايضاً — بقدر ما تسمح له حالته المادية وبقدر ما يكون عنده او عند زوجته من الاناقة والذوق .

ولكن ما هو بيت المهاجر في اكثر الاحيان ؟

غرفة او غرفتان وراء حانوته او فوقه او على مقربة منه اذا كان في المدينة ، وكوخ من الخشب او التوتيا اذا كان مقيما في الداخلية . واحياناً يكون حانوته منزله « الكونتوار » يصبح طاولة وقت الطعام وسريراً وقت النوم . وهنالك ميسورون يعيشون في منازل رحبة متقنة ، ولكنهم قلائل بالنسبة للمجموع .

ولقد مرت على مهاجرينا القدماء ايام سوداء كانوا ينامون فيها تحت الاشجار او في اكواخ العبيد او على الارصفة . وكان السرير يومئذ من عجائب الدنيا السبع . ولكن الحالة تبدلت اليوم ، فلم يعد يعدم احد غرفة ينام فيها ، وفراشاً يستلقي عليه .

وبصورة عامة نجد ان مساكن مهاجرينا تتراوح بين الاكواخ الحقيرة والدور الجميلة او « الفيلات » الانيقة . والاكثرية تقطن منازل معتدلة . وقد تدخل على غني حسن الحال فيعتذر لك عن صغر منزله بقوله : « لم اشأ ان اوسع هنا على امل ان اوسع في الوطن» . عذر مقبول وامل مشكور . ضيقوا ضيقوا هنا بقدر ما تستطيعون

ووسعوا وسعوا في الوطن ، توسعوا لانفسكم ولوطنكم وتنالوا السعة السريحة والبسطة الصحيحة !

ولا يخلو المنزل من خادم زنجي او اثنين او اكثر حسب حاجة صاحب البيت وبنسبة عدد عائلته . واجرة الخادم هنا رخيصة نسبياً ، فلا يعجز مهاجر عن استخدام خادم او طباخ . وقد حذق بعض العبيد طبخ المآكل العربية . ولكن العبد يحتاج في جميع اعماله الى مراقبة دائمة من ربة المنزل او من ربه ، لاسيما في الطبخ والغسيل والتنظيف .

الزوجة والزواج وانواعه — عدد النساء البيضاوات في افريقيه الغربيه بالنسبة للرجال لا يتجاوز الثلاثين بالمئة . وهذه النسبة الاجمالية تنطبق ايضاً على مهاجرينا ، فهنالك اماكن يعادل فيها عدد النساء النصف ، واماكن ينكمش فيها الى الخمسة بالمئة فقط . والمرأة ضرورية للمهاجر في افريقيه اذا كان قادراً على دفع نفقاتها ، فهو بحاجة لمن يعتني به ويدبر منزله ويطهي طعامه ويرفه عنه عند عودته تعباً من عمله ، والا اضطر الى الاعتماد على العبيد في هذه الامور ، والعبيد ما كانوا في يوم من الايام سنداً يعتمد عليه . وكثيراً ما تشترك المرأة مع زوجها في اعماله وتساعده مساعدة فعالة في البوتيك (الحانوت) كما هي الحالة في قرى الداخلية ، وبعض العواصم مثل لاغوس . واحياناً يكون قدوم الزوجة وبالا على المهاجر ، اذ تستنفد نفقات المنزل الباهظة جميع ارباحه ، خصوصاً اذا كانت عائلته كبيرة .

والمهاجر المكتفي الراغب في الزواج يسافر الى الوطن سعياً وراء امنيته ، فيتزوج حسب تقاليده وعادات منطقته ، ثم يعود بزوجته الى هذه الارض اذا قبلت وقبل اهلها . وليس لي ان اتدخل في قضايا شخصية كقضية الزواج ، ولكن ذلك لا يمنعني من الملاحظة بان بعض مهاجرينا يشعرون بخيبة شديدة من زواجهم قد تؤدي احياناً الى فشل الزواج او انحلاله . ويعزى هذا الفشل الى اسباب عديدة اهمها : التفاوت الاجتماعي بين محيط الزوج وزوجته ، الاختلاف بينهما في التربية والاخلاق ، جهل المهاجر احوال بلاده الاجتماعية عند اقترانه بزوجته وجهل الزوجة احوال المهجر

الاجتماعية عند قدومها اليه ، اختيار الزوجة وفقاً للاساليب القديمة بناء على نصيحة هذا وهذه . وقد يلعب المال ايضاً دوره في عقد زواج لا تناسق فيه فتكون النتيجة وبالا . وكثيرون يتركون زوجاتهم في الوطن او يعيدونهن اليه او يبقونهن في المنازل وينصرفون الى تعزية انفسهم في الملاهي وذيولها . ويلجأ بعضهم الى الطلاق اذا كانوا ممن تسمح لهم شريعتهم بالطلاق والتزوج مرة ثانية ، وقس على ذلك .

واعتقد ان التقاليد الاجتماعية السائدة في بعض مناطق بلادنا هي المسؤولة عن اخطاء كثيرة في الزواج يشكو منها المهاجرون كما يشكو المقيمون . والدواء الوحيد ان يتريث المهاجر في الاختيار ، وان يشترك بنفسه في البحث عن شريكة حياته ويحتفظ لنفسه بالكلمة الاولى والاخيرة في اختيارها ، لا ان يترك الامر بايدي الخاطبات والنسيبات ، فهو الذي سيتزوج لا هن .

وبهذه المناسبة الفت انظار الوالدين في بلادنا ، لاسيما في القرى ، الى وجوب العناية بتعليم بناتهن وتهذيبهن . فاكثرية مهاجرينا تنتمي الى القرى ، والاكثرية اليوم تتزوج او تسعى للزواج من البلدان والمدن لان بنات القرى غير متعلمات . والتعليم وحده لا يكفي في المهجر ، بل تحتاج البنت لان تكون حاذقة في تربية المنزل . ففي الوطن تستطيع الخادمة البيضاء سد الفراغ ، اما في المهجر فالعبد لا يستطيع شيئاً بدون مساعدة ومراقبة وتوجيه ربة المنزل .

هذا عن الذين يسافرون الى الوطن للزواج . اما الذين يتزوجون هنا فانهم يختارون زوجاتهم من بنات الجالية ، وبنات الجاليه لسن كثيرات ، او يستقدمون من الوطن الزوجة المنشودة التي يختارها لهم اهلوهم كما يشاؤون .

معاشرة العبدات — اما الذين لا يستطيعون الزواج بالمرة لاسباب مادية ، ومعظمهم من الشباب ، فانهم يداوون الحالة بمعاشرة العبدات ، والعبدة رخيصة جداً في افريقيه واحياناً يعتاد بعضهم على هذه الحالة ، فيعاشرون العبدات معاشرة الزوجات ويرزقون منهن البنين والبنات . وقد يطرد الرجل عبدته ليعاشر غيرها او ليتزوج بيضاء ، ويلحق الاولاد بوالدتهم او يحتفظ بهم . وعلى كل حال فان مشكلة اولاد العبدات

هي من اهم المشاكل العائلية في محيط مهاجرينا ، اذ يوجد اليوم الف طفل على الاقل من هذا النوع ، بينهم كثيرون مهملون لا يعترف بهم اباؤهم ولا يعرفونهم . وقد قيل لي ان السلطات الانكليزيه في فريتون لفتت نظر وجوه الجالية في هذا العام الى وجوب الاهتمام بهذه المسألة والعناية بمصير هؤلاء الاطفال ، او بمصير الاناث منهم على الاقل حرصاً على مستقبلهن .

والمولود من اب ابيض وام سوداء يكون في الغالب اسمر اللون او «قهوة بحليب» كما يقول الفرنسيون ، ويندر ان يأتي ابيض ، على ان امتزاج الدم والعنصر ينفح المواليد بذكاء نادر ظاهر .

تربية الاولاد ــ لا اغالي اذا قلت ان الزنوج هم الذين يتولون تربية ٥٠ بالمئة على الاقل من اولاد وبنات مهاجرينا . يلد الطفل ، فترضعه والدته بضعة اشهر ، ثم تتركه للعبدة ، فتحمله هذه على ظهرها وتجول به الشوارع او تلاعبه مع اولاد العبيد ، فيتلقن مع الحليب اخلاق العبيد وعادات العبيد ولغة العبيد . وهكذا ينشأ وهو يجهل كل شيء عن وطنه وقومه . ولما كانت المدارس العربية معدومة في المهجر ، فان الطفل يذهب الى مدارس اجنبية بيضاء او سوداء عندما يبلغ سن الدراسة ، فيزداد ابتعاداً عن قوميته .

اني اذكر والالم يحز قلبي ، ان خمسين بالمئه على الاقل من اولاد مهاجرينا يجهلون اللغة العربية ، وخصوصاً في دكار والسنغال ، وبعض المناطق الداخلية من كل مستعمرة . يفهمون الفرنسية او الانكليزية ، واشباه لغات الزنوج : الولف او السوسو او التمني او المندي . اما العربية فانهم لا يفقهون منها شيئاً .

حالة مؤسفة مزرية ، لا ادري كيف يمكنني ذكرها دون توجيه اللوم القاسي الى الوالدين . الوم الوالد لانه يجاري ابنه ويرضى بمحادثته بغير لغته ، والوم الوالدة لانها هي المسؤولة عن تربية اولادها ، والوالدة التي تترك اولادها يتطبعون بطباع العبيد وتسمح لهم بتناسي لغتهم وعادات قومهم هي امرأة مهملة تستحق اللوم .

قد يزعم بعضهم ان الطفل سيتعلم لغته عندما يكبر . ولكن كيف واين ؟ هل

كل المهاجرين اغنياء قادرين على ارسال اولادهم الى الوطن ليتعلموا اللغة العربية عندما يكبرون ؟ واذا ظل الاولاد في المهجر ، فمن يعلمهم لغتهم ؟ بل ما حاجتهم اليها ما داموا يتخاطبون حتي مع والديهم بلغات العبيد ؟

اللغة هي الصلة الوحيدة التي تؤمن ارتباط الابن بوطن ابيه مهما بعدت الشقة وطال المزار . وباهمالها تنقطع الصلة ، ويقتنع الابن بالمحيط العائش فيه . ألم نرَ الكثيرين من ابناء مهاجرينا في اميركا الشمالية والجنوبية اصبحوا غرباء عنا في كل شيء لان والديهم لم يعلموهم اللغة العربية منذ صغرهم ؟

اني انادي الامهات في مهاجر افريقيه ، خاصة في السنغال والغينه وسيراليون ، اناشدهن ان يتولين بانفسهن تربية اولادهن ، وان يحرصن على تلقينهم لغتهم وقوميتهم مع الحليب ، فيسدين بذلك اكبر خدمة لوطنهن ولابنائهن ايضاً . واناشد الاباء ايضاً ان يرغموا ابناءهم على تعلم لغتهم ، ويمتنعوا عن مخاطبتهم بغيرها حتى يضطروا الى تعلمها اذا كانوا يجهلونها .

المهاجر الذي يجهل ابنه لغته يرتكب جريمة في حق وطنه . الا يكفي ان وطنه خسره ، فيزيد في خسارته ويحرمه نسله ايضاً ؟

تعليم الاولاد ــ اما مشكلة المدرسة فانها مشكلة صعبة ، ومع ذلك افضل ان يكون ابناء مهاجرينا في المدارس الاجنبية او مدارس العبيد على ان يظلوا شاردين في الشوارع بشرط ان يكونوا قد تعلموا اللغة العربية على الاقل . ولا ادري لماذا لا يتفق مهاجرونا في كل بلدة كبيره على فتح مدرسة عربية ابتدائية ، وباستطاعتهم استقدام معلمين من الوطن باجرة تكفي رسوم المدرسة لتغطيها شهريا . وفي بلادنا عشرات الشباب الذين لا يرفضون هذا الطلب اذا عرض عليهم .

وقد لاحظت بسرور ان بعض الاباء الميسورين يبعثون اولادهم الى المدارس الداخلية في الوطن حيث يجدون منازل جديدة لهم تؤمن راحتهم وتضمن ثقافتهم واخلاقهم . وليت جميع الميسورين يفعلون ذلك باولادهم .

جنسية الاولاد ــ قضية خطيرة تحتاج الى عناية كبيرة ، هي قضية الجنسية .

فقد كان ابن المهاجر في المستعمرات الفرنسية يتبع «اوتوماتيكياً» جنسية ابيه . ولكنه في تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ صدر قرار يقضي بتطبيق قانون الجنسية الفرنسية (الصادر في ١٠ آب ١٩٢٧) على المستعمرات ايضاً . وينص هـذا القانون على ان كل مولود اجنبي في المستعمرات يظل اجنبياً حتى يبلغ سن الرشد . وعندئذ يحق له الاختيار في خلال سنة واحـدة بين جنسيته الاصلية والجنسية الفرنسية . فاذا انتهت السنة دون ان يقرر شيئاً،يصبح فرنسياً ، ويدعى الى تأدية الخدمة العسكرية الاجبارية ،شاءام ابى.

واذا افترضنا ان ابن مهاجرنا طلب جنسيته الاصلية عند بلوغه سن الرشد ، فان حصوله عليها يصطدم بمصاعب كثيرة ، لانه يحتاج الى مراجعة الحكومة في بيروت او دمشق واستصدار وثائق تسجيل وشهادة واعتراف وابلاغ وغير ذلك مما يتطلب وقتاً طويلا قد يتجاوز السنة ، فيفقد جنسيته قبل وصول الترياق .

وقد بلغ عدد اولادنا المتفرنسين حتى سنة ١٩٣٦ : ٨٩ شخصاً (٥٤ شابا و ٣٥ فتاة) . وهناك ١١ مهاجراً فقط اعتنقوا الجنسيـة الفرنسية منذ الحرب الى اليوم . هؤلاء خسرناهم الى الابد وسنخسر في كل سنة اضعاف اضعافهم اذا لم تقم حكومتنا بعمل سريع لمعالجة القضية ، واهم عمل في هذه الناحيـة هو تعيين قنصل يتولى تسوية قضايا المهاجرين ومشاكلهم . وسيأتي بحث هذه النقطة في فصل قادم .

ولا بد من الملاحظة بان مسألة الجنسية لم تبلغ بعد درجة الخطـورة . لان معظم اولاد مهاجرينا المولودين في المستعمرات لم يبلغوا بعد سن الرشد . ولكنه لن تمر بضع سنوات حتى يبلغ المئات منهم تلك السن ، فتقع الازمة الكبرى اذا لم تتهيأ لها اسباب الحل .

رأي صحفي فرنسي ــ هذا هو رأيي في قضية الجنسية ، وهو يمثل وجهة النظر اللبنانية السورية ، ولكنني احب ان اقدم للقارىء رأيا اخر في الموضوع ، وهو رأي الصحفي الفرنسي « بيار اورموا » فقد نشر في تشرين الاول ١٩٣٨ سلسلة من المقالات عن مهاجرينا في مجلة « أتود» قال فيه :

« لقـد رأينا السلطة تعمد الى ابعد شيء عن الشعور الفرنسي وعن المنطق الصحيح

فتمنح السوري الجنسية الفرنسية . فهل اعتقدت ياترى ، ان اكتسابه الجنسية الفرنسية يغير وضعيته بين يوم ويوم ويزيل ما يعزى اليه من مساوىء ؟

« لا نتكلم هنا عن التجنس الاختياري الذي يطلبه الكثيرون من السوريين ، بل عن الاحكام الشرعية التي تنص على ان كل من يولد في افريقيه الغربيـة من ابوين ولدا فيها يعد افرنسي التبعة .

« يتبين من هذا انه اذا لم يكن هناك قضية سياسية سورية في افريقيه الغربية فان قانون التجنس يوجدها . وهذا القانون لا يثير شعور الوطنيين فحسب بل يؤدي الى عواقب اخرى لكل ان يقدرها على ما يشاء ، لان المجال لا يسمح ببحثها الان . على ان هناك شيئاً لا يصح السكوت عنه : لقد ضممنا الى عنصرنا عنصراً ابيض ألف مناخ افريقيه ، ولكن هذا المناخ ينهك قواه شيئاً فشيئاً فيجعل منه عنصراً ضعيف البنيـة ، اصفر اللون ، مريضاً . وهكذا يكون غريباً عنا لا بالدم فحسب بل بالتكوين ايضاً . ونكون قد خلقنا اقلية جديدة تحت حكمنا في افريقيه الغربية . ألا يجدر بنا والحـالة هذه ان نعاملها كاقلية وينتهي الاشكال ؟ » ــ انتهى كلام الصحفي .

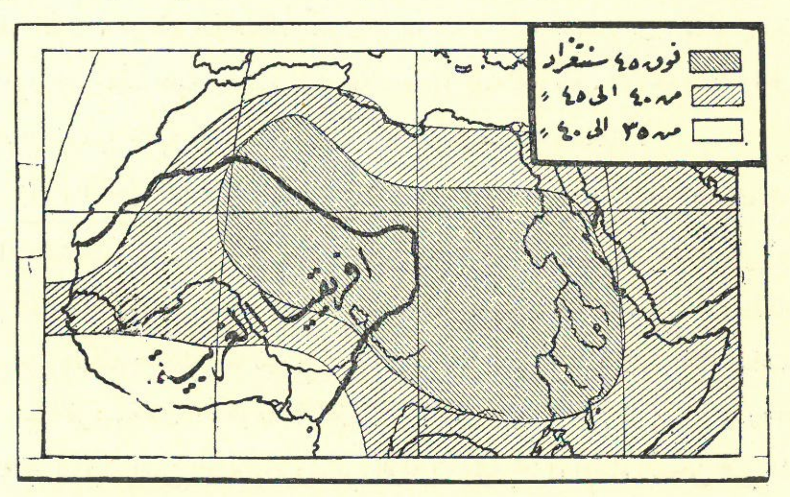
زواج المتجنسات القاصرات ــ ونشأت عن مسألة الجنسية عقـدة اخرى بسبب زواج الفتيات المتجنسات بالجنسية الفرنسية . فالقانون الفرنسي يحتم عقـد كل زواج على الطريقة المدنية الى جانب الطريقة الدينية ، ويمنع زواج الفتاة قبل سن السادسة عشرة . ولكنه كثيراً ما تتزوج فتياتنا قبل تلك السن . فاذا كانت الفتاة قد اعتنقت الجنسية الفرنسية فان الحكومة لا تعترف بزواجها ولو كان الدين قد أجازه وباركه لانه جرى قبل السن القانونية، وتعاقب الوالدين عليه بجزاء اقصاه السجن خمس عشرة سنة . والاولاد الذين تلدهم الزوجة قبل الثامنة عشرة لا يعترف بهم القـانون اولاداً شرعيين ، ويحرمهم من الميراث .

فكيف السبيل اذن الى التوفيق بين الشريعة المدنية الفرنسية وجوازات الشريعة الدينية ؟ مشكلة معقدة . واسهل حل لها هو ان يتجنب الآباء تجنيس فتياتهن بغير جنسيتهن . وعندئذ يصبحن خاضعات فقط لقانون الاحوال الشخصية المتبع في بلادنا.

الفصل التاسع والثلاثون

مهاجرونا واحوال افريقيه الصحية

مناخ افريقيه لا يصلح للابيض بوجه الاجمال الا اذا استعان عليه بوسائل صحية منوعة . واذا كانت الشمس المطهر الاكبر في كل مكان، فانها في افريقيه عدو الابيض



خريطة تبين درجات الحرارة في مختلف انحاء افريقيه الغربية .

رقم ١ . لذلك يجب عليه ان يعتمر بين الساعة السابعة صباحا والخامسة مساء قبعة الفلين (الكاسك بالفرنسية ، والهلميت بالانكليزية) ولا يعرض رأسه للشمس بدونها . واذا اهمل القبعة بضع دقائق وتعرض لاشعة الشمس مكشوف الرأس ، يصاب بضربة

الشمس وما يعقبها من امراض قتالة كبول الدم . والشمس الافريقية تحتفظ بقوتها الهدامة حتى من وراء الغيوم واثناء المطر . بل احياناً يتضرر الابيض اذا تعرض لاشعة القمر بلا قبعة . اما الاسود فانه لا يتأثر بالشمس مهما تعرض لها .

الكينا والشربات — والحميات الخبيثة تمثل ايضاً دورها في افريقيه ، لاسيما الملاريا فيجب على الابيض ان يتناول يومياً حبه او برشامة او جرعة من الكينا مقدارها ٢٥ سنتيغراما ، لتقوي مناعة الدم ضد الملاريا . والكينا ضرورية طول فصول السنة ، فاذا اهملها الابيض هاجمته الملاريا حالا ، لان جراثيم الملاريا تدخل دم الابيض حال دخوله افريقيه ، ولا سبيل لمنع توالدها الا بتناول الكينا باستمرار . واذا عجزت الكينا عن صد الملاريا واصيب الابيض بها ، يتوجب عليه استشارة الطبيب فوراً ، والعادة ان يحقنه بابر «الكينا» ، واحياناً يصاب البيض بادوار عارضة تأتي فجأة وتذهب فجأة في خلال مدة وجيزة .

والى جانب الكينا ، يجب على الابيض ان ينام تحت «الناموسيه» في الاماكن التي يكثر فيها البعوض ، لان البعوض هو اكبر ناقل للملاريا. وفي اكثر الاماكن يغطي البيض النوافذ بشريط رفيع كشريط المنخل لمنع البعوض من دخول الغرف .

وجراثيم الامراض ترتع بكثرة في المياه ، لذلك لا يجوز للابيض ان يشرب الا المياه المقطرة ، او يعرض نفسه للهلاك . وفي كل العواصم الافريقية اليوم مياه جارية مقطرة وهناك اوعية خاصة للتقطير في المنازل .

ويستحسن ان يتناول الابيض من حين الى آخر «شربات» منظفة كزيت الخروع والملح الانكليزي . لان «انقباض المعدة» في افريقيه مقدمة للامراض ، لاسيما الملاريا.

ضرورة تبديل الهواء — المناخ في بلادنا يجدد الدم ويغذيه بنشاط مستمر . اما مناخ افريقيه فانه ينتزع النشاط ، فلا تمر على المهاجر الجديد سنه او سنتان حتى يفقد المناعة الدموية اللازمة لصد الامراض ، ويزول كل اثر للاحمرار في وجهه فيصبح اصفر اللون باهتاً . وهذه حالة ٩٨ بالمئة من مهاجرينا و ١٠٠ بالمئة من اطفالهم. نعم ، هنالك افراد يتمتعون بصحة طيبة او بلغوا حدود الامتلاء والسمنة ، ولكنها صحة ظاهرية

وقط . لحم متراكم مترهل « هش » خال من الدم النقي الجديد ، يذوب امام اعراض الداء بسرعة غريبة .

والمهاجر الاجنبي يسافر الى بلده مرة كل سنتين لتجديد قواه . اما مهاجرنا فانه لا يسافر الا مرة في الخمس او في العشر سنوات — ما عدا القلائل . وهناك افراد لم يغادروا افريقيه منذ ثلاثين سنة او اكثر . وقد سمعت اطباء يتساءلون بدهشة واستغراب كيف يستطيع مهاجرنا الصبر مثل هذه المدة عن العودة الى وطنه ، ويعدون قناعته بالطقس الافريقي جريمة على صحته في المستقبل . وكثير من مهاجرينا لم يعودوا الى الوطن الا لان الاطباء انذروهم بخطر الموت اذا ظلوا في افريقيه !

ولا انكر ان بعض مهاجرينا يسافرون من آن الى آخر الى الدار البيضاء او لاس بالماس او اسبانيا او فرنسا لتبديل الهواء ، ولكنهم افراد لا يعتد بهم . واكثر القادرين على السفر لتبديل الهواء يبقون في الجحيم الافريقي . ولا يفكرون بصحتهم الا بعد وقوع الداء ، اي بعد ان يكون قد سبق السيف العذل .

ويستحيل ان يتعود الابيض على طقس افريقيه ، لان كرويات دمه لا تستسيغ هواء القارة السوداء ، ولكنه يستطيع زيادة مناعته الصحية اذا اكثر من تناول الطعام المغذي الممتاز والخضروات والفواكه . وهذه المواد تكلف غالياً ، ولا يستطيع اكثر مهاجرينا التمتع بها .

وتلعب الكحول اثراً مهما في تنقية الدم في افريقيه ، لذلك نرى كثيرين من البيض يقبلون على الوسكي والبراندي (الكونياك) في المستعمرات الانكليزية ، والنبيذ وامثاله في المستعمرات الفرنسية . و « العرق » الوطني موجود دائماً عند بعض تجار البضاعة البلدية .

وباء الحمى الصفراء في السنغال — تبذل الدول المستعمرة جهوداً جبارة لمكافحة الامراض والاوبئة ، وتسهر دوائر الصحة سهراً دائماً على اعمال التنظيف والتطهير والتبخير ، وتعاقب كل اهمال صحي معاقبة قاسية . وقد اجتاح وباء الحمى الصفراء



الساعة التي اهدتها الجالية السورية اللبنانية في لاغوس «نيجيريا» الى المدينة

الشواطىء الافريقيه مراراً عديدة منذ سنة ١٧٧٨ ، وكان هجومه على السنغال عنيف في ١٩٠٠ ثم في سنة ١٩٢٦-٢٧ . وقد اتهمت السلطة بعض مهاجرينا بنشر الوباء في ١٩٢٦-٢٧ بسبب سوء احوال معيشتهم وتنقلهم الدائم في انحاء المستعمرة . ولاقى مهاجرونا بسبب هذه التهمة كثيراً من الضغط ، وفرضت عليهم الحكومة منذ ذلك الحين شروطاً صحية خاصة بهم عملياً دون غيرهم من البيض ، مثل التطهير والتبخير والتطعيم الخ .

وكان عدد مهاجرينا في السنغال في سنة ١٩٠٠ مئة نفس، فمات منهم في وباء تلك السنة ٤٥ نفساً في سان لويس . وفي وباء ١٩٢٦-٢٧ وقعت في كل السنغال ١٨٤ اصابة بالحمى الصفراء مات فيها ١٢٨ نفساً . وكان نصيب مهاجرينا من هذه الارقام ٤١ اصابة و ٣٠ وفاة .

<u>الوفيات في ١٠ سنوات</u> — وتوفي من مهاجرينا بين ١٩٢٨ و ١٩٣٨ في كل افريقيه الغربيه ٤١٨ شخصاً ، منهم ٢٢٠ في المستعمرات الفرنسية وحدها . وتعزى اكثر الوفيات الى امراض ناشئة عن طول الاقامة في المهجر بدون تبديل الهواء . ويدفن جميع الموتى البيض عادة في المقابر الاوروبية .

الفصل الاربعون

مآثر مهاجرينا في المساعدات العامة

اثبت في الفصول السابقة ان مهاجرينا ليسوا «حشرات طفيلية» تمتص ثروة البلاد كما يزعم بعض الاغيار، بل هم في مقدمة العاملين على بناء البلاد وعمرانها، تشهد ذلك المباني التي انشأوها في كل مدن افريقيه الغربية وقراها. والواقع ان ما يرسله مهاجرونا الى الوطن من اموالهم وارباحهم لا يعادل ١٠ بالمئة من املاكهم المنقولة وغير المنقولة الباقية في افريقيه الغربية.

ولم يتردد مهاجرونا في الساعات الحرجة عن اثبات ولائهم للدولة الحاكمة وتقديم المساعدات المادية لها على قدر الاستطاعة. وفيما يلي بعض مآثرهم:

١ — في اوائل آب ١٩١٤ فتح حاكم السنغال اكتتابا للصليب الاحمر، فقدم مهاجرونا ١٤٠٠٠ فرنك. وظلت تبرعاتهم متتالية طوال مدة الحرب حتى بلغت قيمتها في سنة ١٩١٨ ما يقارب ٢٢٠ الف فرنك، تتوزع بين مهاجرينا في المستعمرات الفرنسية كما يلي: الغينه ١٢٥ ٠٠٠، السنغال ٧٤ ٠٠٠، السودان ١٥٠٠، الداهومي وشاطيء العاج ٣٥٠٠.

٢ — خلال الحرب ارسلت الجالية اللبنانية في الغينه البرتغالية مبلغ ١٢٧٥ فرنكا الى صندوق «مساعدة الحرب» الفرنسي.

٣ — في سنة ١٩٢٦، على اثر هبوط الفرنك ووقوع الازمة الخانقة في فرنسا وجه وزير المستعمرات نداء الى ساكني المستعمرات يستحثهم فيه على مساعدة الحكومة

وعلى الاثر تبرع مهاجرونا بمبلغ مليون فرنك تقريباً، يتوزع كما يلي: مهاجرو دكار ٩٨ ٠٠٠ فرنك، السنغال ١٨٠ ٥٠٠، السودان ١٤٣ ٥٠٠، الغينه ٤٥٣ ٠٠٠، الداهومي ١٥ ٥٠٠، شاطىء العاج ٨٠٠٠.

٤ — في اواسط سنة ١٩٣٨ طرحت حكومة المسيو دالادييه قرضاً للدفاع الوطني ودعي مهاجرونا الى الاكتتاب فيه، فاكتتبوا في دكار وحدها بسبعماية الف فرنك. ولا يقل اكتتابهم في كل المستعمرات عن بضعة ملايين فرنك.

٥ — في سنة ١٩٣٥، بمناسبة الاحتفال باليوبيل الفضي للملك جورج الخامس قدمت الجالية السورية اللبنانية في لاغوس ساعة كبرى هدية الى المدينة، نصبت في اهم ساحاتها، وترأس الحاكم حفلة تدشينها.

٦ — عقب وفاة الملك جورج الخامس، جمعت التبرعات في كل مستعمرة انكليزية لانشاء اثر يخلد ذكراه، فانشئت في لاغوس حديقة رياضية كبيرة تحمل اسمه. وقد تبرعت جاليتنا بالرتاج الحديدي الكبير لهذه الحديقة، وهو رتاج فخم جميل، كلف بضع مئات من الليرات الانكليزية.

والى جانب ذلك، يشترك مهاجرونا دوما في المشاريع الخيرية، ولاسيما مشاريع الصليب الاحمر والمحاربين القدماء وغيرها.

وقد باحثني احد وجهاء مهاجرينا في مسألة الانصاب الثابتة، فاقترح ان تهدي كل جالية نصباً الى العاصمة التي تعيش فيها، كتمثال او ساعة او مكتبة، وان يحمل هذا النصب اسم جاليتنا. وهذا الاقتراح وجيه لان الاشخاص يزولون والانصاب تبقى شاهداً خالداً على اثر مهاجرينا في البلاد، فكل قادم جديد الى المستعمرة، سواء كان موظفاً رسمياً او مدنياً او سائحاً، يرى في النصب ما يعرّفه بجهاد مهاجرينا وعملهم المثمر. وقد يأتي يوم يغادر فيه مهاجرونا الاراضي الافريقية، فيزول ذكرهم بزوالهم اذا لم يكن هناك اثر راسخ يخلده. وانني انقل هذا الاقتراح المعقول الى اخواني المهاجرين، علهم يستفيدون منه.

الفصل الواحد والاربعون

وضعية مهاجرونا في الحرب العظمى وفي الحرب الطارئة

خلال الحرب العظمى، اعتبرت الحكومة الفرنسية والحكومة الانكليزية مهاجرينا من الاجانب ، فتركتهم وشأنهم . وكانوا يومئذ يحملون الرعوية العثمانية ، ولكن السلطات كانت تعرف حقيقة شعور العرب نحو الدولة التركية ، فلم تعاملهم معاملة رعايا دولة عدوة ، بل تركتهم احراراً في ممارسة تجارتهم كما يشاؤون . وفي ٣ كانون الاول ١٩١٤ سحبت الحكومة الفرنسية حق المناعة القنصلية والاعتراف القنصلي من قنصل تركيا في دكار المحامي جورج فيدال ، ولكنها لم تتخذ اي تدبير سلبي بحق مهاجرينا .

ولم تكن هنالك سلطة تخول حكومات المستعمرات دعوة مهاجرينا الى حمل السلاح بجانبها ، لذلك ظلوا في امن من الحرب . وقد استفادوا خلال سنواتها الاربع فائدة حسنة ، لان الشركات تضعضعت بسبب ذهاب اكثرية موظفيها الى ميادين القتال فخلا الميدان التجاري لهم .

وفي تشرين الثاني ١٩١٦ الفت القيادة الفرنسية فرقة في الجيش الفرنسي باسم « فرقة الشرق » لكي تضم المتطوعين اللبنانيين والسوريين ، وخاصة المهاجرين منهم . ولكن مهاجري افريقيه الغربيه لم يقبلوا عليها بسبب قلة عددهم من جهة ، وعدم وجود من يؤمن سير اشغالهم اذا تطوعوا من جهة اخرى . وهكذا بدأت الحرب وانتهت دون ان يصيب رشاشها مهاجرينا . وقد اتخذ التجار الاجانب هذه القضية

سلاحا يهاجمون به مهاجرينا كلما عنّ لهم .

ولكن كيف تكون وضعية مهاجرينا اذا وقعت حرب جديدة ؟

في الحرب العظمى كان مهاجرونا رعايا اتراكا ، وظلوا اتراكا حتى جاءت معاهدة لوزان المعقودة في ٢٤ تموز ١٩٢٣ فسمحت لهم باختيار الجنسية السورية اللبنانية .

اما الان فالحالة تختلف عنها في الحرب الماضية . مهاجرونا اليوم ينتمون الى دولة لبنانية او دولة سورية . وكل من الدولتين مرتبطة مع فرنسا بمعاهدة . وقد نصت المادة الرابعة من المعاهدة السورية الفرنسية ومن المعاهدة اللبنانية الفرنسية على ما يلي :

« اذا وجد احد الطرفين الساميين المتعاقدين نفسه مشتبكا في نزاع ، يبادر حينئذ الطرف السامي المتعاقد الآخر فوراً الى نجدته بصفته حليفاً . وفي حال خطر حرب محدق ، يتداول الطرفان الساميان المتعاقدان فوراً لاتخاذ تدابير الدفاع الضرورية . ومعونة الحكومة السورية تنحصر في ان تقدم الى الحكومه الفرنسية في الاراضي السورية كل ما في وسعها من التسهيلات والمساعدات بما فيه استعمال السكك الحديدية ومجاري المياه والمرافىء والمطارات وسطوح المياه وسائر وسائل المواصلات . »

وهذه المادة لا تنص حرفياً على ان تقدم سوريا ولبنان مساعدة من الجند او اية مساعدة اخرى خارج اراضيها . ولكنها تعني انه اذا وقعت حرب ما ، فان سوريا ولبنان سيكونان بجانب فرنسا منها . وبالتالي يصبحان « اوتوماتيكياً » عدوين لعدو فرنسا ، معرضين لهجماته ، من مصلحتها محاربته لكي تنتصر فرنسا ، وينتصران هما بانتصارها . فمن الطبيعي اذن ان يشترك الجيش السوري والجيش اللبناني في القتال بجانب الجيش الفرنسي ضد العدو المشترك .

والمعروف في كل بلدان العالم ان الحكومات في ساعة الحرب تدعو جميع ابنائها القادرين الى حمل السلاح بصورة اجبارية ، وليس هنالك ما يبرر شذوذ حكومتي سوريا ولبنان عن هذه القاعدة . وفي تلك الحالة ماذا يكون مصير المهاجرين ؟

من الوجهة القانونية ، تجد السلطة الفرنسية في يدها اليوم مبرراً يجيز لها دعوة مهاجرينا الى حمل السلاح . ذلك ان تدعوهم حكومتا سوريا ولبنان الى القيام

بواجبهم العسكري في ساعة الحرب ، وتعهد الى فرنسا اعادتهم الى الوطن للاشتراك في الدفاع عنه ، او ارسالهم الى الجهة التي يختارها اركان الحرب . والواقع ان هذه الصلاحية موجودة في يدي السلطة بمجرد وجود التحالف بين سوريا ولبنان وفرنسا من جهة ، وبين فرنسا من جهة اخرى .

وقد سبق للحكومة الالمانية ان جندت في الحرب العظمى كل الرعايا النمسويين والاتراك الموجودين في بلادها ، بعد موافقة فينا والاستانة . وفعلت حكومات الحلفاء مثل ذلك برعايا حليفاتها . فهل تطبق هذه القاعدة ايضاً على مهاجرينا في الحرب القادمة ؟

ليس باستطاعتي الجزم في هذه القضية ، فقد تتبع حكومات المستعمرات هذه الخطة ، او تفرض على مهاجرينا نوعا من التطوع الاجباري ، او تنتهج سبيلا آخر . ولكنني استطيع الجزم بان مهاجرينا سيكونون هذه المرة اكثر تعرضاً لرشاش الحرب منهم في المرة السابقة . وقد صرح لي اجنبي في احدى المستعمرات : « هذه المرة لن نترك مهاجريكم يجنون الارباح ونحن نقاتل في الجبهة، بل سنذهب واياهم جنبا الى جنب. »

وانني انقل هذا التصريح على علاته الى اخواني المهاجرين ، دون اي تعليق ، مع رجائي الحار بان تظل راية السلام مرفرفة على كل الربوع .

ولا بد لي من الملاحظة انه حتى طبع هذا الكتاب لم يكن البرلمان الفرنسي قد صدق المعاهدتين السورية واللبنانية ، ولا تزال الحكومة الفرنسية تتمتع بصلاحية الانتداب على بلادنا ، وبموجب الانتداب لا يحق لها تجنيد السوريين واللبنانيين . ولكن بعد ابرام المعاهدتين ، يسري مفعولها على الشكل الذي وصفته في هذا الفصل .

الفصل الثاني والاربعون

هل استفادت بلادنا من الهجرة الى افريقيه الغربية ؟

هل استفادت بلادنا من الهجرة الى افريقيه الغربية ؟

لن اتسرع في الجواب على هذا السؤال سلباً او ايجابا ، بل ابسط اولا بعض الاعتبارات التي يجب الاستناد عليها في اصدار الحكم .

جميع الذين هجروا بلادنا الى افريقيه ، وغيرها من المهاجر ، كانوا معدمين ماديا، اي انهم غادروها ولا رأس مال لهم سوى نشاطهم وأملهم . وهكذا لم تخسر بلادنا بخروجهم منها اية خسارة مادية ، ولم تنقص ثروتها الاهلية شيئاً . وكتب النجاح لقسم كبير منهم ، فاخذوا يمدون ذويهم المقيمين في الوطن بالمساعدات . وبذلك استفادت البلاد فائدة مادية عملية . ولقد كانت الاموال الواردة من المهجر تغطي جزءاً وفيراً من العجز المالي السنوي في بلادنا ، ولكن فيضانها تضاءل في السنوات الاخيرة بسبب وقوع الازمات في المهاجر الافريقية والاميركية وفرض القيود على اخراج العملة وانقطاع الصلات بين المهاجرين وذويهم .

وكثيرون هم المهاجرون الذين ارسلوا الى البلاد مبالغ طائلة لمشترى اراض باسمهم او لانشاء مبان مختلفة ، او لمساعدة المشاريع العمرانية ولاسيما في القرى. وفي بلادنا ، خاصة في جبل لبنان وجبل عامل ، قرى كثيرة عامرة بالمنازل الحديثة بفضل اموال المهاجرين .

هذا من الوجهة المادية والعمرانية . ولكن هنالك وجهات اخرى لا يمكن اغفالها

عند البحث في هذه القضية ، وفي مقدمتها قضية اليد العاملة .

لا اغالي اذا قلت ان ٨٠ بالمئة من مهاجرينا في افريقيه الغربيـة نزحوا اليهـا من القرى لا من المدن . اي انهم كانوا مزارعين ، وعمالا في الزراعة . والزراعة كما يعلم الجميع تظل العنصر الاساسي في حياة بلادنا مهما كانت مهملة . فخسارتها بضعة آلاف من رجالها هو خسارة بالغة تؤثر تأثيراً مباشراً عليها وعلى مستقبلها .

وجميع المهاجرين يكونون في شرخ الشباب عندما يغادرون وطنهم . وبذلك يخسر الوطن خسارة فورية ناشئة عن تناقص عنصر الشباب فيه، وهو العنصر الاكثر حيوية وفعالية في تطور البلاد . وفي المهجر ينصرف الشاب المهاجر الى العمل ، ولا يفكر بالزواج الا بعد ان تتوفر لديه شروط كافية ، اي بعد سنوات طويلة من هجرته بحيث يكون قد اشرف على المرحلة الاخيرة من شبابه او بدأ مرحلة الكهولة ، وفي هذه الحالة ينقص النسل نقصاناً كبيراً . وقد شعرت بلادنا بهذا النقص ، فهنـاك قرى تكاد تكون خالية من السكان بالنسبة الى عدد سكانها الاصلي، مثل جويا والزراريه ومزياره وبيت شباب وصور . وقد كان عدد سكان لبنان في القرن الماضي يقارب ثمانمائة الف نفس ، ولا يزال على حالته الحاضرة لان الهجرة استهلكت كل النسل الزائد . وقس على ذلك حالة سوريا .

ثم ان الهجرة الى الخارج شجعت القرويين العاجزين عن الهجرة الى افريقيا او اميركا ، على الهجرة الى المدن ، فاصبحت الخسارة مضاعفة من عدة نواح . وفي بيروت وحدهـا الان خمسون الف مهـاجر من القرى ، يعملون في شتى الحرف اليدوية او التجارية ، ولا يفكرون بالعودة الى الارض لا عاجلا ولا آجلا .

والآن انتقل الى اهم نقطة في هذا البحث .

قلت ان الشاب المهاجر يغادر بلادنا معدما ، فيبدأ العمل بجد ونشاط . واثناء ذلك يمد ذويه بمساعدات معتدلة بالنسبة الى ارباحه . ولكنه يوفر القسم الاكبر ليكون لنفسه رأس مال . فبلادنا اذن تنال قسطاً من ارباح المهاجر، اما رأس ماله الكبير فيظل عنده في المهجر .

ومتى توفرت الثروة لدى المهاجر يعمد الى التزوج ، ومتى اصبحت زوجته بجانبه تنقطع الصلة المادية بينه وبين ذويه ، اذ ينصرف الى العناية بعائلته الجديدة المقيمة معه ويحصر كل امواله فيها ، فلا يعود يرسل لبلاده الا النزر اليسير .

هكذا تستفيد بلادنا ماديا من المهاجر في السنوات الاولى من هجرته ، عنـدما يكون عوده المادي رطباً ودخله ضئيلا في طور التكوين . ولكن عندما يصبح مثريا ذا عائلة ، ويستقر وتستقر معه اموره ، تزول كل فائدة مادية منه ، ولا تبقى بينه وبين وطنه اية رابطة سوى رابطة الذكريات ، ورابطة الجنسية التي يحملها . وهي على كل حال رابطة معنوية لا تفيد البلاد بشيء لانها غير منظمة ولا موحدة بين جميع المهاجرين ، وليس لها اي مخرج او اية نتيجة عملية .

وقد شاهدت مهاجرين قدماء ، بلغوا من السن عتياً، وكنت اسألهم لماذا لا يعودون الى الوطن ؟ فيجيبونني : تطالب منا العودة الى الوطن ، ولكن لماذا نعود ؟ لقد اعتدنا على المعيشة هنا ، اموالنا واملاكنا هنا . كل معارفنا في الوطن ماتوا او نسيناهم ، ولم يبق لنا هناك من نعرفه او من يهمنا التعرف عليه ، فلماذا نعود ؟

هذا هو لسان حال الكثيرين ، وهو دليل على ان الرابطة المعنوية تصبح واهيـة اذا طال عليها الزمن ، وهي مرتبطة بحياة المهـاجر نفسه ، فاذا قضى نحبـه في المهجر وترك ثروة لاولاده ، فانهم يستأنفـون عمله في المهجر دون التفكير بوطن لا يعرفونه اذ يكونون قد اصبحوا ابناء المهجر الجديد . ولدوا وترعرعوا ونشأوا فيه . لا ذكريات لهم تربطهم بوطنهم الاصـلي ولا روابط حاضرة . فمن الطبيعي ان يندمجوا في محيطهم الجديد وان يضيعوا فيه الى الابد . وقد شاهدت اولاداً ــ وهم افراد قلائل ولله الحمد ــ يأبون الاعتراف بقوميتهم القديمة او يتطاولون عليها .

ازاء جميع هذه الاعتبارات استطيع ان احكم بما يلي :

في بناء الوطن وتنظيم كيانه لا يجوز الاخذ بالحاضر والقناعة بالفائدة الآنية دون التفكير بالمستقبل . وعلى هذا الاساس اجزم بان الهجرة الى افريقيـه افادت في البدء بلادنا ، كما افادت بعض المهاجرين شخصياً . ولكنها اصبحت اليوم مضرة ضرراً

كبيراً اذا لم يعد المهاجر الى بلاده عندما يصبح ميسوراً .

في السنين الاولى من هجرة المهاجر الجديد تستفيد فائدة مادية محدودة .

عندما يصبح رب عائلة ويستقر تضيع الفائدة المادية وتبقى المعنوية .

عندما يطول عليه العهد او يخلفه اولاده الناشئون في المحيط الجديد ، تضيع الصلة المعنوية ايضاً ، فتصبح خسارة البلاد بالمهاجر مثلثة :

تخسره ونسله ، تخسر عطفه وشعوره المعنوي ، تخسر نشاطه وثمرة جهوده .

ما السبيل اذن لتلافي هذه الخسارة ؟ هذا ما سابحثه في الفصل التالي .



الفصل الثالث والاربعون

كيف السبيل لعودة المهاجرين ؟

مأثرة ساميه يجب ان اسجلها بكثير من الفخر لمهاجرينا في افريقيه الغربيه . وهي تعلقهم الشديد حتى الان بوطنهم وحبهم الاكيد له . ففي خلال رحلتي رأيت من حميتهم الوطنية وغيرتهم القومية ما ملأ قلبي غبطة وبهجة . ومن المؤسف ان الظروف لم تسمح حتى الان بتنظيم هذا الشعور وتغذيته حتى يعطي البلاد ثمرة مفيدة .

المهاجر في افريقيه يتتبع اخبار الوطن بكثير من الشوق . يلتقفها من الصحف او يتناقلها من لسان الى لسان ، ويعلق على الحوادث بكثير من الاهتمام . واذا وقعت مصيبة قومية يتألم منها اكثر مما يتألم اخوه المقيم في الوطن . واذا استطاع مد يد المساعدة المادية لا يتردد .

والواقع ان صلة مهاجرينا الافريقيين بوطنهم لا تزال متينة ، يقويها ويمد باجلها توافد المهاجرين الجدد باستمرار . كما ان ذاكرة السابقين لا تزال طريئة ، ملأى بذكريات الوطن واهله . ولا تزال كلمة الوطن تفعل بهم فعل السيف . واحاديثهم في الحانوت ، في الشارع ، في البيت ، تدور حول الوطن وتتردد فيها دوما كلمة الوطن . حتى ان جمل المجاملة ترتكز على كلمة الوطن ، فاذا اراد احدهم الدعاء للاخر قال له : « اعادك الله الى الوطن » واذا اراد شكره قال : « نجتمع في الوطن ان شاء الله » او « نجددها في الوطن » وقس على ذلك .

هذا العطف المعنوي هو وقتي كما ذكرت في الفصل السابق . هو ابن الجيل

الحاضر ، وبزواله يزول . فالفرصة الان سانحة لعمل شيء يقنع المهاجرين بالعودة.

وافريقيه الغربيه ليست اميركا ولا اوروبا ، ولا تزال متأخرة عن بلادنا بمراحل، والحيـاة فيهـا شاقة ، فليس ثمة رابطة تربط مهاجرنا بها سوى رابطة المصلحة المـادية وحدها . لذلك استطيع التأكيد بان ٩٥ بالمئـة من مهاجرينـا يطمحون بالعودة الى وطنهم يوماً ، ولا يذكرونه الا وفي قلوبهم شعاع مؤلم من الحنين والشوق .

ولا حاجة لتعداد الفوائد التي تجنيها البلاد من عودة المهاجرين ، فهي تستفيد منهم مالياً وتجاريا وزراعياً وصناعياً . يزداد عدد سكانها ، وتدخلها بدخول العائدين افكار جديدة ، وعناصر جديدة تفيدها معنويا وسياسياً وعلمياً . وربما برزت من بين العائدين شخصيات لامعة قد تلعب دوراً خطيراً في حياة البلاد .

ولكن ما السبيل لعودة المهاجر ؟

قلت ان المصلحة المـادية هي التي تربط المهـاجر بارض المهجر . فهي اذن النقطة الحساسة التي يجب معالجتها بصورة اجمالية قبل غيرها ، على ضوء الاختبارات والحوادث التي رأيتها وسمعتها ، او عرضت لي في ملاحظاتي في الوطن وفي المهجر .

*

يجمع المهاجر ثروته مجبولة بعرق جبينه واحياناً بدمه . ثم يسافر عائداً الى الوطن فلا تمر عليه بضعة اشهر حتى ينفق القسم الاكبر منها او يبددها كلها ، وعندئذ يرجع الى المهجر ، وربما الى الابد هذه المرة . وقد يكون المهاجر مسؤولا وحده عن تبديد امواله . ولكن للقضية عوامل مباشرة وغير مباشرة يجب الاخذ بها ايضاً ، اهمها ان المهاجر يغيب عن بلاده بضع عشرة سنة يتعود خلالها على حيـاة جديدة واساليب جديدة في العمل والتجارة والمعيشة ، وتكون قد تطورت خلالها الاحوال في الوطن ايضاً ، ونشأ جيل جديد وتكوّن محيط جديد . فعندما يعود يجد انه يجهل كل شيء عن وضعية البلاد الصحيحة ولاسيما من الناحية الاقتصـادية . وعندئذ يتهافت عليه الناس ، هذا ينصحه بان يفعل كذا و كذا ، وذاك ينهاه عن كيت و كيت . وبين افعل ولا تفعل ، يضيع المهاجر ثمرة اتعابه ويترك البلاد حانقاً عليها .

وقد ناشدت بعض المهاجرين المكتفين ان يعودوا لوطنهم ، فاجابوني : « وماذا نفعل هناك ؟ لقد ذهب قبلنا فلان وفلان ، فبددوا اموالهم وعادوا الى هنا فارغي الجيوب ، والعاقل من اعتبر !.. »

هم يعتبرون ، وانا ايضاً اعتبر . انا اعتبر حكومتنا مسؤولة عن هـذه الحالة . ففي افريقيه الغربية عشرة آلاف شخص يحملون الجنسية اللبنانيـة او السورية . ولكـن الحكومة — اللبنانية او السورية — ما فكرت يوما من الايام في العناية بامورهم . اين هي دائرة المهاجرين الواسعة المنظمة تشجع المهاجر على العودة الى بلاده تشجيعاً يرتكز على اسس صحيحة ؟ اين هي الدائرة التي تزود المهاجر العائد بجميع المعلومات والاحصاءات والنصائح الاقتصادية والاجتماعيـة ؟ اين الدائرة التي تخلق المشاريع الاقتصادية وتدعو المهاجرين للمساهمة فيها ، او تبحث لهم عن المشاريع المثمرة في البلدان المجـاورة وتمهد لهم السبيل للاشتراك في استثمارها ؟

في بلادنـا نواح اقتصادية واسعة لا تزال بايدي الاجانب ، او لا تزال تعتمد على الرساميل الاجنبية للقيام بها ، فلماذا لا تفكر الحكومة في الاستعانة بالمهاجرين لتأليف الشركات اللازمة ، وتوفر لهم الحماية الجمركية الضرورية ؟ لماذا لا توفـد الرسل الى افريقيه لتتعرف بالمهاجرين وحمل تحية حكومتهم اليهم ؟

رب قائل انه لا يجوز ان تصبح الحكومة تاجرة او سمسارة. وجوابا على ذلك اقول ان مهمة الحكومة هي العناية بابنائها كافة ايان كانوا ، والمهاجرون هم ابناؤها، بل من ابر ابنائها ، فعليها مسؤولية العناية بامورهم ، وعليها ان تقوم بكل عمل من شأنه ان يعود على البلاد بالربح والفائدة . واي عمل هو اربح وافيد من العمل على اعادة المهاجرين ؟

في كل سنة يسافر مئات المهاجرين الى اوروبا لقضاء فصل الصيف ، وينفقون فيها مبالغ طائلة. ولو ان الدعاية للاصطياف امتدت الى المهجر لاستفدنا من مهاجرينا فائدة كبرى . واي مهاجر لا يود قضاء الصيف في وطنه والتمتع برؤية اهـله ؟ في اوروبا حكومات تنفق اموالا طائلة لاجتذاب السياح ، وبعضهـا يبيـع نقده للسائح بخصم ٥٠ بالمئة عن المعدل العام . ونحن لا نطلب الى حكومتنا تخفيض نقدنا للمهاجرين لان

الامر ليس بيدها ولا يطلبه احد منها ، وكلما نطلبه هو تشجيع المهاجر على القدوم واحسان معاملته في الجمرك قبل كل شيء .

جمركنا يتمتع باسوأ سمعة عند المهاجرين . هم يشكون من سوء المعاملة . يستقبلهم بعض موظفيه استقبالا جافا . فتح صناديق ونثر ثياب ومعاملة فظة بلغة خشنة ، وملاحظات باردة لا طعم ولا لزوم لها . ويخرج المهاجر من الجمرك وفي نفسه الم شديد فاذا ما احتاج الى معاملة ما في دائر رسمية اصطدم بالمحسوبيات و بـ « تعال بكره وبعد بكره » وتعرض لكثير من المشاكل . بينما يستطيع في المهجر قضاء حاجاته في ارفع دائرة رسمية ببضع دقائق ، ويستطيع ان يقابل حتى الحاكم الاعلى بطلب بسيط . هكذا يدخل المهاجر بلاده ويخرج منها وهو لا يشعر ان بلاده تريد بقاءه، ويغادرها وهو لا يشعر انها تريد عودته .

ومن المؤسف ايضاً اننا لا نزال ننظر الى المهاجر نظرنا الى بقرة حلوب . لا تكاد اقدامه تطأ ارض الوطن حتى تتهافت عليه، هذا نسيبه وذاك صديقه القديم او صديق العائلة، ولا انس ايضاً الزعيم والمختار والكهنة والشيوخ والسياد والجمعيات والسماسرة والنصابين الخ . سلسلة لا تنتهي ما دام في جيب المهاجر فلس .

انا لا ادعو المهاجر العائد لان يدفن امواله ويحبس كل مساعدة . ولكن لكل درهم مستحقاً ، ولكل شيء حداً . فلا يجوز استباحة مال المهاجر على الصورة التي تجري الان . وانني احمل المهاجر العائد بعض اللوم ، فهل يطلق الحبل للطفيليات خجلا من هذا او ذاك ، او طمعاً بالجاه المعنوي او بالمركز السياسي ، مع ان هذا السبيل هو ابعد سبيل عن ايصاله الى مرامه .

لقد شاهدت بعيني حياة المهاجر في المهجر ، وتحدثت عنها بصراحة في هذا الكتاب ولذلك اقول لابناء البلاد : ان كل درهم يحصل عليه المهاجر يدفع مقابله اضعافا من عرق الجبين ودم القلب ، ومن الكينا والشربات والادوية ، فلا يحق لنا بعد اليوم معاملته كأنه «سائح اميركاني» !

ولا بد لي من الملاحظة بان المهاجر يشعر «بقرف» من الحالة السياسية في بلادنا.

انه يتابع اخبارها في الصحف ويعرف تفاصيلها ، فتراه يتأفف من المنازعات الشخصية ويشكو من تعاقب الحكومات النفعية ومن تبذير اموال الدولة في غير سبيلها .

ويؤكد بعض المهاجرين ان هذه الحالة السياسية هي من جملة الاسباب التي تمنعهم من العودة الى البلاد في الوقت الحاضر . ولا اعلق بشيء على هذه الشكوى لاننا نحن المقيمين نشكو منها ايضاً ، بل اترك للايام وللجيل الجديد حل هذه العقدة .

وفي المهجر يتمتع المهاجر بنوع من الحرية الشخصية لا يعرفه في بلاده . فهو حر بالتحدث عن سياسة بلاده كما يشاء ، اما في بلاده فانه لا يستطيع ذلك .

على ان كل هذا لا يعد شيئاً مذكوراً بالنسبة للعقبة الرئيسية التي تفصل بين المهاجر وعودته الى بلاده ، وهي عقبة التمثيل الدبلوماسي .

ليس بين مهاجرنا وبين حكومته اية صلة رسمية سوى جواز السفر الذي يحمله . وهو وثيقة يبطل مفعولها العملي منذ دخوله ارض المهجر ، فيلقيها جانباً ويتسلح بوثيقة الاقامة التي تمنحها له حكومة المهجر . هذه حالة خاصة بالمهاجرين اللبنانيين والسوريين اما بقية المهاجرين الاجانب فانهم يشعرون دوما بظل حكوماتهم . هنالك قناصل يهتمون بامورهم دائماً ، يزودونهم بالنصائح ويحلون لهم المشاكل ويمثلونهم لدى السلطات الرسمية ، ويظلون متصلين بهم دائماً لكي يشعروا بافراح بلادها واتراحها . اما مهاجرنا فانه وحيد فريد ، محروم من عطف حكومته ، ومن الراحة المعنوية التي يشعر بها عندما يرى لبلاده ممثلا يستند عليه اذا تطلب الامر . هو دائماً اعزل ، وحكومة المستعمرة هي تجاهه الخصم والحكم في آن واحد .

ولا ادري ما هي الاسباب التي تحول الان دون تعيين قناصل لحكومتنا في المهجر . ان تعيين القنصل هو اول خطوة مهمة لتوثيق الصلة بين المهاجرين ووطنهم ، وتأمين عودتهم اليه عاجلا او آجلا . واذا كانت الحكومة تحتج بالفقر ، فانني اضمن لها ان يغطي المهاجرون نفقات القنصلية في نصف ساعة !

ثم ان انشاء القنصلية يرفع قيمة مهاجرينا المعنوية ، ويزيد في ثقتهم بانفسهم ويسهل عليهم معاملاتهم الرسمية والتجارية . وتستطيع القنصلية تنظيم صفوف المهاجرين في

كل مستعمرة ، وبذل نفوذها لازالة ما قد ينشأ بينهم من المنازعات ، وتحسين احوالهم الاجتماعية والعملية وتشجيعهم على العودة لبلادهم او على زيارتها مرة كل سنتين او ثلاث، وتساعدهم على ارسال اولادهم الى مدارس البلاد ، وترشدهم الى مناحي العمل واستثمار الرساميل في الوطن ، وتكون ايضاً مرجعاً في قضية تحديد الهجرة .

والخلاصة فان قضية المهاجرين تتطلب معالجة سريعة في الامور التالية على الاقل :

اولا — انشاء قنصلية لبنانية (او لبنانية سورية) في دكار مثلا ، تكون ذات فروع ملحقة في كل عواصم المستعمرات المهمة .

ثانياً — انشاء دائرة واسعة للمهاجرين ، لا كالدائرة الصغيرة الموجودة حالياً في بيروت ، بل دائرة كبيرة تكون ذات ميزانية كافية ، لتكون صلة الوصل بين المهاجر ووطنه ، ومرجعاً له في كل الاستشارات والمعلومات ، ومصدراً لحركة الدعاية بين المهاجرين للعودة الى الوطن او لزيارته في رحلات دورية منظمة .

ثالثاً — الاهتمام بتحسين بعض المناطق المهملة في البلاد ، التي ينتمي اليها اكثر مهاجري افريقيه ، مثل جبل عامل وعكار .

واذا استطاعت الحكومة ان تعمل عملا ما في هذا الميدان ، فانني اضمن للبلاد فائدة سنوية تفوق كل ما استفادته حتى الان من سياسة الناطور والمختار ، وتعوض عليها كثيراً من خسارتها الاقتصادية السنوية . اما اذا دامت الحالة على هذا المنوال ، فانه لن يمر ربع قرن حتى تنقطع كل صلة بين مهاجرينا الافريقيين وبين وطنهم كما هي الحالة في اكثر المهاجر الاميركية ، فلا يبقى لنا منهم غير الاسم ولا يبقى لهم منا غير الاسم . وعندئذ نتحدث عنهم ويتحدثون عنا كما يتحدث الناس عن اشباح الماضي:

كان في قديم الزمان ...

... ورحم الله ما كان !

الفصل الرابع والاربعون

مستقبل الهجرة الافريقيه

في حديثي عن مستقبل الهجرة ـ الهجرة من الوطن والرجعة اليه ـ يجب علي ان اطرق الموضوع من ثلاث نواح : ناحية حكومتنا ، ناحية الشعب، ناحية المهاجرين.

ناحية الحكومة — اعتقد ان الوقت حان لاقفال باب الهجرة الى الخارج الا في ظروف قاسية وضمن شروط محدودة . ولا ادري كيف ترضى حكومتنا باستمرار الهجرة على هذا الشكل دون ان تحرك ساكناً . في سنة ١٩٣٦ – ٣٧ غادر البلاد اربعة آلاف مهاجر جديد تقريباً . هم يمثلون اربعة الاف شاب ، اربعة الاف عامل ، اربعة الاف جندي ، اربعة الاف اب ، اربعة الاف عائلة ، اربعة الاف مكلف. غادروا البلاد دون ان يرتفع صوت واحد بالتساؤل عنهم وعن مصيرهم .

كنت يومئذ اطالع في الصحف اخبار السفريات المتواصلة يومياً ، فاتحرق غيظاً من بلاد يهجرها ابناؤها وهي لا تشعر بذهابهم . وفي الوقت نفسه ، من الجهة الاخرى من المحيط ، كان العبيد يتطلعون بدهشة الى وفود المهاجرين الجدد ، ويتساءلون بسخرية لاذعة : « مونامي ، هل التهمت النار بلادكم حتى جئتم كلكم الى هنا ؟ » وكان الاجانب يهزون رؤوسهم ويقولون : « الا يوجد لقطيع الشعب في بلادكم راع يسهر عليه وكلب يحرسه ، حتى يتمزق ويتناثر بهذا الشكل ؟ »

تلك كانت موجة مشؤومة من موجات سبقتها ، ولا يجوز ان تتكرر بعد اليوم .

فقد حان الوقت لان تفتح حكوماتنا المتعاقبة عيونها على قضية الهجرة وتضع حداً لها ، ولو خالفت بذلك كل قوانين الحرية الشخصية . على الاقل تستطيع ان تضع قاعدة جديدة للهجرة : كل مهاجر جديد مقابل ثلاثة عائدين ، او ما اشبه ذلك .

المهاجر الجديد يدفع لصندوق الحكومة مبلغ ٣٢٥ غرشاً لبنانياً سوريا ثمناً لجواز السفر والهجره . الا ترى معي الحكومة ان هذا الثمن هو رخيص جداً لنفس بشرية يفقدها الوطن، ولذراعين قويين تخسرهما ارض البلاد ؟

والحاجز الوحيد الذي يستطيع منع الهجرة حقاً ، هو اصلاح البلاد وتسهيل سبل المعيشة فيها ، حتى يرغب ابناؤها من تلقاء انفسهم عن الهجرة .

وقد بات معروفا ان ما ينقص ابناء البلاد ليس العزم ولا النشاط، بل المحيط الذي يمكن ان يبرزا فيه ،بدليل ان الصفات العملية الجبارة تجلت في ابنائنا عند هجرتهم لان المهجر هيأ لهم الجو المناسب لاظهار اهليتهم . فاذا سعت حكومتنا الى خلق هذا الجو في البلاد نفسها ، فان جميع ابنائها يصبحون بهمة المهاجر وعزمه، ويقلعون عن التطلع الى ما وراء حدودهم .

ناحية الشعب — لا اغالي اذا قلت ان الشعب اللبناني السوري يجهل كل شيء عن كل المهجر . الناس عندنا يعرفون ان فلاناً عاد من المهجر بالمال ، ولا يهتمون لان يعرفوا كيف جمع هذا المال ، كما انهم يرون الواحد العائد ولا يرون الآلاف الذين لا يزالون ينازعون الدهر في مجاهل القارة السوداء ...

وتجاه هذه الحالة، ارى من واجبي القول بان افريقيه لم تعد قادرة في الوقت الحاضر على استيعاب المهاجرين كالسابق . وكل يوم يمر عليها يضيق فيها مجال الهجرة اليها وتتضاءل معه آمال المهاجر في الاثراء . وقد تثبت من هذه الحقيقة جميع الذين حملتهم موجة ١٩٣٦-٣٧ الى مختلف البلدان الافريقية ، ثم عادت فقذفتهم خاسرين على شواطيء الوطن .

ولا يتوهمن احد ان في المهاجر الافريقية ثروات كبيرة بالنسبة للمجموع . كلا ، فالاغنياء بين مهاجرينا افراد ، والفقراء هم الاكثرية ، ولو اتيح لكل انسان ان يرى

معيشة المهاجر كما رأيتها لما فكر في الهجرة ، ولادرك ان الذين جمعوا ثروات كبيرة في افريقيه جمعوها بعد جهاد الابطال، بعد التضحية وتناسي النفس ، ودفعوا مقابل تلك الثروة ثمناً لا يعوض، وهو زهرة شبابهم ، ذبلت وتساقطت اوراقها في الجحيم الافريقي قبل ان يتمتعوا بها او يتلذذوا بنضارتها .

واذا سألني الراغب في الهجرة : « ماذا تريدني ان افعل اذا لم اهاجر ؟ » اقول له: اشتغل في وطنك فتحصل على نفس النتيجة، اقول ذلك بكثير من الثقة والتأكيد، فقد ثبت لي بعد درس بضعة اشهر لاحوال مهاجرينا انه لو كان المهاجر يشتغل في وطنه بنفس التقتير والهمة والتضحية التي يشتغل بها في افريقيه لنجح حتماً . اجل ، قد لا يحصل على ارباح كبيرة سريعة بنسبة الارباح الافريقية ، ولكن ارباحه تكون ممتازة بالنسبة لمحيط بلادنا وحاجاته ونفقاته ، والى جانب ذلك يظل عزيزاً بين اهله وقومه ، متمتعاً بمناخ بلاده البديع .

انا لا اصدق ان باب العمل موصد في بلادنا . ألم يدخلها بعد الحرب مئة وخمسون الف مهاجر ارمني ؟ لقد كانوا يومئذ معدمين فاصبحت اكثريتهم الان غنية او متوسطة الحال . لقد اشتغل الارمن عند دخولهم بلادنا بنفس الهمة التي يشتغل بها المهاجر عند ذهابه الى ارض المهجر ، واقتصدوا بنفس النسبة . فلو ان المهاجر اشتغل في بلاده كالارمن لما احتاج الى الهجرة .

هذا برهان آخر : في السنوات الاخيرة تدفق على بيروت عشرون الف شخص من الجبال والمناطق المجاورة ، ولاسيما من جبل عامل . جاؤوا معدمين تقريباً، فعملوا بهمة المهاجر واصبح بينهم الان ذوو ثروات كبيرة . ولا اتحدث عن الاكراد والاشوريين والالمان اليهود والنمساويين الخ .

قد ينقص بلادنا امر واحد ، وهو المساعدة . فالمهاجر كما قلت سابقاً يجد حال وصوله مساعدات من اقاربه او اصدقائه ، ويكفله هؤلاء لدى الشركات حتى تزوده بالبضائع . اما في بلادنا فانه يصعب الحصول على هذه المساعدات بنفس النسبة الممكنة في افريقيه. ولكن كل هذا لا يمنعني من الاعتقاد بان ميدان العمل في بلادنا واسع

لمن يدخله بنفس الروح التي يدخل بها مهاجرنا بلاد المهجر .

بيد ان الطباع الشرقية هي سبب البلاء في القضية . الشرقي يتحمل كل شيء ويفعل كل شيء، ولكن في غير بلاده . هنا يريد ان يصبح سيداً بخطوة واحدة ، وهناك يرضى باقل من ذلك بكثير ، وبسبب هذا العيب الخلقي المتأصل في نفوسنا تضيع مصالح بلاد وتذوب آمال امة .

والغريب ان ٨٠ بالمئة من المهاجرين او الذين يرغبون الهجرة هم من القرويين الذين كانت تسمح لهم الظروف باحتمال كل المصاعب في البلاد بلا خجل — ولا خجل في العمل الشريف مهما كان حقيراً — ولكنهم آثروا المهجر لان المهجر خيال براق في الرؤوس ، يلمع من ورائه الذهب والثروة ، لا الشمس المحرقة والحميات والكينا ، ولا الغربة والمسكنة .

لا يسيئن احد فهمي ، فانا لا انكر فضل الهجرة ولا اجحد بطولة مهاجرينا ، بل اردت ان ارسم لمن تجول في رأسه فكرة الهجرة ، هيكلا بسيطاً عن ظروف الهجرة في الوقت الحاضر حتى لا يقع في الخطأ والخسارة . ما مضى قد مضى . ولكن بعد اليوم يجب ان تتحول افكار شبابنا ، خاصة القرويين منهم ، عن افريقيا واميركا . ففي انحاء بلادنا وفي بقية البلدان العربية افاق واسعة تغني عن ديار الغربة . والمهاجر نفسها لم تعد تستطيع بعد اليوم ان تهضم غير المهاجرين المتعلمين المزودين برأسمال معتدل . وهؤلاء تحتاج اليهم بلادنا بقدر ما تحتاج الى سواعد المزارعين والعمال .

ارض بلادك ، كن اميناً لها ، واخدمها واحرص عليها تعطيك وتغنيك عن ارض المهجر . هواؤها ماؤها جوها ثرواتها المهملة ، كل هذه العناصر لا تماثلها فيها افريقيه . فاعمل واقتصد واصبر والنجاح مضمون .

ناحية المهاجرين — وماذا يكون مستقبل مهاجرينا في افريقيه ؟

المستقبل في سر الغيب ، يصعب علي التكهن عنه . ولكن اذا درسنا عناصر نجاح مهاجرينا ، امكننا ان نستخرج عبرة خطيرة . ذلك ان تجارة مهاجرينا في افريقيه ترتكز على جهل العبيد . هم يقومون بمهمة كان يجب ان يقوم بها العبد . فلو كان

العبد مدركا مقتصداً ، لفتح هو حوانيت المبيع بالمفرق ، وكفى نفسه بنفسه واستغنى عن الابيض كما هي الحالة الان في بعض مناطق نيجيريا والداهومي وشاطيء الذهب وسيراليون ، حيث بلغ العبيد درجة لا بأس بها من الاهلية التجارية ، فلم يتمكن مهاجرونا من منافستهم . على ان العبد في المناطق الاخرى بدأ يتطور ايضاً . بدأ يفتح الحوانيت ويضارب . وفي الوقت الذي يصبح فيه العبيد ذوي عقلية تجارية لا يبقى للمهاجر اللبناني السوري مجال للبقاء .

وقد اخذ التعليم يعطي ثماره ويكون للعبيد عقلية تجارية معنوية ، سيكون لها اثر كبير في المستقبل القريب . وعندئذ تضطر اكثرية مهاجرينا الى الاختيار بين احد امرين : اما ترك البلاد او الاندماج فيها نهائياً . وقد استطاع بعض مهاجرينا في اميركا ان يندمجوا بمحيطهم عندما تطلبت الظروف ذلك منهم . اما في افريقيا فان الاندماج صعب ، بل مستحيل ، بسبب العداوة التقليدية بين الاسود والابيض ، والمستقبل في افريقيا هو على كل حال للاسود لا للابيض .

طبعاً ، قد لا يأتي ذلك العهد الا بعد نصف قرن ، ولكنه سيأتي على كل حال . وقد بدأت تباشيره تظهر جلياً في الاوساط السوداء المتعلمة . ففي النهضات الاجتماعية السوداء انذار صريح الى مهاجرينا ، يدفعني منذ الان الى مناشدة مهاجرنا بالعودة .

*

ايها المهاجر الميسور : عد الى وطنك مرفوع الرأس ، ومتع نفسك واولادك بالحياة قبل ان يفوت الاوان . عد ، فقد جاهدت وجالدت وتذوقت مرارة الغربة ، فحق لك ان تقضي بقية ايامك في راحة الوطن ، وان تفيده بثروتك وتفيد نفسك بها .

ان الطمع لا يعود على صاحبه الا بالخسران . ألم تر كيف ان الكثيرين جمعوا في المهجر ثروات طائلة ، ثم طمعوا حيث لا يجب الطمع ، ففقدوا ما كان عندهم وعادوا الى التأسيس من جديد ؟ قال لي احدهم مرة : «مال افريقيا يبقى في افريقيا» . كلمة حق اريد بها حق . فانج ايها المهاجر الميسور بما معك قبل ان تعصف به صروف الدهر وعد به الى وطنك ، فتؤمن به مستقبلك ومستقبل اولادك .

واقول هذا القول ايضاً للمهاجر العاثر الحظ ، انصح له ان يعود ، فقد تنفتح امامه في وطنه الابواب التي ظلت مغلقة في المهجر .

*

من يدري ماذا تخبئ الايام لمن لا يعود ؟

ايها المهاجر : قد يدور الفلك دورته قبل ان تميز العين الخيط الابيض من الخيط الاسود ، فهلا قررت مصيرك على بصيرة ، وعدت الى وطنك قبل ان تجتاحك المقادير وتفرض عليك ارادتها ؟

ايها المهاجر : عد ، عد ، عد !



مسانيد بعض ابحاث الكتاب

الى جانب الملاحظات والاستقصاءات الشخصية ، استند المؤلف في بعض ابحاث هذا الكتاب على مصادر مختلفة نذكر منها ما يلي :

عبدالله حشيمه – في بلاد الزنوج ١٩٣٢ .

الكتب الفرنسية

Desbordes - L'Immigration Libano-Syrienne en Afrique Occidentale Française 1938.

Hardy - Géographie de la France Extérieure.
Hardi - Vue Cénérale de l'Histoire de l'Afrique 1937.
H. Bordeaux - L'Epopée Noire 1936.
Delafosse - Les Noirs de l'Afrique 1929.
Dr. Wersberger - Les Blancs de l'Afrique 1919.
Abensour - Nouvel Atlas Larousse 1935.
Guide Générale de Tourisme en A. O. F. 1938.

الكتب الانكليزية

M. Epstein - Statesman's Year-Book 1938.
Wilson - Western Africa, History, Conditions & Prospects 1856.
H. Dallimore - Geography of West Africa 1935,
M. Potts - A School History of Nigeria 1935.
Hamlyn - A Short History of Gambia 1931,
Goddard - The Handbook of Sierra Leone 1935.
Westermann - Liberia Old & New 1928.
Maxwell - The Gold Coast Handbook 1938.
Martens & Karstedt - The African Handbook 1938.
Martens & Karstedt - The African Handbook and Traveller's Guide

الكتب الالمانية

Martens & Karstedt - Afrika, ein Handbuch fur Wirtschaft 1938.
Jacob - Deutsche Politik in Dokumenten 1938.
Luschen - Die Alterterner von Benin 1919.



المؤلف

بريشة الفنان قيصر الجميل

فهرست الكتاب

الباب الاول

الباب الثاني

الباب الثالث

انتهى طبع هذا الكتاب
على مطابع «دار المكشوف»
في بيروت في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٨